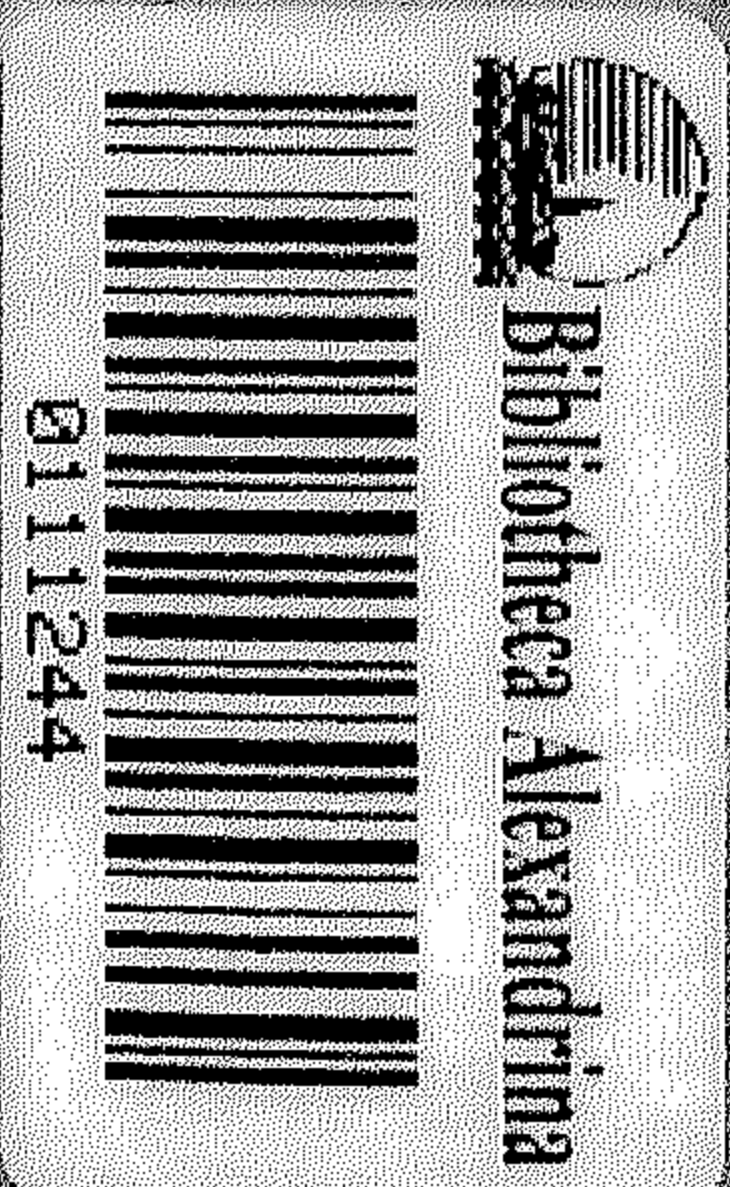
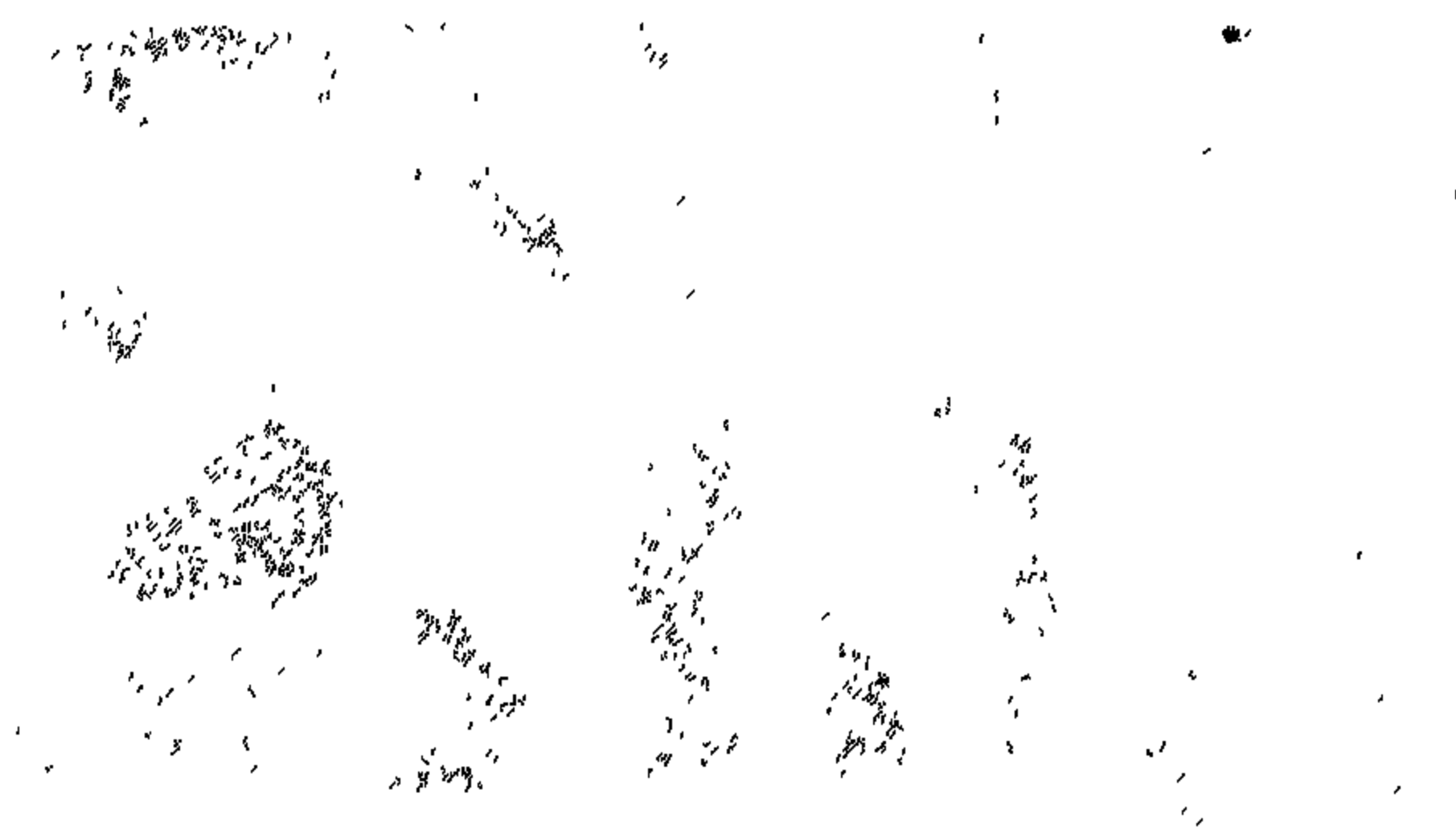


كتاب العدل في الدين





منحوتة من الرخام تحمل مشهد اسطوري له علاقة
بأله الخصب « نومز » (نهاية الالف الثالث ق م)



منحوتة من الرخام تحمل ملحمة كلكامش بداية
الالف الثالث ق م

مقدمة في أدب العراق القديم

طبع على نفقة كلية الآداب – جامعة بغداد
بغداد ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م

مَقَدِّمَةٌ

فِي تَرْجُومَةِ الْحَرِّاقِ الْقَدِيمِ

طه باقر

حقوق الطبع محفوظة

دار الحرية للطباعة - مطبعة رقم (١)

مُقَدِّمَةٌ

التاج الادبي في حضارة وادي الرافدين ، شأنها في ذلك شأن الحضارات الاخرى ، يأتي في مقدمة المصادر الاساسية عند الباحثين لمعرفة هذه الحضارة والوقوف على مقوماتها وخصائصها ، ذلك لانه احسن ما يصور لنا اتجاهاتها الفكرية وعقائدها وآراءها في الكون والحياة ، فأن النصوص الادبية الى جانب المدونات الاخرى كالشرائع والنصوص القانونية المدونة والسجلات والاعبار التاريخية الاخرى ، وضعت في متناول أيدي الباحثين المادة الاولى في درسم لهذه الحضارة والوقوف على عوامل نموها وتطورها وتحليلها على ضوء الاسس والاتجاهات العقلية والفكرية التي قامت فوقها . والواقع من الامر ما كان يتسنى تحقيق هذه الدراسات الكثيرة في الحقول المختلفة من حضارة وادي الرافدين لولا ما وضع في متناول أيديهم من النصوص المسماة المتنوعة التي كان الكشف عنها ودرسها وتحليلها منذ منتصف القرن الماضي أروع ما أسهمت به الحضارة الحديثة في اثراء المعارف البشرية والتاريخ البشري العام .

هذا وانني لعلی ثقة من ان القارئ للبحث المتواضع الذي اضعه في متناول يده سيدرك الاسهام العظيم الذي يعزوه الباحثون ومؤرخو الحضارة الى حضارة وادي الرافدين في سير تقدم الفكر البشري بوجه خاص

والحضارات العالمية بوجه عام • وإذا كانت النصوص المدونة المختلفة التي وصلت إلينا من هذه الحضارة إلى حال التاريخ قد تناولها الباحثون الغربيون ترجمة وتحليلاً وبحثاً فيجدر بالباحثين العراقيين أن يؤدوا بعض الواجب الملقى على عاتقهم في تعريف القراء والطلاب بتراث هذا البلد عن طريق ترجمة نصوصه الأدبية إلى العربية ، وهذا ما يفكر به الآن بعض أساتذة قسم الآثار في كلية الآداب وأنا من بينهم ، على أنني رأيت أن أمهد لهذا المشروع الضخم ، الذي يتطلب إنجازه وتحقيقه عدة سنين ، بمقدمة تمهيدية في التعريف بأدب العراق القديم ، في وصف أشهر النصوص الأدبية التي وصلت إلينا وشرح محتوياتها وإيراد ترجمات موجزة لبعضها ، لتكون مرجعاً أساسياً لطلاب قسم الآثار بوجه خاص وطلاب التاريخ والدارسين لحضارة وادي الرافدين بوجه عام •

الفصل الأول

مقدمة في الخصائص والمميزات العامة

مَدخلُ البَحْثِ

١ - المأمة بأدوار حضارة وادي الرافدين :

١ - يتطلب عرض موضوع أدب العراق القديم تكرار الاشارات الى الادوار التاريخية التي مرت بها حضارة وادي الرافدين ، وتسهيلا لاستعادة القارئ الى ذاكرته هذه الادوار وأزمانها التاريخية يحسن لو نحن عددنا الادوار الرئيسية منها مقترنة بلمحة أو المأمة تاريخية موجزة عن كل منها • ونبدأ من ذلك بتعريف موجز لما يقصد بحضارة وادي الرافدين ومكانة هذه الحضارة في تاريخ الحضارات العالمية القديمة ، فنقول ان المقصود من حضارة وادي الرافدين حضارة العراق القديم التي ازدهرت في السهول الرسوبية منه (بلاد سومر واکد) منذ مطلع الالف الثالث ق.م ، واکنها تمتد بأصولها وجذورها الى عصور ما قبل التاريخ في العراق نفسه ، ومرت في تطورها بأدوار حضارية كثيرة الى أواخر العهد الما قبل الميلاد ، وسنعدد هذه الادوار بعد قليل • ويشمل مصطلح حضارة وادي الرافدين في كثير من المقومات الحضارية ، بالإضافة الى الحدود الجغرافية الحالية للعراق ، عدة أقطار مجاورة امتدت اليها تأثيرات هذه الحضارة فأقتبست منها عناصر حضارية أساسية ، مثل بلاد عيلام (الاجزاء الجنوبية من ايران مما يعرف الآن بالاهواز أو الاحواز) وشمالى ما بين النهرين وبلاد الشام والاناضول (موطن الحثيين) ، بحيث يمكن اعتبار الثقافات أو الحضارات التي قامت في مثل هذه الاقاليم امتدادا لحضارة وادي الرافدين • وحضارة وادي الرافدين احدى الحضارات القديمة التي يطلق عليها مصطلح الحضارة الاصلية أو الاصلية أو (Original)(Unrelated Civilization)

بحسب تعبير المؤرخ الشهير « توينبي » ، وهي الحضارات التي لم تشتق من حضارة سابقة لها بل انها نشأت وتطورت من ثقافات عصور ما قبل التاريخ • والحضارات الاصلية قليلة العدد في تاريخ الانسان ، وفي مقدمتها حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل وحضارة الشرق الاقصى (الحضارة الصينية) وحضارة المايا والازتيك في امريكا الوسطى وحضارة وادي نهر السند (Indus Valley) التي لها صلة بحضارة وادي الرافدين ، كما انه يستبعد ان يتكرر نشوء مثل هذه الحضارات بناء على التعريف الذي اوردناه لها أي نشوئها من الادوار البدائية في عصور ما قبل التاريخ ، أما الحضارات البشرية الاخرى، التاريخية منها والمعاصرة، فيطلق عليها مصطلح الحضارات المشتقة •

٢ - الكشف عن حضارة وادي الرافدين :

لعل أروع ما اسهمت به الحضارة الحديثة في تقدم المعرفة الكشف المثيرة التي حققها علم الآثار (اركيولوجيا Archaeology) في اكتشافه حضارات ومدنيات قديمة سبقت حضارتي اليونان والرومان بعشرات القرون ، وان الكثير من هذه الحضارات القديمة لم يكن يعرف عنها شيء حتى مجرد أسمائها • وبدأت التنقيبات والتحريات الاثرية عن بقايا هذه الحضارات القديمة ولاسيما حضارات الشرق الادنى وفي مقدمتها حضارة وادي النيل ووادي الرافدين منذ منتصف القرن التاسع عشر الماضي • وسرعان ما أسفرت جهود الباحثين الاثريين عن الكشف عن هذه الحضارات ، فامتدت آفاق جديدة في نظرة الانسان الحديث الى الحياة وتطورها ، وأصول تطور البشرية الحضاري والمراحل المختلفة التي مرت بها في تفاعلها وصراعها مع البيئة الطبيعية وتدرج هذا الصراع الى بداية السيطرة عليها وتسخيرها والافادة منها ، مما ظهرت ملامحه الاولى منذ ظهور اولى الحضارات البشرية في وادي الرافدين ووادي النيل في مطلع

الآلاف الثالث ق.م. وقد وضع الكشف عن مثل هذه الحضارات القديمة دراسة التاريخ وتطور الإنسان الاجتماعي والتكنولوجي على أسس علمية جديدة مكنت الباحثين من الكشف عن الكثير من نواميس العمران والاجتماع وفلسفة التاريخ .

وقد نتج الكشف عن مخلفات حضارة وادي الرافدين المادية وحل رموز الخط السماري منذ منتصف القرن الماضي معرفة أدوار هذه الحضارة ومنجزاتها المادية والفكرية ومنها نتاجها الأدبي الذي نحاول التعريف به في هذا البحث التمهيدي ، والعلوم والمعارف التي وصلت إليها مما أدهش أبناء الحضارة الحديثة وجعل الباحثين عن أصول العلوم والمعارف والفنون والآداب يؤكدون أن الأسس الأولى لها قد وضعت في حضارة وادي الرافدين ، وسيوضح ذلك مما سنعرضه من نتاجها الأدبي . ويجدر أن ننوه في هذا الصدد بالاتجاه الحديث بين الباحثين في المعاهد والمؤسسات العلمية الغربية في الاستعانة بمصادر حضارة وادي الرافدين المادية ونصوصها المدونة في درس أسس الاجتماع والنظم الاجتماعية والقانونية والاقتصادية وتطورها .

٣ - أدوار حضارة وادي الرافدين :

أ - عصور ما قبل التاريخ :

ونبدأ في تعداد الأدوار الحضارية الرئيسة بأقدمها وهي التي يطلق عليها مصطلح عصور ما قبل التاريخ (Pre-history) ، وهي العهود المتطاولة في القدم حيث لم يصل الإنسان إلى طور الحضارة . وكان أقدم ظهور لنظام الكتابة في تاريخ الإنسان في حضارة وادي الرافدين في حدود ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م ويحدد لنا التاريخ الثاني أي مطلع الألف الثالث بداية العصور التاريخية في العراق وفي مصر . أما بداية عصور ما قبل التاريخ فلا يمكن تحديدها بالسنين على وجه التأكيد لأنها بدأت منذ ظهور

الانواع البشرية القديمة البائدة قبل نحو مليوني عام أو يزيد • وبذلك تكون عصور ما قبل التاريخ قد استغرقت القسم الاعظم من حياة الانسان يتعدى نسبة ال ٩٩ بالمائة • ويطلق على اقدم هذه العصور مصطلح العصور الحجيرية (Stone Ages) التي تنقسم بدورها الى العصر الحجري القديم (Palaeolithic) والعصر الحجري الحديث (Neolithic) ويوجد طور حجري ظهر في بعض الاقطار ، ومنها الشرق الادنى ، يفصل ما بين هذين العصرين يسمى العصر الحجري الوسيط (Mesolithic) وقد استغرق العصر الحجري القديم وحده من حياة الانسان زهاء ٩٨٪ ويرتقى في تاريخه الى ازمان العصور الجليدية والفترات الجليدية في العصر الجيولوجي الاخير المسمى « بلايستوسين » (Pleistocene) ، وعاشت في الشطر الاول منه أجناس وأنواع عتيقة من الانسان واشباه الانسان ، ولم تظهر اجداد نوع الانسان الحديث المسمى « الانسان العاقل » (Homo Sapiens) الا في النصف الثاني من العصر الحجري القديم • وقد عثر على نماذج من الادوات الحجرية القديمة في جملة مواقع وكهوف في شمالي العراق مثل برده بلكا (قرب جمجمال) وكهفي زرزي وهزار مرد (في منطقة السليمانية) وكهف « شانيدر » (في أعالي الزاب الاعلى) حيث وجد فيه (١٩٥١ - ١٩٦٠) بقايا العصر الحجري القديم من الدور المسمى « مستيري » (Mousterian) (في حدود ٦٠٠٠٠ - ٧٠٠٠٠ ق.م) ، كما وجدت عدة هياكل عظمية لنوع الانسان القديم الذي سمي بانسان « نياندرتال » (Neanderthal) نسبة الى وادي نياندرتال في المانية) • واعقب العصر الحجري القديم العصر الحجري الوسيط الذي ذكرناه وهو بمثابة دور انتقال الى العصر الحجري الحديث التالي • وحدث في هذا العصر (أي الحجري الحديث) اعظم انقلاب في حياة الانسان اذ اهتدى فيه الانسان في منطقة ما في الشرق الادنى (وبضمن ذلك سفوح

الجبـال في شمالي العراق) الى انتاج القوت بالزراعة وتـدجين الحيوان •
وكان في العصور الحجرية السابقة يعيش حياة همجية يعتمد فيها على جمع
القوت بالصيد والجمع والالتقاط • ووجدت في شمالي العراق جملة قرى
فلاحية تعود الى هذا العصر المهم مثل « جرمو » (منطقة جمجمال) •

وتلا العصر الحجري الحديث دور حضاري مهم مهد للانتقال الى
طور الحضارة من بعد انقلاب العصر الحجري الحديث ، اطلق عليه
مصطلح العصر « الحجري - المعدني » (Chalcolithic) (في حدود
٥٥٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م) وقد اشتق اسم هذا العصر من حقيقة ان سكان
وادي الرافدين ظلوا يعتمدون على الحجارة في صنع أدواتهم وآلاتهم ،
ثم تعلموا منذ منتصف هذا العصر استعمال المعادن وفن التعدين ، منذ نحو
٤٠٠٠ ق.م • وقد تحققت في هذا العصر جملة منجزات ومخترعات كانت
طلائع لظهور الحضارة الناضجة في مطلع الألف الثالث ق.م ، أهمها :
اتساع القرى الفلاحية التي ظهرت في العصر الحجري الحديث وازدياد
الانتاج الزراعي وظهور طلائع التخصص والمدن وبداية استيطان السهول
الرسوبية التي تعتمد في زراعتها على الري من الانهار ، فنشأ جهاز الري
وانظمة الحكم على هيئة دويلات مدن • وظهرت الابنية العامة وفي مقدمتها
المعابد • وقد قسم هذا العصر الى عدة أدوار حضارية تميز كل منها بأنواع
الوانني الفخارية الملونة الجميلة والآثار المادية الاخرى ، وسميت هذه
الادوار بأسماء المواضع التي وجدت فيها لأول مرة الآثار المثلثة لكل منها ،
واقدمها الدور المسمى « حسونة » (نسبة الى تل حسونة بالقرب من قرية
الشورة في منطقة الموصل) ، ثم دور « سامراء » ودور حلف ودور العبيد
الذي بدأ فيه استيطان السهول الرسوبية في وسط العراق وجنوبه •

وهناك عصر حضاري يقع ما بين نهاية العصر « الحجري - المعدني »
السالف الذكر وبداية الحضارة الناضجة في مطلع الالف الثالث ق.م اطلق

عليه مصطلح العصر الشبيه بالتاريخي (Proto-historic) أو الشبيه بالكتابي (Proto-Literate) (في حدود ٣٥٠٠ - ٢٨٠٠ ق.م) ، وقد سمي كذلك لانه على الرغم من ظهور الكتابة في أوائله (في النصف الثاني من دور الوركاء في حدود ٣٥٠٠ ق.م) فإن هذه الكتابة كانت في طورها البدائي ولم تتطور بعد لاستخدامها في تدوين شؤون الحياة المختلفة . ويشمل هذا العصر النصف الثاني من دور الوركاء والدور المسمى « جمدة نصر » وعصر فجر السلالات الاول ، وتحققت فيه تطورات حضارية مهمة منها ظهور فن النحت والاختتام الاسطوانية (Cylinder Seals) التي اختصت بها حضارة وادي الرافدين في جميع عهودها ، كما تطور بناء المعابد وظهرت أوائل ما يسمى بالابراج المدرجة أو الزقورات ، كما تحسن جهاز الري والسيطرة على مياه الري الى غير ذلك من المقومات الحضارية التي اتسعت في العصور التالية بحيث يصح القول ان المعالم الاساسية لحضارة وادي الرافدين قد ظهرت في هذا العصر .

ب - العصور التاريخية :

بدأ العصر التاريخي في حضارة وادي الرافدين كما نوهنا مرارا في مطلع الالف الثالث ق.م ، حين نصبت الكتابة المسمارية وصارت وسيلة ناجعة لتدوين شؤون الحياة المختلفة ، وظهرت الحضارة الناضجة بمختلف أوجهها ومقوماتها الاساسية مثل نظام الحكم والمدن والمعابد وتنظيم المجتمع بالقوانين . وقد اطلق على أقدم العصور التاريخية في العراق اسم عصر السلالات أو عصر « دول المدن » (Early Dynastic) أو (City-States) (٢٨٠٠ - ٢٣٧٠ ق.م) ، اذ كان شكل الحكم السائد فيه على هيئة دول مدن ، مركز كل منها مدينة أو مجموعة من المدن ويتبعها عدد من المدن الاخرى والقرى الزراعية . وقد حكمت عدة سلالات من الحكام كانت

في أغلب الاحايين متعاصرة وتتازع فيما بينها على توسيع السلطة والاراضي الزراعية والمياه ، وكان يتسنى لاحداها ان تبسط نفوذها وسيطرتها على دول المدن الاخرى فتتكون مملكة موحدة ، وتمت عملية التوحيد السياسي في نهاية هذا العصر عندما استطاع أحد الزعماء السياسيين المسمى « سرجون » الاكدي ان ينتزع السلطة من آخر حكام هذا العصر المسمى « لوكال زاگيزي » . وكان « سرجون » هذا من الساميين الذين استوطنوا العراق جنبا الى جنب مع السومريين منذ اقدم عهود الاستيطان ، ولكن الزعامة السياسية والثقافة كانت بأيدي السومريين . ومما يجدر ذكره عن هذا العصر من ناحية موضوع أدب حضارة وادي الرافدين ان عددا من مشاهير الشخصيات القصصية والاسطورية التي ذكرت في نصوص هذا الادب ترجع في أزمانها الى عصر السلالات وعلى رأسهم جلجامش و « اگا » وبطل الطوفان « اوتو – نبشتم » و « زيسودرا » و « اينمركار » و « ايتانا » و « دموزي » كما سيمر بنا ذلك من استعراضنا لهذه النصوص الادبية .

واستطاع سرجون الاكدي السالف الذكر ان يوحد القطر في دولة كبيرة واحدة وسعها هو وخلفاؤه مثل حفيده « نرام – سين » الى امبراطورية ضمت عدة أقاليم من الشرق الادنى . ودام حكم السلالة الاكديّة زهاء القرن الواحد (٢٣٧٠ – ٢٢٣٠ ق.م) ، واعقبها فترة مظلمة في تاريخ العراق القديم قضى فيها جماعات من الاقوام الجبلية على السلالة الاكديّة وعرفوا باسم الكوتيين (٢٢٣٠ – ٢١٢٠ ق.م) ، وحكمت في أثنائها دولة سومرية في منطقة لجش (منطقة تلو في محافظة الناصرية) اشتهر من حكامها « جوديه » الذي خلف عددا من تماثيله الجميلة وكتاباتة الادبية باللغة السومرية . واعقب ذلك حكم سلالة سومرية أخرى عرفت باسم سلالة اور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م) ، استطاعت ان تؤسس مملكة قوية امتد سلطانها الى عدة أقطار في الشرق الادنى ، وازدهرت في عهدها الثقافة

السومرية • والمرجح ان الكثير من النصوص الادبية السومرية قد وضعت في هذا العهد • وحدث في زمن آخر ملوكها المسمى « ابتي - سين » ان هجرات كبرى من الساميين الغربيين المعروفين باسم الاموريين قد اندفعت من بوادي الشام ومن الجهات الشمالية الغربية لوادي الفرات الاعلى وقضت مع العيلاميين على سلالة اور الثالثة • واسس زعماءها عدة سلالات حكمت القطر كان الكثير منها متعاصرا وتتازع فيما بينها مثل سلالة « لارسا » (٢٠٢٥ - ١٧٦٣ ق م) وسلالة « ايسن » (٢٠١٧ - ١٧٩٤ ق م) ومملكة « اشنونا » (٢٠٠٠ - ١٧٦١ ق م) ومملكة اشور القديمة (٢٠٠٠ - ١٧٦٠ ق م) وسلالة « ماري » (١٨٥٠ - ١٧٦١ ق م) ، واشتهرت من بينها سلالة بابل الاولى (١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق م) ولا سيما ملكها السادس حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) مقنن الشريعة الشهيرة ، وقد وحد البلاد بعد ان قضى على آخر السلالات المتعاصرة مثل لارسا واشنونا وبلاد آشور وماري فكون مملكة كبرى اتسعت الى امبراطورية شملت معظم أجزاء الشرق الادنى •

وتميز هذا العصر ، الذي اطلق عليه اسم العصر البابلي القديم (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق م) والذي ستركز اليه الاشارة في كلامنا على النصوص الادبية ، بظهور حركة كبرى في التدوين والتأليف ، وفي مقدمة ذلك الشرائع المدونة وتدوين النصوص الادبية المشهورة ، السومرية منها والبابلية (الاكدية) وترجمة الكثير من القطع الادبية السومرية الى البابلية وسيأتي تفصيل القول في هذه النصوص الادبية • ولاول مرة في تاريخ حضارة وادي الرافدين دونت النصوص الرياضية حيث انتقلت المعارف الرياضية من مرحلة المعلومات العملية الى طور التدوين والبحث أي انها أصبحت علوما كما ظهرت المؤلفات اللغوية وكان بعضها أقدم معاجم في تاريخ الدراسات اللغوية • ومما يقال عن هذا العصر أيضا ان

فيه انتهت حياة السومريين السياسية فلم تقم منهم سلالات حاكمة ، ولكن اللغة السومرية ظلت لغة للتدوين والثقافة جنباً الى جنب مع اللغة البابلية والاشورية .

وبالنسبة الى بلاد آشور في شمالي العراق ظهرت فيها اقدم عصور ما قبل التاريخ ، ولكنها كانت تابعة من الناحيتين السياسية والثقافية الى دول الجنوب الى ما بعد عهد حمورابي حيث استقلت وقامت فيها جملة سلالات حاكمة مستقلة كانت تتدرج في القوة الى ان ظهر فيها منذ القرن العاشر ق.م دول قوية اتسعت بالفتوحات الخارجية الى امبراطوريات معظمة شملت معظم أجزاء الشرق الادنى ، ودخلت بلاد بابل تحت نفوذها منذ القرن الثامن ق.م . واسمهم الملوك الآشوريون في تعزيد تدوين النصوص المختلفة كالنصوص التاريخية والدينية واللغوية ، وقد انشأ الملك الشهير « آشور بانيال » (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) في قصره في نينوى مكتبة ضخمة من ألواح الطين كان لاكتشافها منذ منتصف القرن الماضي الفضل الاكبر في معرفتنا بأداب حضارة وادي الرافدين وعلومها ومعارفها ، وستكرر الإشارة الى هذه المكتبة في كلامنا على النصوص الادبية التي ترجع نسخ الكثير منها الى ألواح هذه المكتبة .

واعقب العصر البابلي القديم في بلاد بابل عدة سلالات حاكمة كانت ضعيفة بالمقارنة مع الدولة الآشورية ، اشهرها سلالة بابل الثالثة (١٥٠٠ - ١١٥٦ ق.م) التي تعرف أيضاً باسم السلالة الكاشية أو الكشية ، وقد حدث في عهدها من ناحية موضوعنا انتعاش أدبي ملحوظ من حيث التدوين والاستنساخ واهياء التراث القديم ، وتلتها في الحكم سلالات أخرى كان آخرها الدولة الكلدانية التي تعرف باسم الدولة البابلية الحديثة أيضاً (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م) . وقد اسهم مؤسسها « نبوبولاصر » في اسقاط الدولة الآشورية مع الماديين (٦١٢ ق.م) ، واشتهرت بحكم احد ملوكها

نبوخذنصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م)، وكانت آخر دولة وطنية تقوم في البلاد حيث اعقبتها عهود صار فيها القطر خاضعا للدول الاجنبية اولها الفرس الاخمينيون (٥٣٩ - ٣٣١ ق.م) ثم الاسكندر الكبير وخلفاؤه من السلوقيين (٣٣١ - ١٢٦ ق.م) وقد تأسس العهد السلوقي في العراق في العام ٣١١ ق.م ، وازدهرت فيه الثقافة البابلية والتدوين بالخط المسماري حيث يعد هذا العهد الدور الثاني المهم الذي جاءت منه نصوص رياضية وفلكية وبعض المعارف الاخرى . وحكم العراق من بعد السلوقيين الفرس الفرثيون أو الارشاقيون (Parthians) (١٢٦ ق.م - ٢٢٦ م) ، وازدهرت في هذا الدور في العراق جملة مدن ومراكز عمرانية مثل مدينة آشور وبابل والوركاء والحضر وأخيرا دخل القطر تحت حكم الفرس الساسانيين (٢٢٦ - ٦٣٧ م) الذي انتهى حكمهم بالفتح الاسلامي (موقعة القادسية ٦٣٧ ميلادي⁽⁺⁾ .

(+) للاستزادة من التعرف على أدوار حضارة وادي الرافدين واحوالها السياسية وخلاصة خصائصها ومنجزاتها الحضارية نحيل القارئ الى كتابنا الموسوم « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول ، الطبعة الثالثة (١٩٧٣) .

تَبَيَّنَ بِالْأَدْوَارِ الْحَضَارِيَّةِ

١ - عصور ما قبل التاريخ : (Pre-historic Periods)

اولا : العصر الحجري ال « ايوليثي » (Eolith)

دور حجري قديم غير واضح ، يقع زمنه في بداية دهر البلايستوسين (Pleistocene) ، وتعزى اليه طائفة من الادوات الحجرية البدائية تسمى الادوات الحصوية (Pebble Tools) لم يعثر عليها في العراق ولكن وجدت نماذج منها في افريقية وأجزاء أخرى قليلة من الارض .

ثانيا : العصر الحجري القديم (Palaeolithic)

زمنه منتصف دهر « البلايستوسين » الى نهاية العصور الجليدية في اوربة ، أي من حدود ٥٠٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ ق.م ، ويقسم الى الادوار التالية :-

(Lower Palaeolithic)

أ - العصر الحجري القديم الادنى

(Abbevillian)

١ - الابيفيلي

كان يدعى سابقا الدور الشيلي (Chellean) ، وزمنه في اوربة في الفترة الجليدية الاولى (*) (گنز - مندل Günz-Mindel) . لم يعثر على أدواته في العراق لحد الآن ، ولكنها وجدت في وادي النيل وشمال افريقية وأجزاء أخرى من العالم . عاش فيه نوع الانسان البائد « هايدل برج » ، ونوع الانسان الاطلسي (نسبة الى جبال الاطلس في شمالي افريقية) .

(*) اسماء العصور الجليدية في اوربة واطوالها الزمنية التقريبية :

١ - گنز (Günz) : ٦٠٠٠٠٠ - ٥٤٠٠٠٠ [١٠٠]

٢ - الكلاكتوني (Clactonian)

زمنه الفترة الجليدية الثانية (مندل - رس) • لم يعثر على أدواته في العراق لحد الآن •

٣ - الآشولي (Acheulian)

اطول ادوار العصر الحجري القديم • ابتداءه في اوربة من الفترة الثانية الى الفترة الثالثة • تسمى أطواره في شمالي افريقية : الآشولي الاول والثاني والثالث • بعض الادوات الحجرية منه وجدت في شمالي العراق (برده بلكا قرب جمجمال) •

٤ - الفالوازي (Levalloisian)

زمنه في أواخر الفترة الجليدية الثالثة ، وله صلة بالدور « الفالوازي - المستيري » التالي •

ب - العصر الحجري القديم الاوسط (Middle Palaeolithic)

١ - لفالوازي - مستيري

٢ - مستيري (Mousterian)

زمنه في الفترة الجليدية واستمر الى العصر الجليدي الرابع • عاش فيه نوع الانسان القديم المسمى « نياندرتال » (Neanderthal) الذي وجدت نماذج كثيرة من هياكله العظمية في أجزاء الكرة ومن بينها شمالي العراق

= فترة ال « كنز - مندل » : ٥٤٠.٠٠٠ - ٤٨٠.٠٠٠

٢ - مندل (Mindel) : ٤٨٠.٠٠٠ - ٤٣٠.٠٠٠

فترة ال « مندل - رس » : ٤٣٠.٠٠٠ - ٢٤٠.٠٠٠

٣ - رس (Riss) : ٢٤٠.٠٠٠ - ١٨٠.٠٠٠

فترة ال « رس - ورم » (Riss-Würm) : ١٨٠.٠٠٠ -

١٧٠.٠٠٠

٤ - ورم (Würm) : ١٢٠.٠٠٠ - ١٥.٠٠٠ او ١٠.٠٠٠ ق.م.

ملاحظة : يقابل العصور الجليدية الاوربية عصور ممطرة (Pluvials)

في الاجزاء الوسطى والجنوبية من الارض ومنها الشرق الادنى وشمالي افريقية • ويقابل الفترات الجليدية الاوربية عصور جفاف في تلك المناطق •

(كهف شانيدر الطبقة D ، وفيها أدوات الدور المستيري) • يسمى في شمالي افريقية « المستيري - العتيري » •

ج - العصر الحجري القديم الاعلى (Upper Paleolithic)

شغل في اوربة الجزء الاخير من دهر البلايستوسين (العصر الجليدي الرابع قبل نحو ٥٠.٠٠٠ أو ٤٠.٠٠٠) • ساد فيه نوع الانسان الحديث المسمى « الانسان العاقل » (Homo Sapiens) • اطلق على الادوات الحجرية المثلة لهذا الدور في شمالي العراق اسم الدور « البرادوستي » (نسبة الى جبال برادوست) ، وتعود اليه الطبقة B في كهف شانيدر ووجدت أدواته أيضا في كهفي « هزار ميرد » و « زرزي » (في منطقة جبال السليمانية) • اطلق عليه في شمالي افريقية الدور « القفصي » (الاجزاء الداخلية) و « الوهراني » (الاجزاء الساحلية) • ويقسم في اوربة الى أربعة أدوار : (١) الاورغنيشي (Aurignacian) (٢٨.٠٠٠ - ٢٢.٠٠٠ ق م) والسلوترى (Solutrean) والمكدليني (Magdalenian) الذي اشتهر في اوربة بفن الرسوم في الكهوف •

ثالثا : العصر الحجري الوسيط (Mesolithic)

زمنه بعيد العصر الجليدي الرابع (الاخير) ، ويسمى أيضا دور الادوات الحجرية الدقيقة (Microlithic) ، واطلق عليه في شمالي العراق الدور « الزرزي » (نسبة الى كهف زرزي قرب السليمانية) • وجدت آلاته الحجرية المثلة في الطبقة C من كهف شانيدار ، كما وجدت آثاره في عدة مواقع أخرى في شمالي العراق أشهرها « زاوى جيمي » (على الزاب الاعلى بالقرب من كهف شانيدر) و « بالى گورا » ، وملفات وكريم شهر • يسمى في بلاد الشام الدور « النطوفي » • ظهرت فيه في شمالي العراق وبعض أجزاء الشرق الأدنى طلائع تدجين الحيوان والزراعة (Incipient food production) •

رابعاً : العصر الحجري الحديث :

بدايته في حدود الالف الثامن أو السابع الى ٥٦٠٠ ق.م. يمكن تقسيمه في شمالي العراق وبعض أجزاء الشرق الأدنى الى الادوار التالية :-

١ - بداية الحجري الحديث أو أواخر الحجري الوسيط (Proto-Neolithic)

حيث وجدت آثاره المثلة في الطبقات A, B2 من كهف شانيدر

وفي زاوى جمى وكريم شهر وملفات وگرد جاى •

٢ - دور ما قبل الفخار (Pre-Pottery Neolithic)

لم يظهر الفخار فيه ، وتمثله الطبقات السفلية من « جرمو »

(١٦-٦) حيث الفخار وجد في الطبقات الخمس العليا ، وكذلك في الطبقة

العليا من زاوى جيمى وفي تل شمشارة (الطبقات ١٤ - ٦) •

٣ - دور الفخار (Pottery Neolithic)

في جرمو الطبقات العليا ٥ - ١ • والطبقات السفلى من تل حصونة

، والطبقات السفلى من تل « الصوان » وجملة مواقع أخرى •

خامساً : العصر الحجري - المعدني : (Chalcolithic)

في حدود ٥٦٠٠-٣٥٠٠ ق.م. ويقسم الى الادوار التالية :

أ - حجري - معدني قديم (Early Chalcolithic)

١ - دور حصونة : في تل حصونة وتل الصوان وشمشارة وغيرها •

٢ - دور سامراء : في المواضع المذكورة في (١) وغيرها •

ب - حجري - معدني وسيط (Middle Chalcolithic) :

١ - دور حلف : أ - حلف قديم : ما قبل الطبقة العاشرة في تل

الاربجية •

ب - حلف وسيط : الطبقات ١٠-٧ من الاربجية •

ج - حلف متأخر : الطبقة ٦ من الاربجية •

٢ - دور العبيد الاول : طور « اريدو » (الطبقات ١٩-١٥ في

• اریدو)

۳ - دور العبيد الثاني: طور فخار « حاج محمد » وفخار رأس

العمية (قرب كيش) •

لم يعثر على آثار دور حلف في الاجزاء الوسطى والجنوبية من

العراق ويعاصره دور العبيد الاول في الجنوب •

ج - حجري - معدني متاخر (Late Chalcolithic):

۱ - دور العبيد الثالث (كان يسمى العبيد القديم سابقا) •

۲ - العبيد الرابع (العبيد المتأخر سابقا)

۳ - دور الوركاء: أ - الوركاء القديم (الطبقات ۱۲-۷ من

الوركاء) •

ب - الوركاء الوسيط (الطبقات ۶-۵ من الوركاء) •

سادسا: العصر الشبيه بالكتابي او الشبيه بالتاريخي ۳۵۰۰-۲۸۰۰ ق م
(Proto-Literate. Proto-Historic)

۱ - دور الوركاء الاخير (في الوركاء الطبقات ۵ و ۴ ، ب ، ج)

۲ - دور جملة نصر (۳۰۰۰-۲۹۰۰ ق م) •

۳ - عصر السلالات الاول (۲۹۰۰-۲۸۰۰ ق م) •

۲ - العصور التاريخية

۱ - عصر السلالات او عصر دول المدن (Early Dynastic)

۲۸۰۰-۲۳۷۰ ق م

أ - عصر السلالات الثاني (۲۸۰۰-۲۶۰۰ ق م) •

ميسلم - سلالة كيش الاولى - سلالة الوركاء الاولى - الواح

تل « فار » •

ب - عصر السلالات الثالث (۲۶۰۰-۲۳۷۰ ق م) •

المقبرة الملكية: مس - كلام - دوگك ، آ - كلام - دوگك ،

جلجامش ، سلالة ليجش الاولى (سلالة أور - نانشه) ،

« اوما » وغيرها من المدن السومرية ، سلالة « أور الاولى »

« ميسا نيدا » ، لوگال - زاكيزي •

۲ - العصر الاكدي (السلالة الاكديّة) (۲۳۷۰-۲۲۳۰ ق.م)

سرجون (۲۳۷۰-۲۳۱۶) ، « نرام - سين » (۲۲۹۱ - ۲۲۵۵

ق.م) •

۳ - اللور الگوتی و سلالة لجش الثانية (۲۲۳۰-۲۱۲۰ ق.م)
عصر گودیه •

۴ - سلالة أور الثالثة (۲۱۱۲-۲۰۰۴ ق.م)

اور - نمو (۲۱۱۲-۲۰۹۵ ق.م) شولگی (۲۰۹۴-۲۰۴۷ ق.م)

« امار - سين » او « بور - سين » (۲۰۴۶-۲۰۳۸ ق.م) • شو -

سين (۲۰۳۷-۲۰۲۹ ق.م) • ابّی - سين (۲۰۲۸-۲۰۰۴ ق.م)

۵ - العصر البابلي القديم (۲۰۰۰-۱۵۰۰ ق.م)

ا - سلالة لارسا (۲۰۲۵-۱۷۶۳ ق.م) ، مؤسسها « نبلانم » •

ب - سلالة ايسن (۲۰۱۷-۱۷۹۴ ق.م) ، مؤسسها « اشبي -

ايرا » •

ج - سلالة « اشنونا » (۲۰۰۰-۱۷۶۱ ق.م) • من مشاهير ملوکها

« شمسی - ادد » الاول ، و ابالبیل الاول ، و « نرام - سين » و

« دادوشا » و ابالبیل الثاني (۱۷۹۰-۱۷۶۱ ق.م) •

و - بلاد آشور (۲۰۰۰؟ - ۱۷۶۰ ق.م)

« شمسی - ادد » الاول (۱۸۱۳-۱۷۸۱ ق.م) •

و - سلالة بابل الاولى (۱۸۹۴-۱۵۹۵ ق.م) •

مؤسسها « سومو - آبم » و سادس ملوکها « حمورابي »

(۱۷۹۲-۱۷۵۰) و آخر ملوکها « سمسو - ديتانا »

(۱۶۲۵-۱۵۹۵ ق.م) •

- العصر الكشي (١٧٠٠ ق م - ١١٥٧ ق م) :
- الكشيون في بلاد بابل باسم سلالة بابل الثالثة (١١٥٧-١٥٩٥ ق م)
- سلالة القطر البحري (سلالة بابل الثانية : ١٧٤٢ - ٩) :
- العصر البابلي الوسيط (١٥٠٠-٦٢٧ ق م) :
- السلالة الكشية السابقة والسلالات البابلية من الرابعة الى العاشرة .
- العصر البابلي - الحديث (Neo-Babylonian) (٦٢٧-٥٣٩ ق م)
- سلالة بابل الحادية عشرة : نبوبلاصر (٦٢-٦٠٥ ق م) وابنه
- « نبوخذ نصر » (٦٠٥-٥٦٢ ق م) ونبو نيدس (٥٥٥-٥٣٩ ق م)
- ٠ (٥٣٩ ق م) ، استيلاء كورش على بلاد بابل (٥٣٩ ق م) .
- العصر الفارسي الاخميني (في العراق ٥٣٩-٣٣١ ق م) :
- اشهر ملوكه : كورش الثاني (٥٥٩-٥٣٠ ق م) ، ودارا الاول
- (٤٨٦-٤٢٤ ق م) وآخر ملوكه دارا الثالث (٣٣٥-٣٣١ ق م) .
- الاسكندر الكبير والعصر السلوقي (٣٣١-١٢٦/١٣٨ ق م) :
- ولد الاسكندر في ٣٥٦ ق م ، وخلف اياه فيلب المكدوني في ٣٣٦ ق م
- ق م ، وبدأ فتوحه للشرق ٣٣٤ ق م ، فتح العراق ٣٣١ ق م .
- (موقعة اريلا) وتوفي في بابل في حزيران ٣٢٣ ق م . بداية العهد
- السلوقي في العراق في نيسان ٣١١ ق م .
- العصر الفرثي : (البارثي ، الارشاقني ، الاشغاني (الاشكاني) ،
- ملوك الطوائف (١٢٦/١٣٨ ق م - ٢٢٧ م :
- العصر الساساني (٢٢٧-٦٣٧ م) :
- أشهر ملوكه : اردشير الاول (٢٢٦-٢٤١ م) ، وشاپور الاول
- (٢٤١-٢٧٢ م) وشاپور الثاني (٣٠٩-٣٧٩ م) واخر ملوكه
- يزدجرد الثالث (٦٣٣-٦٥١ م) .

الادوار التاريخية في بلاد آشور

- ١ - عصور ما قبل التاريخ : كما مر سابقا :
- ٢ - دور سيطرة دول الجنوب الى نهاية سلالة أور الثالثة (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق م)
- ٣ - العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق م) :
من مشاهير ملوكه : إيرشم - الأول • سرجون الأول (انستعمرة التجارية الاشورية في تركيا في كول تبه ، كانيش القديمة • شمسي - ادد الأول (١٨١٣-١٧٨١ ق م)
- ٤ - العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠-٩١١ ق م) :
من مشاهير ملوكه اشور - اوبالط الأول (١٣٦٥-١٣٣٠ ق م)
شيلمنصر الأول (١٣٧٤-١٣٤٥ ق م) وتوكلتي - نورتا الأول (١٣٤٤-١٢٠٨ ق م) ، وآشور ناصربال الأول (١٠٥٠-١٠٣٢ ق م)
- ٥ - العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق م)
- أ - الامبراطورية الآشورية الاولى : (٩١١-٧٤٥ ق م)
من مشاهير ملوك العصر : ادد - نيراري الثاني (٩٩١-٨٩١ ق م)
وتوكلتي - نورتا الثاني (٨٩٠-٨٨٤ ق م) وآشور ناصربال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق م) وشيلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق م)
وتجلا نيلزر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق م)
- ب - الامبراطورية الآشورية الثانية : (٧٤٥-٦١٢ ق م)
شيلمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق م)
- السلالة السرجونية : سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق م)
سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق م) ، اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق م)
ق م) ، آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق م) • آخر ملوكها « آشور اوبالط » الثاني (٦١١-٦٠٩ ق م) ، سقوط نينوى : ٦١٢ ق م

الادوار العربية - الاسلامية

- ١ - عهد الرسول والخلفاء الراشدين (٦٠٠-٦٦١ م) :
 - ٢ - الامويون (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠ م) :
 - ٣ - العباسيون (١٣٢-٦٥٦ هـ / ٧٥٠-١٢٥٨ م) :
- حكم منهم ٣٧ خليفة ، أولهم ابو العباس السفاح وآخرهم المستعصم :

أ - الدور العباسي الاول ١٣٢-٢٣٢ هـ / ٧٥٠-٨٤٧ م

- دام زهاء ١٠٠ عام وحكم فيه تسعة خلفاء من السفاح الى
الواثق • أسس المنصور بغداد (١٤٥-١٤٩ هـ / ٧٦٢-٧٦٦ م) •
تأسس سامراء في عهد المعتصم (٢٢١-٢٧٩ هـ / ٨٣٦-٨٩٢ م) •

ب - الدور الثاني ٢٣٢-٣٣٣ هـ / ٨٤٧-٩٤٤ م

- نفوذ القواد الاتراك • بدء انحلال الامبراطورية • حكم في هذا
الدور ثلاثة عشرة خليفة • ظهور حركة القرامطة ٢٧٨ هـ /
١ / ٨٩٢ م ، وحركة الزنج (٢٥٠-٢٦١ هـ) •

ج - الدور الثالث : ٣٣٣-٤٤٧ هـ / ٩٤٤-١٠٣١ م

- حكم فيه خمسة خلفاء من المستكفي الى القادر بالله • تسلط
البويهيين (من الديلم) ، وطردتهم من جانب الاتراك
السلاجقة • الحمدانيون في الموصل وتكريت •

د - الدور الرابع : ٤٤٧-٥٤٧ هـ / ١٠٣١-١١٥٢ م

- حكم فيه خمسة خلفاء • تسلط الاتراك السلاجقة ، استيلاء
طغرل بك على بغداد ٤٦٢ هـ / ١٠٧١ م • بداية الحروب
الصليبية ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م • سيطرة الاتابكة في الموصل على يد
عماد الدين زنكي احد قواد ملكشاه السلجوقي •

هـ - الدور الخامس : ٥٣٠-٦٥٦ هـ / ١١٣٦-١٢٥٨ م

- سقوط بغداد على يد المغول (هولاكو) ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م •

السلالات المغولية والتركمانية والفارسية :

- ١ - الایلخانیون ٦٥٦-٧٣٨هـ / ١٢٥٨-١٣٣٨م
- ٢ - الجلائریون ٧٣٨-٨١٤هـ / ١٣٣٨-١٤١١م
- ٣ - القره قوینلو ٩١٤-٩٧٤هـ / ١٤١١-١٤٦٨م
- (الخروف الاسود ، الشاه محمد بن قره یوسف)
- ٤ - الآق قوینلو ٨٧٤-٩١٤هـ / ١٤٦٩-١٥٠٨م
- (حسن الطویل اوزون)
- ٥ - الصفویون ٩١٤-٩٣٠هـ / ١٥٠٨-١٥٢٣م
- الشاه اسماعیل ١٥٠٨-١٥٢٣ ، الشاه طهماسب
- الصفویون مرة ثانية ٩٣٦-٩٤١هـ / ١٥٢٩-١٥٣٤م
- ٦ - الاتراك العثمانيون ١٥٣٤-١٩١٧م

لِحَضْرَاتِ الْعِزَّةِ الْأَرْبَعِ الْعِزَّةِ الْقُدُّمِ

مقدمة في الخصائص العامة

حوار أدبي قبل أكثر من أربعة آلاف عام :

elima ina eli tillani labinuti italak
amur gulgullete arkuti u panuti
ayyu bel limmuti-ma ayyu bel usati

اعل فوق الاطلال القديمة وتمش عليها
وانظر الى جماجم المتأخرين والماضين
فأيهم الاشرار وأيهم الصالحون ؟

هذه الايات التي اوردنا نصها بلفظها في اللغة انبالية بالحروف اللاتينية وترجمتها العربية جزء من قصيدة وضعت على هيئة حوار (dialogue) تهكمي فلسفي بين سيد وعبد عاشا قبل « هوميروس » وغيره من شعراء العالم القديم المشهورين بعشرات القرون ، في احدى تلك المدن القديمة التي شيدت في سهول وادي الرافدين وازدهرت في آدابها وفنونها ومعارفها قبل ان تظهر الى الوجود أثينه ورومه بفرون كثيرة . ومع ان تلك المدن القديمة لم يبق منها الآن سوى رسومها ممثلة بالالوف الكثيرة من الاطلال الدارسة المنتشرة في ربوع العراق ، بيد انها تحدث فناء الزمن وتسامت على قول الشاعر الامريكي « لونك فيلو » (Longfellow) لانها تركت وراءها اكثر من « آثار اقدام لها على رمال الزمن » . اجل انها خلفت من بعدها تراث « الكلمة المدونة » . والكلمة المدونة كانت ولا تزال جوهر الانسانية وفكرها الذي يميزها عن المملكة الحيوانية . واذا كانت « الكلمة » ، وهي سر الوجود وأصل الوجود ، قد كانت منذ البدء ، وجدت منذ ان وجد الانسان وميزته عن سائر المخلوقات ، فان معجزة « تدوين الكلمة » قد تحققت في وادي الرافدين لأول مرة في مسيرة الانسان المضيئة عبر العصور المتطاولة ، وعندئذ انتقلت البشرية من ظلام « أميتها » التي

استغرقت بحور نسعه وتسعين بالمائة من عمر الانسان على هذه الارض قبل زهاء مئتي عام . وسرعان ما تطورت الكلمة المدونة في حضارة وادي الرافدين فصارت أدبا وتأريخا وعلماء ، فشرعت طاقات الفكر الانساني وابداعه تتفتح وتزدهر ، والتجارب والخبرات البشرية تتراكم وتتوارثها الاجيال عن طريق « الكلمة المدونة » التي لولا ظهورها في حضارة وادي الرافدين لما ازدهرت أثينه ورومه وغيرها من مراكز الحضارات البشرية في عنومها وآدابها وفلسفتها .

وشاءت الصدفة الحسنة ان لا يجد **كبة العراق القديم** **ايسر** واسهر من « الطين » يدونون فيه الكلمة اي الفكر . فالطين ، بخلاف سائر مواد الكتابة التي استعملتها الحضارات الاخرى ، لا يفنى . انه « طين العراق الخالد » الذي حفظ لنا اولى تجارب رائدة في تاريخ البشرية حققها العراقيون القدامى يوم انتقلوا الى الحضارة والمدنية ، وهي التجربة المثيرة في تاريخ تطور الانسان المديد ، والتي لاتزال البشرية تعيشها وتعانيها بخيرها وبسرها .

مميزات أدب العراق القديم وخصائصه العامة :

قبل أن نتناول بالوصف أشهر القطع الادبية التي وصلت الينا من أدباء العراق القديم ، نمهد لذلك بإيراد بعض الملاحظات التوضيحية عن خصائص أدب العراق القديم وميزانه العامة :

١ - قدم أدب حضارة وادي الرافدين :

ونبدأ من هذه الخصائص العامة الموضحة بالبرهنة على أن أدب حضارة وادي الرافدين أقدم أدب انتجه الانسان ، على ما اجمع عليه الباحثون في تاريخ الحضارات القديمة ، فكان بذلك اولى المحاولات في تاريخ الانسانية للتعبير عن الحياة وقيمها ومعانيها بأسلوب الفن الادبي . ولكي لا يكون

هذا الرأي من فيل ارسال القول على عواهنه ينبغي الا مكتفي بمجرد الاستشهاد باجماع الباحثين ، بل ندلل على ذلك بانتهاج اسلوب البحث العلمي بأن نقارن ما بين زمن أدب وادي الرافدين وبين أزمان آداب الحضارات القديمة الأخرى . وموجز ما يقال بهذا الصدد إنه على الرغم من ان الزمن الذي دونت فيه أشهر النصوص الأدبية في حضارة وادي الرافدين لا يتجاوز اواخر الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق.م إلا أن تلك النصوص الأدبية قد تم ابداعها وانتاجها في أزمان أقدم من عهد تدوينها ، وقد تناقلتها الاجيال المتعاقبة بالرواية الشفهية فوقع فيها الكثير من التطور الى ان بدأ انعم يدونونها في الواح الطين باشكالها النهائية الأخيرة التي جاءت فيها الينا منذ مطلع الألف الثاني ق.م.

فاذا قارنا قدم هذا الادب ، سواء كان ذلك من ناحية زمن ابداعه أم زمن تدوينه ، بأقدم آداب انتجت الحضارات القديمة وجدناه يسبق جميع ما انتجه الفكر البشري بعشرات القرون . فبالمقارنة مع حضارة مصر القديمة مثلا لما يأتنا شيء من أدبها من عصر ازدهارها في العصر المسمى في تاريخ حضارة وادي النيل بعصر الاهرام (الألف الثالث ق.م) وخلف الكنعانيون الذين كانوا من أشهر واكبر الأقوام السامية التي استوطنت الاقسام الساحلية من بلاد الشام ، تنجا أدبيا مهما يرقى في زمنه الى منتصف الألف الثاني ق.م ، كما اظهرت ذلك الاكتشافات الأثرية الحديثة في المستوطن الكنعاني القديم المسمى « أوغاريت » (رأس الشمرا الان بالقرب من اللاذقية)^(١) ، أي ان زمن هذا الادب الكنعاني متأخر بالنسبة الى أدب

(١) حول النتائج الباهرة التي اظهرتها التنقيبات الأثرية الفرنسية في أوغاريت منذ عام ١٩٢٨م ، راجع ايجاز ذلك في كتابي « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » (الجزء الثاني ١٩٥٦) وكذلك :

C. Schaffer, Ugaritica, III, (1956); Acta Orientalia, (1955), Virolleaud, Palais Royale d'Ugarit, (1957),

وعن نصوص الادب الكنعاني :

Pritchard (ed.), Ancient Near Eastern Texts, (1969).

حضارة وادي الرافدين بما لا يقل عن خمسة قرون • وناخذ الادب
العبراني على سبيل المقارنة حيث لا يتعدى زمن اقدم نتاج له ، ممثلاً
باسفار التوراة ، القرن السادس ق.م ، اي انه متأخر عن عهد أدب العراق
القديم بعشرات القرون • ونسوق للمقارنة ايضاً اقدم ادب انتجته الحضارة
الاغريقية ممثلاً بالاولديسة والالياذة المنسوبتين الى هوميروس واللتين لا
يتجاوز زمن تدوينهما القرن السابع او الثامن ق.م على اكثر تقدير • ومثل
هذا يقال عن أقدم أدب خلفته الهند القديمة • ونعني نصوص
ال « رگفيدا » (Rig veda) وادب ايران القديمة الذي تمثله الافستا
(الابستاق Avesta) •

وسيتضح من الامثلة التي سنوردها عن النصوص الادبية في العراق
القديم انه على الرغم من سبق هذا الادب جميع الآداب العالمية المشهورة
التي عددناها ، فانه لما يثير الدهشة في الباحث الحديث ان يجد ذلك الادب
الموغل في القدم يتميز بالمقومات الاساسية التي تميز الآداب العالمية الشهيرة ،
سواء كان ذلك من ناحية الاسلوب وطرق التعبير ام من ناحية الموضوع
والمحتوى والصبر الفنية المعبرة ، والاصالة والجرأة وأهمية الموضوعات
التي تناولها •

٢ - وبالإضافة الى صفة القدم فان أدب حضارة وادي الرافدين يتميز
على الآداب القديمة بخاصية أخرى مهمة ، تلك هي ان معظم تلك الآداب
القديمة قد طرأ عليها الكثير من التحوير والتبديل والحذف والاصافة على
ايدي النساخ والجامعين والشرح ، في حين ان الادب السومري والبابلي
قد جاء بهيئته الاصلية غير محور كما دون باقلام الكتبة على الواح الطين
قبل نحو (٤٠٠٠) عام^(٢) • وهي الألواح المدونة بالخط الذي أطلق عليه

(٢) انظر :

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, (1944)

وعن الخط المسماري واصله وحل رموزه راجع كتاب المؤلف « مقدمة

في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ •

مصطلح الخط المسماري (Cuneiform)

ومن الطريف ذكره بهذا الصدد انه مع هذا القدم الموغل في الزمن فإن ادباء العراق القديم عدوا انفسهم حديثي العهد في الحضارة وانهم ورثاء ماض مجيد متقدم العهد ، تخلوه على هيئة « عصر ذهبي » كان السلام والخير يسودان الارض فيه ، فلا خوف ولا حزن ولا بغضاء ولا حيوانات مفترسة تنازع الانسان البقاء ، وكان « البشر بلسان واحد يمجدون الاله أنليل » ، كما ورد ذلك في احدى الاساطير السومرية^(٣) . ولا يخفى ان هذه الفكرة التي تصور عهدا متخيلا كان البشر فيه اسعد من عصرهم الراهن قد انتشرت الى كثير من الاقوام على هيئة « الماضي الذهبي » ، ولم تتمكن فكرة « التقدم » من الانتشار الا في العصور الحديثة ، ولا يزال الكثير من اهل العصر الحاضر من يتصور وجود ذلك « الماضي الذهبي » .

٣ - نسبة عدد النصوص الادبية في مجاميع الواح الطين المكتشفة :

اذا كانت مصادرنا عن أدب العراق القديم النصوص الاصلية المدونة بالخط المسماري في الواح الطين ، فما مقدار الالواح التي تتضمن هذه النصوص الادبية بالنسبة الى عدد ما جاء اليها من مجموع الواح الطين التي اكتشفت في بقايا المدن القديمة ؟ وما المقصود في مصطلح النصوص او الالواح الادبية ؟ وللإجابة على هذا السؤال بوجه الايجاز نقول ان ما استخرج من الواح الطين المختلفة النصوص الى هذا اليوم يبلغ مئات الالوف ، وقد يناهز المليون لوح مما هو موزع الان في المتاحف العالمية المشهورة . على ان هذا العدد ، على كثرته ، لا يؤلف في الواقع الا نسبة غير كبيرة مما لا يزال مطمورا في الاطلال القديمة المنتشرة في شتى ربوع العراق وفي بعض الاقطار المجاورة التي اقتبست حضاراتها القديمة الخط المسماري من وادي الرافدين في تدوين لغاتها ومعه الكثير من التراث الأدبي والفني من

Kramer, Ibid.

(٣)

حضارة وادي ارافدين مثل العيلاميين في الاجزاء الجنوبية الغربية من ايران ، والفرس الاخمينيين والحثيين في بلاد الاناضول وبعض الاقوام في بلاد الشام . اما تخمين نسبة عدد الألواح المدونة بالنصوص الادبية الى عدد ما ذكرناه من مجموع ما جاء الينا من الواح الطين المختلفة فهي نسبة قليلة ، لا يتجاوز عددها بضعة الاف ، لعله ما بين ثلاثة الى اربعة الاف لوح . بيد انه لا يمكن التمهّن عما سيكشف عنه المستقبل من نصوص ادبية اخرى قد تغير وتضيف الى معرفتنا الراهنة بادب العراق القديم اشياء كثيرة ، ولكن مع ذلك يمكن القول بوجه عام ان ما كشف عنه وتم درسه ونشره من نصوص أدبية لحد الان يعبر عن المعدل أو الصورة العامة لنصوص هذا الادب من حيث المواضيع التي تناولها وخصائيسه ومفوماته العامة المميزة .

ومع انه يمكن اجمال ما نقصده بالألواح الادبية بانها النصوص الكتابية التي لا تتعلق بتدوين شؤون الحياة الاعتيادية كالمعاملات التجارية والقانونية والرسائل والشؤون الادارية ، وان كل ما عدا مثل هذه النصوص الاعتيادية يدخل في صنف النصوص الادبية - نقول مع ذلك ان هذا التعريف مبهم أو سالب فينبغي لنا أن نضيف الى ذلك ان اعتبارنا لهذا الصنف من الواح الطين على انه نصوص ادبية يستند الى المفاهيم المتعارف عليها في الادب ، من ناحية اسلوب التأليف اللغوي كوسيلة للتعبير الفني لنقل التجارب والصور والخبرات والاحاسيس الى القارئ أو السامع ، الى غير ذلك من الخصائص التي يتصف بها النتاج الادبي في جميع العصور ، وبالوسع ايجاز ذلك في ثلاثة امور :

- أ - الموضوع او الفكرة التي تعبر عنها القطعة الادبية .
- ب - الاسلوب الادبي الفني ، سواء كان شعرا ام نثرا ، المتميز بطراز خاص من النظم والتأليف المؤثر في مشاعر القارئ او السامع .

ج - اختيار الحوادث والمواقف المؤثرة بالنسبة الى مفاهيم الحضارة التي انتجت الادب المبحوث فيه . وسيتضح مما سنذكره من القطع الادبية من حضارة وادي الرافدين تحقق هذه المقاييس الابنية المتعارف عليها .

٤ - الازدواج اللغوي في أدب حضارة وادي الرافدين :

من الملاحظات المهمة التي يجدر ذكرها في هذه المقدمة لفهم ادب العراق القديم امر يتعلق باللغة التي دون بها هذا الادب . فمن الحقائق التاريخية المعروفة عن حضارة وادي الرافدين انها كانت ، من الناحية اللغوية ، مزدوجة اللغة او ثنائية اللغة (bilingual) (*) حيث اللغتان المشهورتان : اللغة السومرية واللغة الاكدية (أي البابلية والاشورية) ، وهي الفرع الشرقي من عائلة اللغات السامية^(*) فاللغة الاولى ، اي السومرية ، كانت لغة السومريين الذين لا نعرف عن اصلهم ومهدمهم اشياء مؤكدة سوى انهم ليسوا ساميين ولغتهم ليست من عائلة اللغات السامية ولا من عائلة اللغات الهندية - الاوربية ، أو أية عائلة لغات أخرى معروفة . وكانت السومرية منذ ظهور التدوين أي الكتابة في حضارة وادي الرافدين في أواخر الالف الرابع ق.م اللغة السائدة في التدوين على الرغم من وجوه الساميين في بلاد وادي الرافدين جنبا الى جنب مع السومريين منذ بداية الاستيطان البشري في السهل الرسوبي في مطلع الالف الخامس ق.م . وكان الطابع الثقافي والسياسي المميز في الادوار القديمة من حضارة وادي الرافدين الثقافة السومرية بلغتها وأدبها ومعارفها المختلفة . ولكن سرعان ما برز كيان الساميين السياسي كما برزت لغتهم في التدوين بشكلها الاكدي في عهد

(*) راجع ايجاز هذا الموضوع في كتابي الموسوم : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول (الطبعة الثالثة ١٩٧٣) وفيه الاشارات الى الدراسات والبحوث المختلفة في الموضوع .

السلالة الاكدية السامية (٢٣٧٠-٢٢٣٠ ق م) التي اسسها سرجون الاكدي الشهير . وتزايد اساع التدوين والتكلم بها ايضا حتى طغى على اللغة السومرية منذ مطلع الالف الثاني ق م وساد الساميون في الحياة السياسية ايضا . ولكن مع زوال السومريين من الحياة السياسية في الالف الثاني ق م ظلت لغتهم ، مثل اللاتينية في أوربة ، لغة ثقافية أساسية ، كما بقيت الثقافة السومرية حية واستمر التدوين بالسومرية جنبا الى جنب مع اللغة الاكدية بفرعيها الاساسيين البابلية والاشورية الى آخر عهود وادي الرافدين تقريبا .

واستتبع عن هذا الازدواج اللغوي في حضارة وادي الرافدين نتائج ثقافية ولغوية وكتابية كثيرة لا مجال لذكرها في هذا الموضوع ، فيكفي ان نقول من ناحية موضوعنا انه لا يمكن فهم النصوص الادبية في هذه الحضارة ما لم يؤخذ بنظر الاعتبار هذا الازدواج اللغوي ، سواء كان ذلك من ناحية ترجمة الكثير من القطع الادبية السومرية الى اللغة البابلية ، أم من ناحية تأثر النتاج الادبي البابلي باصول سومرية ، أم من حيث استعمال الكثير من المصطلحات الكتابية السومرية في القطع الادبية البابلية ، وتأثر هذه القطع بالأساليب اللغوية الادبية السومرية . وان هذا يصدق بوجه عام على فهم جميع النصوص الكتابية الاخرى التي خلقتها حضارة وادي الرافدين .

هـ - تحملنا هذه الحقيقة على ذكر ملاحظة اخرى تتعلق بمدى تفهمنا ، نحن ابناء الازمان الحديثة ، للنصوص الادبية التي جاءتنا من حضارة وادي الرافدين عن طريق ترجمتها من جانب المختصين الى اللغات الحديثة . فمما يقال بهذا الصدد انه على الرغم من ان فهم الباحثين المختصين باللغتين السومرية والبابلية لنصوص هذا الادب مستند الى اسس علمية لا يرقى اليها الشك من بعد حل رموز الخط المسماري منذ منتصف

القرن الماضي(*) ، وان هؤلاء المختصين متفقون على ترجمة القطع الادبية باستثناء اختلافات واجتهادات كثير منها غير جوهري - نقول مع كل ذلك ومهما بلغت ترجمة هؤلاء الباحثين من دقة الاداء فانها لا تستطيع ان تنقل لنا الروح الاصلية والمناخ الفكري والعاطفي المميز لتلك النصوص ، شأنها في ذلك شأن الاداب العالمية الاخرى اذا ما نقلت من لغاتها الاصلية الى لغة اخرى ، لاسيما في حالة نتاج أدبي مثل ادب حضارة وادي الرافدين تبعدها عنه الاف السنين . ولعله يمكن القول بهذا الصدد ان نقل النصوص الادبية الى اللغة العربية يخفف جانبا كبيرا من تلك العقبة ، فاللغة العربية البقية اللغات في التعبير الدقيق عن هذه النصوص لانها أخت اللغة البابلية ، فكلاهما من عائلة لغوية واحدة ، هي عائلة اللغات السامية المتشابهة افرادها في تراكيها اللغوية ومعاني مفرداتها ولفظ هذه المفردات ، ناهيك عن التشابه القوي ما بين العرب وبين الاقوام السامية الاخرى ومنهم الاكديون والبابليون والآشوريون .

٦ - تراث ادب حضارة وادي الرافدين في الحضارات الاخرى :

بالاضافة الى ميزة القدم التي نوهنا بها عن أدب العراق القديم وانه يسبق أقدم أدب عرفه الاسان ، فان لهذا الادب أهمية خاصة في تاريخ تطور الحضارات البشرية والفكر الانساني ، تلك هي اجماع مؤرخي الحضارة على عظم التراث الذي خلفه ذلك الادب في الحضارات القديمة الاخرى والثقافات المعاصرة ، فهو على ذلك لا يقتصر على كونه ادبا قديما مثل دوره في تطور الفكر البشري ومات ، بل انه لا يزال حيا عن طريق التأثيرات التي خلفها في آداب الحضارات الاخرى التالية .

(*) عن ايجاز الطرق التي اتبعت في حل رموز الخط المسماري راجع كتابي : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة (١٩٧٣) .

واذا كان بسننر الاستشهاد بالعناصر الحضارية الكثيرة التي انتقلت من حضارة العراف القديم الى الحضارات الاخرى - ولعل انشأه سيفف على مائة من هذه التأثيرات في اثناء تصفحه القطع الانبئة التي سنعردها - يقول اذا تذكر ذلك فنكتفي من الموضوع بايراد الاسس المعتمدة في منهج البحث التاريخي فيما يتعلق بافتباسات الحضارات بعضها من بعض ، وقد استطاع الباحثون بانتهاجها البرهنة على الحقيقة التي ذكرناها ، ويمكن ايجازها في الاسس الثلاثة الآتية :

أ - اثبات السبق الزمني لادب حضارة وادي الرافدين ، وقد سبق ان برهنا على ذلك .

ب - اثبات وجود الاتصالات التاريخية وتحديد الطرق التي انتقل فيها الكثير من العناصر والمقومات من حضارة وادي الرافدين منذ أقدم عهودها الى الحضارات الاخرى . وتأتي في مقدمة الاتصال هذه الاتصالات التجارية والحروب والفتوح والاسفار ، فقد ثبتت الاتصالات التاريخية ما بين العراق القديم وبين اقطار كثيرة في الشرق الادنى وحنى اقطار نائية مثل سواحل الهند ، ونشير الاخبار التاريخية والادلة الآثارية الى امتداد فتوح سرجون الاكدي (٢٣٧٠-٢٣١٦ ق م) وحفيده « رام - سين » (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق م) الى اناليم نائية مثل الاناضول وكريب وفبرص واقطار اخرى في حوض البحر المتوسط . وازدادت هذه الفتوح اتساعا في العصور التي اعتقت العهد الاكدي ، ولاسيما الفتوحات الاشورية الواسعة التي نتج عنها اتصالات بعيدة بين اقوام حضارة وادي الرافدين وبين الاقوام القديمة ومنها بعض القبائل اليونانية في سواحل الاناضول الغربية . وكشفت التحريات الآثارية الحديثة عن بقايا مستوطنات واسعة اقامها الاشوريون في عصرهم القديم (مطلع الالف الثاني ق م) في الاناضول حيث المركز التجاري الشهير في المدينة القديمة المسماة « كانيش » (وتعرف بقاياها الان

باسم كـول تبه باقرب من قيصرية^(٤) ، وفد عشر حديا في « لارنكا » في قبرص على مواد أثرية من حضارة وادي الرافدين من بينها اختام اسطوانية يرجع عهد بعضها الى العصر الاكدي (اواخر الالف الثالث ق.م)^(٥) .

ج - اما الأساس الثالث فهو اثبات مواطن شبه اساسية في الاحداث والافكار والابطال من أدب حضارة وادي الرافدين في أساطير الامم القديمة وأدائها . وترك انتبسط في هذا الموضوع الى القارئ من بعد وقوفه على النصوص الادبية التي سنعرضها وسيجد فيها الموارد المتعددة من أوجه الشبه هذه .

٧ - وانى هذا فان لادب العراق النديم اهمية وخطورة خاصين في فهم مقومات حضاره واي الرافدين وواجهها المختلفة والطابع المميز لها . فان النصوص الانبية التي وصلت الينا من هذه الحضارة ، مثل ملحمة جلجامش الشهيرة وقصص الخليفة والاساطير الخاصة باصل الوجود والاشياء وغيرها من القطع الادبية التي ستناولها ، تعد عند الباحثين منجما زائرا يستفون منه اسس هذه الحضارة واتجاهاتها وعقائدها الاساسية ، فهي اصدق ما ينقل لنا احوال اقدم المجتمعات الانسانية وعقائده ونظراته الى أسل الاشياء والالهة ونظام الحكم ، كما تصور لنا احوال البيئة البشرية والطبيعية التي نمت فيها تلك الحضارة . فان الدارس لتتاج العراقيين القدماء الادبي يستطيع ان يقف على طبيعة تفكيرهم في الدون والحياة ، ذلك التفكير الذي كان تتاجهم الادبي مظهرا من مظاهره ، ووجهها من اوجهه . وسنرى ان النزعة الغالبة على ذلك التفكير الاتجاه الاسطوري الشعري (methopoetic) . ومما يقال بوجه عام انه ، باستثناء مواضع قليلة ، لايسعنا

(٤) راجع عن تأريخ هذا المستوطن التجاري الاشوري وما وجد فيه من سجلات وشرائع بالخط المسماري واللغة الاشورية القديمة ، الجزء الاول من كتابي السالف الذكر الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ ، الفصل الخاص (٥) انظر : C. H. Gordon, Before the Bible, (1962).

ان نسمي ما خلفوه فكرا فلسفيا بالمعنى الدقيق لهذا النمط من التفكير الذي يستند الى الاستدلال والنقد والاستنتاج المنطقي والتأمل والنظر في الاشياء نظرا موضوعيا . ومع انهم عالجوا في اساطيرهم وانواع كتاباتهم الاخرى قضايا مهمة لا تقل شأنًا وخطورة عما كان يشغل الفلسفة اليونانية والفكر الحديث، بيد أن تفكيرهم في مثل هذه القضايا كان ، كما قلنا ، تفكيرًا خيالياو اسطوريا وشعريا . واذا كانت الاساطير والقصص معروفة في الآداب الحديثة الا أن أدباء وادي الرافدين القدامى لم ينظروا الى اساطيرهم على أنها متعة أدبية فنية حسب بل كانوا يعدون ما فيها من آراء حقائق معتبرة في تفسير الوجود والاشياء . وعلى هذا ينبغي لنا ان ننظر الى أساطيرهم على أنها تعبر عن حقائق الكون بحسب معتقداتهم بالاضافة الى كونها نتاجا أدبيا . انها كانت تفسر لهم نفس القضايا الاساسية التي عالجتها الفلسفة اليونانية بأسلوب أو منهج موضوعي مستند الى الاستدلال المنطقي . واذا ما وجدنا فيما سنذكر من قطع ادبية تناقضا في الآراء والمعتقدات عن أصل الكون والاشياء فان ذلك متوقع في التفكير الاسطوري الشعري لان التناقض لا يبدو الا للفكر الموضوعي المنطقي الذي يجاوزه ويسمو عليه خيال الشاعر الفنان ، ذلك الخيال الذي يكون فيه الحد ما بين الاحلام وبين اليقظة مختلطا غير واضح المعالم . والواقع ان الرؤى لم تكن اقل نصيبا من الحقيقة في اليقظة فكان القوم يحصلون على التوجيه والإرشاد الالهي عن طريق اتصالهم بالآلهة في الاحلام . واذا ما حاولنا العثور في اساليب تفكيرهم على ما نسميه بقانون « العلية » (Law of Causality) ، الذي هو اساس منهج العلوم الحديثة ، فاننا لا نجد له آثارا واضحة . انهم كانوا ينظرون الى علل الاشياء والحوادث من وجهة نظر من « يحدثها » وليس « كيف تحدث » أو « لماذا تحدث » ؟ فمثلا اذا لم ترتفع مياه دجلة كان السبب في ذلك ان النهر ابي ان يرتفع لغضبه او لغضب الآلهة التي تحكمه على البشر . وكان حكمهم على الانبياء

والحوادث يستند بالدرجة الاولى الى مبدأ التمثيل والقياس (analogy) اكثر من استناده الى الاستنتاج والاستدلال (inductive and deductive) ويظهر هذا واضحا في السحر وطرق العرافة والكهانة وتصنيفهم للاشياء على أساس التشابه الظاهري ، مثل تصورهم للسماء على هيئة الارض ، والارض على هيئة السماء حتى انهم اعتبروا السماء وكأنها دولة او دسلكة تحكم فيها الآلهة بمراتب ودرجات متفاوتة ويجتمعون في مجالس للشورى ويتخذون فيها القرارات الخطيرة على غرار المجتمع البشري في بلاد وادي الرافدين ، كما ان مبدأ التشبيه (Anthro-pomorphism) (*) الذي تتصف به آلهتهم مشتق من هذا النمط من التفكير .

ومن انماط التفكير الاخرى التي سيستنتجها القارىء من بعض القطع الادبية التي سنوردها ما يصح ان نسميه مبدأ « الاسم » الذي بموجبه لا يمكن لاي شيء أن يوجد ما لم يكن له اسم ، فتسمية الشيء مرادفة لوجوده او ايجاده ، ويظهر هذا واضحا في اسطورة الخليفة البابلية التي عبرت عن حالة الكون قبل وجود السماء والارض بالقول ، « لم تسم السماء في العلاء وفي الاسفل لم تذكر الارض باسم » . والجدير بالذكر في هذا الصدد أن حضارة وادي الرافدين لم تفرد بهذا الامر ، اذ نجد عند العبرانيين في رواية التكوين في التوراة (+) ، وكان الاسم في حضارة وادي النيل جوهر الشيء وسر وجوده وقوته ، فكان للآلهة أسماء سرية تكمن فيها قدرتهم وقوتهم فلا يبوحون بها ، وامتدت الفكرة عند المصريين القدماء الى أسماء الاشخاص من البشر ، فكانوا يسمون الفرد باسمين ، اسم سري وآخر

(*) تعزى بموجب مبدأ التشبيه الى الآلهة صفات البشر الروحية والمادية .

(+) انظر سفر التكوين ٢ : ٥-٥ وانظر أيضا سفر الخروج ٣ : ١٣-١٤ حين سأل موسى الله عن اسمه لم يبح به بل قال : « انا من انا » .

هو الذى يدعى به بين الناس • وسرى من اسطورة الخليفة البابلية كيف ان الآلهة اجتمعت في مجلس الشورى وانتخبت الاله « مردوخ » كبير آلهة بابل ، ملكا عليا ليحارب قوى لعماء والدمار الممثلة بالآلهة العتيقة ، ولكي تمكنه من ذلك تنازلت عن اسمائها ، فصار هذا الاله يحوز على « خمسين اسما » كل منها يمثل سر القوة والقدرة التي يملكها كل منهم • وكان البشر في بعض الحالات يستطيعون ان يستعينوا بما في اسماء الالهة من قوة ومناعة بمجرد كتابة اسم الاله ، واتسعوا في هذا المبدأ بحيث انهم صاروا يرمزون الى الاسماء بالعدد • فمثلا يخبرنا الملك الآشورى سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق م) عن قصره في المدينة التي ابتناها وسماها باسمه « دور - شروكين » (خرسباد الآن) بقوله : « بنيت جدار سورها بمقدار (١٦٢٨٣) ذراعا وهو رقم اسمي » (*) • ولما كان الاسم جوهر الشيء وسر وجوده نشأت عندهم فكرة تسمية الاشخاص والاشياء المحببة باسماء تطوي على اليمن والقال الحسن (**) ، ونجد هذا المبدأ عاما تقريبا في اسماء الاعلام التي يغلب عليها ان تكون اسماء مركبة تؤلف جملة كاملة ويدخل فيها اسماء الآلهة • وبالنسبة الى اسماء الاشياء مثل المباني نذكر بعض الامثلة من اسماء الكثير من محلات مدينة بابل وشوارعها ومبانيها مثل اسم شارع الموكب الذي ورد اسمه في النصوص السامرية بهيئة « أى - يعبر - شابو » (ai-ibur-shabu) ومعناه « عسى ألا يعبر العدو » • واسم بوابة عشتار الشهيرة : « عشتار - شاكبة - تيشا » (Ishtar-shakibat-Tebisha) اى « عشتار قاهرة اعدائها » •

وخلاصة ما يقال بهذا الصدد ان المعتقدات الدينية قد أثرت في أدب العراق القديم بوجه خاص وفي انواع الفنون الاخرى بوجه عام ، شأنها في ذلك شأن الحضارات القديمة الاخرى ، سواء كان ذلك في اشتراك

(*) لعل هذا اصل المبدأ الخاص باعطاء الحروف قيما عددية •

(**) قارن ذلك بالمثل اللاتيني : « الاسم فال (nomen est omen)

الآلهة باحداث الملاحم البطولية والقصص والاساطير ام في المواضيع والاغراض الدينية المتنوعة كالتراتيل والادعية والابنهالات والصلوات التي كانت تؤلف قسما مهما من النتاج الادبي الشعري ، اذ انها كانت تنظم شعرا • أما النثر ، ولا سيما النثر الادبي ، فقد استخدموه في أغراض أدبية اخرى مثل تدوين الحوادث التاريخية والرسائل الملكية وتدوين اعمال الملوك وحملاتهم الحربية والشرائع والحكم والامثال والمواعظ •

٨ - الاعادة والتكرار واستباق نتائج الاحداث :

ومن الميزات العامة التي سيلاحظها القارئ لاشهر النصوص الادبية مثل ملحمة جلجامش واسطورة الخليفة ظاهرة التكرار والاعادة مما يبعث السأم والملل عند القارئ الحديث ، فمثلا اذا ارسل احد الآلهة رسولا ليبلغ أمرا ما الى اله آخر فان الرسول يعيد جميع الايات التي قالها الاله المرسل مهما بلغ عددها • والطريف ذكره يصدد هذه الظاهرة ان الباحثين المحدثين قد افادوا منها كثيرا في الاستعانة بها لاكمال مواطن كثيرة قد انخرمت وضاعت من النصوص الاصلية في الواح الطين • ومهما كان الامر فان ادب العراق القديم لا يتفرد بهذه الظاهرة بل يضاهيه فيها الكثير من آداب الأمم القديمة مثل الالبادة والاوديسة • وقد استند بعض الباحثين الى هذه الظاهرة في مثل هذه الآداب العالمية فارجع اصلها الى الانشاد والرواية الشفوية ، حيث كان المنشد يستعين بالتكرار والاعادة ليستعيد الى ذاكرته ما سينشده من ابيات قالية •

ومن الخصائص الاخرى التي يلاحظها الفاحص لنصوص أدب وادي الرافدين - والمثال على ذلك واضح في ملحمة جلجامش - ما يصح ان نطلق عليه « استباق الاحداث » او « استباق النتائج » (Anticipation) اي استباق ما ستمخض عنه الرواية او القصة والتنويه بالحل والنهاية • ففي ملحمة جلجامش مثلا تبدأ الرواية بديباجة في التعريف ببطل الرواية

والتغني بامجاده وتنوء ايضا بمجمل موضوع الرواية وخاتمتها • ونجد ما يضاهي هذا في الملاحم العالمية المشهورة مثل الالياذة والاوديسة والملحمة الجرمانية المسماة « اغاني النيبيلونك » (*) ، والمرجح ان يكون تفسير هذا في تحريك السامع وتشويقه الى احداث الرواية ، ولعله يمكن تشبيه هذا الاسلوب من الفن القصصي القديم باساليب العرض السينمائي الحديثة ، حيث يبدأ بعض الافلام بلقطة من خاتمة الرواية او من اهم احداثها ، ثم تبدأ حوادث الرواية بالتسلسل ، وتنتهي بالمشهد الذي بدأت به • واستنادا الى هذه الظاهرة فان حقيقة كون بدايسة ملحمة جلجامش او ديباجتها مضاهية لخاتمتها دليل على ان النصوص التي وصلت الينا منها تمثل الملحمة كاملة تقريبا •

٩ - الفهارس والسجلات والمكتبات :

لعلنا لا نبأثع اذا قلنا ان حضارة وادي الرافدين فاقت معظم الحضارات القديمة في كثرة التدوين الذي شمل جميع شؤون الحياة الخاصة والعامة • وتميز بعض عصورها بوفرة ما جاء الينا منه من الواح الطين التي لعلها تجاوز المليون لوح مما كشف عنه لحد الان من المهود المختلفة مثل عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) ، لعسله في حدود ٣٠٠٠٠ الى ٤٠٠٠٠ لوح ، والعصر البابلي القديم (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م) في حدود ٥٠٠٠٠ الى ٧٠٠٠٠ لوح والعصر الاشوري الحديث ما يناهز ٨٠٠٠٠ لوح ثم العصور المتأخرة مثل العصر البابلي الحديث (منتصف القرن السادس ق.م) والعصر الفارسي الاخميني (٥٣٩-٣٣١ ق.م) والعصر السلوقي والفرثي (٣١١ ق.م - ٢٢٦ م) •

(*) اغاني النيبيلونك (Niebelunglied) ملحمة جرمانية مشهورة في آداب القرون الوسطى ، وتدور احداثها ، مثل ملحمة جلجامش ، على مغامرات البطل « سيففريد » في « أرض الظلام » مع ملوكها البورغنديين وقتلهم له ثم ثار زوجته له النج •

وبالنسبة إلى التدوين بدأت غزارة النصوص الأدبية منذ العصر البابلي القديم وسنرى من تلخيص القطع الأدبية كثرة النسخ التي خلفها كتبة العراق القديم في الأزمان المختلفة ابتداء من العصر البابلي القديم المار الذكر • ولعل ابلغ مثال نسوه في تاريخ التدوين والولع بجمع النصوص المختلفة لشئى صنوف المعارف التي اشتهرت بها حضارة وادي الرافدين .خزانة كتب الملك الآشوري الشهير « اشور بانيال » (٦٦٨-٦٢٦ ق م) في نينوى حيث كشفت التنقيبات القديمة فيها (منتصف القرن التاسع عشر) عن مجاميع ضخمة من الواح الطين التي حوى الكثير منها كنورا من ادب حضارة وادي الرافدين ، وهي نسخ من نصوص اقدم عهدا ، وقد نظمت المكتبة الملكية في مجموعات حسب موضوعاتها كما سنوضح ذلك بعد قليل •

ويجدر ان نشير بهذا الصدد الى ان احد الباحثين اكتشف في السنوات القليلة الماضية بعض النصوص التي تدل على وعي ادبي في فهرسة النقطع الأدبية ، فقد وجد من بين الواح الطين التي عثر عليها في مدينة « نفر » في أثناء التحريات القديمة فيها لوحين أحدهما موجود الآن في متحف اللوفر (في باريس) والاخر في متحف جامعة فيلادلفيا وهما يتضمنان عناوين من مؤلفات ادبية سومرية • ويحتوى لوح فيلادلفيا على ٦٢ عنوانا ولوح اللوفر على ٦٨ عنوانا ، واذا اخرجنا ٤٣ عنوانا مشتركا في اللوحين فيكون عدد العناوين المسجلة فيهما ٨٧ عنوانا لنصوص ادبية امكن تعيين ٢٨ تأليفا منها حيث وجد اصله الكامل في اللواح المكتشفة سابقا^(٦) •

(٦) درس هذين اللوحين ونشرهما الاستاذ « كرامر » • انظر : S. N. Kramer. "The Oldest Literary Catalogue" in Bulletin of the American Oriental Society, No. 88, (1942); Sumerian Mythology, (1944), p. 14.

١٠- أثر مادة الكتابة في اساليب التدوين :

وكان لمادة الكتابة ، وهي الطين الذي كان المادة الرئيسية في التدوين ، اثر كبير في اشكال المدونات المختلفة وفي مقدمتها النصوص الأدبية وطريقة جمعها وفهرستها وتسلسلها . فعلى ما هو معرو ف لا يمكن تدوين نصوص مطوية على لوح واحد من الطين مهما بلغ كبره حيث لا يمكن استعمال لوح يتجاوز حجم الآجرة (نحو ٥٠ x ٥٠ سم) على أكثر تقدير . اما في حالة الوثائق والعقود التجارية والرسائل وغيرها من شؤون الحياة الاعيادية فكان يكفي لوح واحد لاستيعابها . وحلت مشكلة تدوين النصوص الادبية والتاريخية المطولة بأحدى طريقتين : (١) تدوين النص المطول في عدة الواح ترتب على هيئة سلسلة متتابعة ويذيل كل لوح منها بعنوان السلسلة العام مع رقم تسلسله وبداية السطر الذي يبدأ به اللوح التالي . وكانت كل مجموعه من هذه السلاسل من النصوص الادبية تحفظ في رفوف او اوعية (جرار) من الفخار او في سلال يعلق فيها عنوان المجموعة الذي يسجل على بطاقة او لوح صغير من الطين . وهكذا وصلت النسا مزجمة جلجامش الشهيرة مدونة على اثني عشر لوحا ، واسطورة الخليقة على سبعة الواح . وجرت عاداتهم في عناوين مثل هذه المجاميع الادبية ان تعنون كل مجموعة باول عبارة او سطر من الشعر فيها . فمثلا عنونوا ملحمة جلجامش : « شانتبا امورو » (sha naqba imuru) اي : « هو الذي رأى كل شيء » ويضيفون الى ذلك من « سلسلة جلجامش » (اشغار جلجامش esh gar gilgamesh) . وعنوان اسطورة الخليقة : « اينما ايليش » (enuma elish) اي « حينما في العلا » ، وعنوان شريعة حمورابي : « ايو آنم صيرم » (inu Anum Serum) اي « حينما آنو المبجل » .

ولعله من المفيد ان تتم هذه الملاحظات عن عناوين المؤلفات الادبية يذكر ما جاء اليها من عناوين بعض القطع الادبية السومرية المشهورة حيث

درج المؤلفون والنساخ كما ذكرنا على تذييل مثل هذه القطع بعناوينها الخاصة ، فصنف من أدب المناظرة او المفاخرة الذي سنذكر نماذج منه عنوانه بالسومرية « آدمن - دوگا » (ADAMAN-DU-GA) ، وصنف من المؤلفات الادبية اطلق عليه عنوان « أندولو كال » (ANDULUGAL) وهو ضرب من الترانيل والمدائح التي كانت تنظم لمجد الملوك وانحكام . وهناك صنف من الأشعار الغنائية والترانيم اطلق عليها بالسومرية مصطلح سر - نام - سبادا - (SIR) المضاهية للكلمة اسامية « شير » و « شيرو » والعربية « شعر » ، ولكن لا يعلم بوجه التأكيد ايهما اصل للآخرى . وذكرت حملة انواع من هذه الترانيل المصدرة بكلمة « سر » ولكن لا تعرف ماهيتها مثل « سر نمنار » (SIR-NAMNAR) و « سر - حامن » (SIR HAMUN) و « سر - نام - كالا » (SIR-NAM-GALA) اي اغاني كهنة ال « كالا » . ونوع من الاغاني يعني حرفيا « ترانيم الرعاية للالهة انا » سر - نام - ساد - انا (SIR-NAM-SIPADA-INANNA) وهناك انواع اخرى من الاغاني والترانيم تصدر بالكلمة السومرية « أدب » (ADAB) والكلمة « تيكي » (TIGI) ، ولا يعرف معناها بوجه التأكيد ولعل أساس تصنيفها انها كانت تنشد على آلات موسيقية ذات عدد خاص من الاوتار . وصنف اخر يسمى بالسومرية « بلباله » (ALBALE) وهو نوع خاص من الاغاني أيضا ، وقد ذيلت بهذه الكلمة بعض القطع الادبية من نوع الحوار (dialogue) . وصنف اخر يرجح أن يكون أدب الرثاء والنسب^(٧) (Lamentation) اطلق عليه بالسومرية « بلالك » (BALAG) ، وقد جاءت اليها قصائد سومرية قليلة في موضوع الرثاء ، وبوجه خاص رثاء تدمير

(٧) بالاضافة الى المراجع السابقة التي استشهدنا بها انظر المصدرين

الآتين :

1. Falkenstein und Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, (1956), 20 ff.

المدن ومراكز العمران ، مثل رثاء سقوط « أور » • وهناك نوع من التراثيل الشعرية خصص لمجد الملوك والحكام واستعطافهم ظهر في العصر البابلي القديم تحت العنوان السومري « أدب » (ADAB) (*) ، وذكرت تحت هذا المصطلح ثلاثة أنواع من الأشعار هي بالسومرية : « ساكدا » (SAGLDDA) (ومعناه الحرفي الخيط الطويل) و « سكرا » (SAGARRA) (اي الخيط الموضوع او المقرر) و « أورو - إينبي » (URU-ENBİ) (سيد المدينة) •

ان هذا الأسلوب الذي أشرنا اليه في طريقة حفظ النصوص الأدبية له صلة وثيقة بأصل نظام المكتبات وحفظ السجلات والوثائق (الارشيفات) حيث كانت الجامعات المختلفة من الواح الطين والمفهرسة على الوجه الذي ذكرناه تودع في حجرات خاصة من المعابد والقصور والبيوت ، وكان بعضها مؤلفا من عشرات الألوف من الوثائق والسجلات مثل مكتبة « آشور - بانيبال » في نينوى التي أشرنا إليها مرارا ، وغيرها من دور الألواح أو دور الكتب البابلية والآشورية في كبريات المدن القديمة • وكان يطلق عليها بالسومرية « بيت الألواح » « اي - دبا » (E-DUBBA) • وكان بعض المدن مثل « نقر » مركزا كبيرا للتعليم والاستساخ والجمع حيث مدارس الكتبة المتدربين في مختلف صنوف المعرفة •

٢ - اما الأسلوب الثاني في تدوين النصوص المطولة على الطين ولاسيما النصوص التاريخية مثل حوليات الملوك واعمالهم العمرانية والعسكرية فكان يتم باستعمال ما يسمى بالمناشير (Prisms) والاساطين (Cylinders)

2. Hallow, "The Cultic Setting of Sumerian Poetry" in Rencontre Assyriologique Internationale, XVIII, (1969), 1971, 116 ff.

(*) هنا يتوارد الى ذهن السؤال الطريف عن علاقة كلمة أدب السومرية بأدب العربية •

وهي من الطين المنسوى وكبيرة الحجم نوعاً ما • ومع ان استعمال الاساطين بوجه خاص كان معروفاً في بلاد بابل في العهد السومري المتأخر (منذ عصر جوبيّة في اواخر الالف الثالث ق.م) الا ان استعمال المناشير واستعمال الاساطين بكثرة ظهر عند البابليين والآشوريين في أدوارهم الاخيرة ، منذ القرن الثاني عشر ق.م ، بوجه التقريب • وكان مثل هذه المناشير والاساطين يستوعب نصوصاً مطولة بحيث انها تضاهي حجم كتاب صغير او كراس كبير •

وبمناسبة ذكرنا للكتاب يجدر ان نلاحظ ان اصله لا يمكن ان يرجع الى هذه الطرق من التدوين التي اتبعت في حضارة وادي الرافدين ، فان مادة الكتابة فيها ، اي الطين ، لا يمكن ان يؤلف منها كتاب • ولعله يمكن حصر أصل الكتاب في تاريخ الحضارات البشرية في احتمالين : الاحتمال الاول ان الكتاب نشأ من استعمال لفات ورق البردي الذي اختصت في استعماله حضارة وادي النيل • اذ المعروف مما جاء الينا من هذا النوع من الورق ان لفات البردي كانت تستوعب نصوصاً مطولة من الكتابة • ولعل مما يؤيد هذا الاحتمال اصل تسمية « كتاب » في اللغات الاوربية وهي التسمية المشتقة من الاغريقية « بليون » (biblion) ومنها تسمية المكتبة « بليوتيك » (bibliotheca) وهي كلمة مأخوذة من اسم المدينة انشينيّة « بليوس » (جيل) لان الاغريق كانوا يستوردون ورق البردي المصري عن طريق هذه المدينة • اما الاحتمال الثاني عن اصل نشوء الكتاب فانه يرجع ، بالاضافة الى ورق البردي ، الى ما كان يستعمله الاشوريون من الواح الخشب او العاج الرقيقة والكتابة عليها بعد طلي سطوحها بالسمع ، وكانوا يوصلون جملة الواح منها بمفاصل من اسلاك النحاس ، فيكون كل لوح بمثابة صفحة كتاب ومجموع الالواح بين دفتين يؤلف كتاباً • وقد وجد حديثاً في اثناء النقيبات البريطانية في مدينة نمرود (كالح القديمة

يالقرب من الموصل) نماذج من هذه الألواح • ومما لا شك فيه ان كثيرا من هذه الألواح قد بليت بمرور الزمن فلم تصل إلينا^(٨) • والمعروف ايضا ان الكتبة الآشوريين استخدموا بالاضافة الى الواح الطين وهذه الصفائح العاجية الرقوق الجلدية (Parchment) كما تدل على ذلك الصور الممثلة في المنحوتات، الآشورية •

١١- اسماء المؤلفين والإدباء والشعراء :

نهي هذه الملاحظات العامة عن أدب حضارة وادي الرافدين بآثاره تساؤل مهم كثيرا ما يتوارد الى اذهان قراء النصوص الادبية المشهورة التي وصلت إلينا من هذه الحضارة ، الا وهو : من كان اولئك الادباء والشعراء الذين حلفوا لنا تلك الروائع الادبية ؟ والاجابة على هذا التساؤل بوجه الايجاز انه اذا استثنينا بعض الحضارات القديمة وبوجه خاص الحضارتين اليونانية والرومانية ، فان القاعدة العامة في تلك الحضارات ، ومنها حضارة وادي الرافدين ، ان يندر ذكر اسماء المؤلفين بوجه عام ومنها اسماء مبدعي القطع الادبية^(٩) • وانه اذا جاء إلينا بعض النصوص الادبية وهي مذيّلة باسماء اشخاص فالغالب فيهم ان يكونوا نسخا او جامعين ، وقد يكون البعض منهم ، ولا سيما في حالة النسخ القديمة ، مؤلفي تلك القطع الادبية أو واضعيها أو منقحيها باشكالا النهائية • ولعله يمكن تفسير هذه الظاهرة من اغفال اسماء المؤلفين والادباء في العراق القديم بان القسم الاعظم من النتاج الادبي في حضارة وادي الرافدين نشأ ونما على هيئة تراث قومي شاركت في انتاجه اجيال كثيرة من الشعراء ولم

(٨) راجع عن هذه الألواح العاجية :

Wiseman, "Assyrian Writing Boards", in IRAQ, 17 (1955), 3 ff.

(٩) انظر حول الموضوع :

Lambert, "Ancestors, Authors and Canonicity" in Journal of Cuneiform Studies, XI, (1957), 1 ff.

يتفرد بانتاجه اديب واحد على غرار ما نعرفه في الآداب الحديثة ، وان شأنه في ذلك شأن الملاحم القومية المشهورة والقصص الشعبية مثل الف ليلة ليلة والالباذة والأوديسة اللتين تنسبهما المآثر اليونانية الى هوميروس (في حدود القرن الثامن ق.م) •

وسنذكر بعض الحالات القليلة التي يرجح فيها ان يكون الأشخاص المذكورة اسماؤهم في ذيل بعض القطع الأدبية مؤلفي هذه القطع ، نذكر منهم الاسماء التالية :

١ - احد جامعي ملحمة جلجامش الذي ورد اسمه في احدى نسخ الملحمة على هيئة « سين-ليقي-اونني » (Sin-Leqe-Uninni) ^(١٠) ، والمرجح ان المصيفة النهائية التي جاءت فيها الينا الملحمة تعزى الى هذا الكاتب من حدود ١٢٥٠ ق.م •

٢ - مؤلف اسطورة اله الطاعون « ايرا » وقد جاء اسمه بهيئة « كبتي - ايلاني - مردوخ » ، ويذكر هذا الشخص ان الاله « مردوخ » نفسه ظهر له في الحلم وأملى عليه القصيدة ، ولما استيقظ دونها بدون ان يضيف اليها او ينقص منها شيئا •

٣ - مؤلف ثالث يقترن اسمه بقطعة أدبية مشهورة سيأتي ايجازها ، وهي تصنف بما يصطلح عليه « العدل الإلهي » (Theodicy) وقد جاءت بهيئة حوار طريف ما بين متشكك في العدالة الإلهية وبين عبد صالح ، وقد ذكر اسمه بطريقة من الصناعة الأدبية اللفظية التي يطلق عليها مصطلح (acrostic) او (alliteration) وفحواها انا اذا اخذنا المقاطع الاولى من كل بيت من ابيات القصيدة وجمعناها بعضها الى بعض فانها تؤلف اسم

(١٠) انظر المصدر السابق اي (JCS. XI (1957), pl. 11, 1.10 حيث جاء اسمه في نسخة من لوح من العهد السلوقي وجد في النوركا (انظر تقرير التنقيبات عام ١٩٦٢ ص ٤٣) وعبارة : « طبق سين - ليقي - اونني » ، الكاهن من صنف « مشمشو » (ماش - ماش) •

منشئ القصيدة مع مهنته ودعاء الى احد الالهة نصها : « انا ساغل - كينام -
اوب » (Saggi-Kinam-ubbib) الكاهن المعوذ ، خادم الاله والملث *
٤ - ناسخ او مؤلف احد قصص الطوفان البابلية المعسونة « اترا
حاسس » الذي ذكر بهيئة « كو - آي » من زمن احد ملوك سلالة بابل
الاولى المسمى « عمي - صادوقا » *

الشعر والنثر الأدبي

على ضوء ما اوردناه من ملاحظات تمهيدية عن أدب حضارة وادي
اراندن تناول الان الموضوعات الاساسية عن هذا الادب فتكلم عن :
(١) الشعر والنثر الادبي (٢) المواضيع التي تناولها ذلك الادب سواء كان
شعرا أم نثرا وتعداد أشهر النصوص الادبية التي وصلت إلينا *

١ - الشعر :

ستكون ملاحظتنا عن الشعر في حضارة وادي الرافدين^(١) منصبة

(١) لا يسعنا الخوض في ما قيل من نظريات واءاء عن الشعر عند
الانسان ، فيكفي التنويه بان الشعر كان على ما يرجح اول ما زاو له
الانسان من الفنون الادبية وان منشأه من الانشاد والغناء الشعبي *
فالغناء ، على ما يذهب اليه معظم الباحثين ، اصل الشعر في جميع الاداب
العالمية * ولعل مما يؤيد ذلك بالنسبة الى اللغات السامية ان كلمة « شعر »
المستعملة فيها بما يطابق اللفظ العربي تقريبا ، تعني في اصل ما وضعت
له الغناء والانشاد مثل « شير » البابلية و « شير » العبرانية و « شور »
الارامية ، وكلها فقدت حرف العين * ومن ذلك المصطلح العبراني « شير
هشريم » (نشيد الانشاد المنسوب الى سليمان في التوراة) * ومن قبيل
هذا ايضا ما جاء في المآثر العربية عن اصل الوزن اي العروض في الشعر
العربي انه من الغناء وحذاء الابل ، والمصطلح الادبي المؤلف في رواية
الشعر : « وانشد فلان » * هذا ولا يعلم بوجه التأكيد علاقة الكلمة البابلية
« شير » بالكلمة السومرية التي مرت بنا أي « سر » (SIR) او « شر »
التي تعني الغناء ، وقد سبق ان ذكرنا ان جملة قصائد شعرية سومرية قد
صدرت بها وهي من نوع الاغاني والترانيم * فهل هي اصل الكلمة
البابلية « شير » والكلمات المضاهية لها في اللغات السامية ومنها كلمة
« شعر » العربية او انها مأخوذة من الكلمة البابلية (السامية) التي هي
الاصل ؟

بالدرجة الاولى على الشعر البابلي ، اي الشعر الذي نظمته شعراء اعراق
القديم باللغة البابلية (السامية) لان معرفتنا باللغة البابلية وشعرها اكمل
واوفى من معرفتنا بالشعر السومري ، ذلك لان الباحثين المختصين ما زالوا
غير مأكدين من لفظ الكثير من الكلمات السومرية على الرغم من معرفتنا
بمعانيها ، ولذلك فلا يمكن الوقوف على أوزان الشعر السومري بحسب
معرفتنا الراهنة . ويختلف الحال بالنسبة الى اللغة البابلية وشعرها بسبب ما
توهنا به سابقا من وشائج التقربى القوية ما بين اللغة البابلية وبين لغسات
أخرى معروفة ومحاكية في عصرنا الراهن ، وفي مقدمتها العربية والارامية
والعبرانية . وسنقف على أوجه الشبه الكثيرة بين مبادئ الشعر البابلي
والشعر العربي مثل الوزن وفن النظم والتأليف .

واذا تجاوزنا مناقشة ما هو الشعر وما هي أسسه ومقوماته ولاسيما في
الاتجاهات الادبية الحديثة ، فاننا نسير في تحديد مفهوم الشعر في النصوص
الادبية التي جاءت إلينا من حضارة وادي الرافدين على الاسس والمبادئ
المأثورة (الكلاسيكية) المتبعة في دراسة الاداب العالمية وتصنيفها الى شعر
ونثر أدبي ، ولاسيما الاسس الآتية :

١ - وجود الايقاع الخاص أي الوزن أو العروض

• (Meter. Rhythm)

٢ - اتباع نظام خاص في تأليف هذا الكلام الموزون من حيث تقسيمه
الى وحدات صغيرة وضم هذه الوحدات في مجموعات اكبر منها كالبيت
والبيتين والاربعة ابيات والقصيدة .

٣ - انتقاء مفردات لغوية خاصة بلاغية ، اي ما يسمى بالالفاظ
الشعرية من حيث الجرس اللفظي والمعنى بالنسبة الى مقاييس اللغة التي
ينظم فيها الشعر . ويدخل في هذا تركيب خاص في الكلام يختلف عن
الاستعمالات المتبعة في النثر .

٤ - الموضوع والمحتوى الذي يتناوله الشعر والتعبير عن ذلك بتعابير مرئنة في السامع او القارىء .

٥ - اما المبدأ الخامس وهو القافية (rhyme) فلم يلتزم به في شعر حضارة وادي نرافدين ، فكان هذا الشعر ، سواء كان سومريا أم بابليا ، موزونا ولكنه غير منفي . وانقافية ، على ما هو معروف ، ليست من الشروط الاساسية في الشعر ، فهناك انماط من الاشعار العالمية القديمة والحديثة لم تلتزم بانقافية . مثل الشعر اليوناني والعبراني واللاتيني ، وما يسمى في الادب الانجليزي بالشعر المرسل (Blank verse) مثل الكثير من شعر شكسبير .

العروض في الشعر البابلي :

يعتمد الوزن ، اى العروض ، في الشعر البابلي ، مثل اشعار بعض الازم الاخرى كـ شعر اعربي واليوناني واللاتيني وغيرها ، على مبدأ تجزئة الكلمات الى مناطق (Syllables) التي تتناوب ما بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة ، اى بحسب مصطلحات العروض العربي « الاوتاد » و « الاسباب » ، التي أساسها الحركة والسكون (*) ، وفي بعض الاشعار الاخرى النبرات اى التشديد او التخفيف (accented unaccented)

وبجمع عدة مقاطع يتألف ما يصطلح عليه في الشعر العربي « التفعيلات » أي ما يضاهي (foot) في الشعر الانجليزي . ثم بجمع عدة تفعيلات يتكون شطرا بيت . وعلى هذا الشكل جاء الينا الشعر البابلي مدونا على الواح

(*) يعرف العروضيون « السبب » بان قوامه حرفان ويقسمونه الى :
(أ) السبب الخفيف ، وهو من حرفين متحرك وساكن مثل « من » ، « عن » .
(ب) السبب الثقيل ، من حرفين متحركين مثل « بك » ، « لك » الخ .
اما الوتد فقوامه ثلاثة احرف ، ويقسم الى أ - وتد مفروق ، من حرف ساكن بين حرفين متحركين مثل « اين » ، « كيف » . ب - وتد مجموع ، من حرفين متحركين يليهما ساكن مثل « الى » ، « على » ، الخ .

الطين • وقد يترك الكتب فواصل ما بين شطري البيت اي ما بين الصدر والعجز ، وما بين الوحدات الشعرية الاكبر في بعض الاحايين •
اما عدد بحور الشعر البابلي^(١٢) ومضاهاة هذه البحور لاوزان الشعر العربي فانه موضوع بحث خاص وطريف وجدير بالدرس من جانب العروضيين العرب • ويكفي في هذه المقدمة التمهيدية ان نورد بعض الابيات من التصانيد البابلية الشهيرة • وقد سبق ان بدأنا هذه المقدمة بثلاثة آيات من قصيدة المحاورة ما بين السيد وعبداه ، ونضيف الى ذلك نماذج أخرى نشتها بلفظها البابلي بالحروف اللاتينية والعربية وترجمتها الى العربية :

١ - اليتان الاولان من قصيدة اسطورة الخليفة :

enûma elish la nabu shamamû

shaphish ammatum shûma la zaknat

وبالحروف العربية مع محاولة ارجاع الاصوات المفقودة من البابلية والمرادفة للعربية :

حِمْمًا عِيلِشْ " لا نَبُو " شَمَامُو
شَافِلِشْ أَمَّتَمْ شُومًا لا زَكْرَة

(١٢) عن اوزان الشعر البابلي ولا سيما في ملحمة جلجامش واسطورة الخليفة راجع البحوث الآتية :

De Liage Böhl, "La metrique de l'Epopée babylonienne" in Rencontre Assyriologique Internationale, VII, (1958).

وعن الشعر السومري والبابلي بوجه عام :

Falkenstein und Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, (1956).

Hallow, "The Cultic Setting of Sumerian Poetry," in Rencontre Assyriologique ..., XVIII, (1969), 116 ff.

Hallow, "On the Antiquity of Sumerian Literature", in JAOS, (1963), 167 ff.

وترجمتها : « حينما في العلى لم ينبأ عن السماء (ثم تُسمَّ باسم)
« وفي الاسفل لم تذكر الارض باسم » •

٢ - ونأخذ مثالا آخر من ملحمة جلجامش ، وهي الايات المتضمنة
خطاب صاحبة الجانة الى جلجامش مبينة له عبث ما يسعى اليه من نيسل
الخلود :

Sābitum ana shashum izakkara ana Gīlgamesh
Gīlgamesh êsh Tadâl
baltam sha Tasahhura la tutta
înûma ilani ibnu awilitam
matam ishkunu ana awilitim
baltam ina qâtishunu issabtu
atta Gīlgamesh lû mali' karashka
urri û mushi hiddadu atta

رنادية اصوانها بالحروف العربية :

سَابَيْتُمْ أَنَا شَاشُمْ اَزَكَّرَا • أَنَا جَلْجَامَش
جَلْجَامَش اِشْ تَدَال
بَلْطَمَ شَا تَسَخُّورَا لَا تُتَا
حِنْمَا اِيلَانِي اِبْنُو اَوِيلَيْتِم
مَاتَم اَشْكُونُو أَنَا اَوِيلَيْتِم
بَلْطَمَ اَنَا قَاتِشُونُو اَصْبَطُو
أَتَا جَلْجَامَش لُو مَلِيْ كَرَشَكَا
اورِّي و موشي خِدَادُو أَتَا
وترجمتها :

(*) ملاحظة : النقطة تحت حرف T اى T لتأدية صوت الطاء
والقوس المعقوف تحت حرف H اى H لتأدية صوت الخاء • والنقطة
تحت S اى S لتأدية صوت الصاد والضاد والظاء •

قالت ال « سايتم » (*) (صاحبة الحانة) لجلجامش :

يا جلجامش اي شيء تسعى اليه ؟

الحياة التي تشد لن تجدها

حينما خلقت الآلهة البشرية

قدرت الموت على البشرية

وضبطت الحياة بأيديها

وانت يا جلجامش ليكن كرشك مملوءا

وافرح ليل نهار

٣ - ونورد نموذجا ثالثا من خطاب جلجامش الى الصياد حين أمره

ان ينطلق الى « انكيدو » ويصطحب معه بغيا لاغرائه واستدراجه من البادية

الى مدينة الوركاء حيث يحكم جلجامش :

alik sayyadi itti-ka harimtum shamhat urûma

ênûma bûlam ishaqû ana mashqê.

shî lishhut lubushi-shama lipta quzubsha

immarshima itihha ana shashi

inakkirshu bûlshu shâ irbû êli sêrishu

وفي الحروف العربية :

الكَ صَيَّادِي اَتِيكَ خَارِمَتُمْ شَمَخَةُ اُوروما

حَيْثُمَا بُولَمَ اشاقو اَنَا مشقى

شي لِيَشْخُطَ لِبُو شيشاما لِفَتْحَ قُضْبُشَا

امَّار شِيما اَطِيخًا اَنَا شاشي

انكَرَّشُو بُولَشُو شا اربُو علي صيرشو (صَحْرِشُو)

(*) سايتم (سايتو) بالبابلية بائعة الخمر ، من مادة « سبأ » ، و

« سباء » في العربية بائع الخمر .

وترجمتها :

انطلق يا صيادي واصطحب معك بغيا مومسا
حينما يأتي ليستقي الحيوانات من المسقى (مورد الماء)
لنخلع لباسها وتكشف (تفتح) عن عورتها
فاذا ما رآها وقع عليها (طاح عليها)

وعندئذ ستكره حيواناته التي ربيت في صحرائه
ونختتم هذه الملاحظات الموجزة عن الشعر البابلي بذكر بعض الامور
الآخري الموضحة مما يتعلق بأسلوب تأليف الشعر واجزائه •
فبعد تأليف البيت الواحد بجمع عدة « تفعيلات » ، كما
ذكرنا ، كان الناظمون يجمعون عدة أبيات لتأليف وحدات شعرية أكبر ،
بعضها من بيتين (دوبيت (Couplet)) او اربعة أبيات (الرباعيات
quartet) وبعضها من أكثر من اربعة ابيات مثل الدور او الموشح
(stanza) •

والغالب انهم كانوا يراعون في هذا التأليف والجمع وحدة المعنى ،
مثل توضيح فكرة خاصة أو تكميلها أو توكيدها • فقد يكون معنى البيت
الثاني في « الدوبيت » مكملا او موصحا لمعنى البيت الاول او رجعا وصدى
لمعناه كما في البيتين التاليين من ملحمة جلجامش •
« صرخت عشتار كالمرأة في الولادة »
« اتحبت سيدة الآلهة بصوت شجي »
وقد يكون من المفيد ان نورد هذين البيتين بلفظهما البابلي في
الحروف اللاتينية والعربية :

Isishshi Ishtar kima aliddi
unamba bêlit ilani tabat rigma

وبالحروف العربية :

« اَشْتِي عَشْتَار كَمَا آلِدْتِي
أُونَمْبًا بَعْلَةَ اِيلَاتِي طَابَتْ رِگْمَا »

أو ان يكون البيت الثاني مغايرا أو مفارقا لمعنى البيت الاول تمهيدا
لتدرج موضوع القصيدة العام ، والمثال على ذلك البيتان الاولان من اسطورة
الخلقة اللذان استشهدنا بهما في شرح عروض الشعر البابلي اي :

« حينما في العُلَى لم يُنْبَأَ عن السماء
« وفي الاسفل لم تذكر الارض باسم » •

وللمثال على وحدة المعنى في الايات الاربعة اي الرباعيات ، نقبس
الرباعية التالية من اسطورة الخليفة ، وهي الايات التي جاءت على لسان
الاله « أبسو » ، زوج الالهة « تيامة » في تبرير عزمه على القضاء على ابنائه
من جيل الآلهة الحديثة ، اذ يقول :

« لمرضتي اعمالهم (ثقلت اعمالهم علي)
« فلا استريح نهارا ولا استطيع النوم في المساء
« لاقضين عليهم واضع حدا لاعمالهم
« لكي يعم السكون فنستطيع النوم

ويلفظها البابلي بالحروف العربية :

« إِمْتِرِضْ أَلْكَات - سُونُو عَلِيَا
أُورًا! لَا شِبِشُوخَاكَ مَوْشِي لَا صَلَّاكَ
لُشَخَالَق - مَا أَلْكَات - سُونُو لَوْ شِيَّكَ
قُولُو نِشَاكِينْ، اَي نِصْلَالْ نِينُو (نحن)

وبالإضافة الى ما سبق ان اوجزناه من الخصائص الاساسية التي تميز
الشعر البابلي كالمبروض وطريقة التأليف والجمع والتعبير اللغوي الخاص ،
فان هذا الشعر يشارك الاشعار العالمية الاخرى في الخاصية الاخيرة اي

اختيار الالفاظ الشعرية المعبرة • ولكل لغة ، على ما هو معروف ، مفرداتها والفاظها واستعمالاتها الشعرية المتعارف عليها بين ابناء تلك اللغة • وعلى ما هو معروف ايضا في الشعر العربي يتميز الكلام في الشعر في نمط مركبه عن الاسلوب المتبع في النثر ، ومن ذلك التحرر قليلا او كثيرا من الالتزام بقواعد التركيب في لغة النثر والتحلل من الكثير من قيوده ، كالتقديم والتأخير في اجزاء الكلام لاحداث الانطباع او التأثير الشعري الخاص ، ولضرورة الوزن ، وقد قيل « يجوز في الشعر ما لا يجوز في النثر » •

وهنا قد يتساءل القارئ كيف نستطيع ان نميز التراكيب والمفردات الشعرية في أدب العراق القديم وقد مضى على التاج الادبي الذي جاء الينا من القوم قرون كثيرة من السنين تبعدنا عن تفهم اذواق ذلك العصر اللغوية الادبية ؟ ان هذا التساؤل يمكن ان يثار ايضا بالنسبة الى اشعار الكثير من الامم القديمة الاخرى ، والاجابة عليه بوجه الايجاز ان التعرف التام على لغة تلك الحضارة والالمام بأسرار اساليبها اللغوية واتباع منهج المقارنة بين الاساليب النثرية وبين الاساليب الشعرية فيها ، كل هذا يمكن الباحث المختص ان يميز ما بين الاسلوبين الشعري والاسلوب النثري الاعتيادي المستخدم في النصوص الكتابية الاخرى مما جاء الينا من مدونات حضارة وادي الرافدين •

ولعل اوضح مثال نختاره لتوضيح هذا الامر الاستشهاد بنصوص وثيقة تاريخية مشهورة في تاريخ العالم ، هي شريعة حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق م) • والسبب في هذا الاختيار اننا نجد في الوثيقة نفسها الاسلوبين الشعري والنثري وهما مستعملان فيها • فكما هو معروف تنقسم هذه الشريعة الى ثلاثة اقسام متميزة هي : (١) مقدمة الشريعة (Prologue)

(٢) مواد الاحكام القانونية (٣) خاتمة الشريعة (Epilogue) • ففي القسم الثاني ، اي القسم المخصص لمواد الاحكام ، نقف على اسلوب الصياغة

الترية ، من حيث الالتزام بمبادئ تأليف الكلام وفق قواعد اللغة الاكدية في عصرها البابلي القديم (الالف الثاني ق.م) • ويجدر ان نذكر بهذه المناسبة ان العرف الجامعي جرى على تدريس مبادئ اللغة البابلية للمبتدئين بتدريسهم هذه الشريعة من الناحية اللغوية حيث الانتظام والاطراد في التزام قواعد هذه اللغة • وبالمقابلة مع الاسلوب اللغوي الخاص بقسم مواد الاحكام من الشريعة نجد لغة القسمين الاخرين ، أي المقدمة والخاتمة ، العام والتعابير الشعرية المؤثرة • وبعبارة أخرى دونت مقدمة شريعة سواء كان ذلك في انتقاء الالفاظ الشعرية ، وبعضها الفاظ قديمة ، ام في فن التأليف وتركيب وترتيب الجمل من تقديم وتأخير ، ام من ناحية المعنى العام والتعابير الشعرية المؤثرة • وبعبارة اخرى دونت مقدمة شريعة حمورابي وختمتها باسلوب النثر الادبي أو الشعري الذي لا يلتزم بالوزن والعروض ، كما لا يتقيد بما ذكرناه من اساليب النظم الشعري من حيث الجمع في وحدات كالبيت والبيتين والاربعة أبيات •

وبالاضافة الى ما اسنشهدنا به من مقدمة شريعة حمورابي وختمتها بكونهما نثرا شعريا ، خلفنا لنا أدباء العراق القديم خصوصا أخرى في النثر الشعري أو النثر الادبي تفوق في روعة اسلوبها وتعبيراتها المؤثرة ووصفها التصويري الكثير من القطع الشعرية الصرفة ، ومن قيل هذه النصوص ما يسمى بالنصوص الملكية (Royal Inscriptions) ولاسيما حوليات الملوك واخبار حملاتهم الحربية ، فقد حوى الكثير منها قطعاً ادبية اجمع النقاد على أنها . كما بينا ، من أروع ما خلفته الآداب القديمة في براعة الوصف والتصوير ، مثل وصف الأماكن والمشاهد الطبيعية كالجبال والغابات والاهوار والبوادي والصحاري ، والتصوير البارع لاحتدام القتال والمعارك واشتراك الآلهة في القتال في بعض تلك المعارك على غرار ما نقرؤه في الملاحم البطولية في الادب اليوناني •

ولا يسعنا في هذه المقدمة الموجزة ايراد تراجم لبعض القطع الادبية في النصوص التي أشرنا اليها فنكتفي على سبيل الاستشهاد بذكر وصف احدى الممالك الواردة في كتابات الملك الآشوري « سنحاريب » (٧٠٤ - ٦٨١ ق م) وهو وصف يفوق في روعته وبراعته شعر اسطورة الخليفة في وصف النزال « بين الاله « مردوخ » والالهة « تيامة » . ونستشهد ايضا بالوصف المؤثر الوارد في اخبار ما يسمى بالحملة الثامنة للملك الآشوري سرجون (٧٢١ - ٧٠٥ ق م) على بلاد ارمينية واذربيجان ، ووصف البوادي والصحاري ورهبنها وحيواناتها الغريبة الوارد في اخبار حملات الملك الآشوري « اسرحدون » (٦٨٠ - ٦٦٩ ق م) على بعض القبائل العربية في بادية الشام^(١٣) .

وقد اعتاد الملوك الآشوريون ان يصطحبوا في حملاتهم الحربية بالاضافة الى المهندسين وآلات الحرب والعربات الحربية الضخمة ، عددا من الكتاب لتسجيل سير المعارك . وان اولئك الكتاب الادباء المجهولة اسماؤهم هم الذين خلفوا لنا تلك القطع الادبية الرائعة في النثر الادبي أو الشعري . وقد صور بعض اولئك الكتاب ، في المنحوتات الآشورية المشهورة التي مثلت الجملات الحربية وانتصارات الجيوش الآشورية .

(١٣) عن ترجمة نصوص الحوليات والحملات الحربية الآشورية

راجع المصادر الاساسية التالية :

1. Pritchard (ed.), The Ancient Near Eastern Texts, (3rd. ed. 1969).
2. Thureau-Dangin, Une relation de la huitieme Campagne de Sargon.
3. Lukkenoill, The Annals of Sennacherib.
4. ———, Ancient Records of Assyria and Babylonia.
5. C. Thompson, The Annals of Easarrhaddon and Ashurbani-pal.

هذا ولم يتفرد الكتبة الآشوريون في براعة وصف المعارك والقتال
فإن زملاءهم من الكتبة البابليين خلفوا لنا أيضا نماذج من النشر الشعري
في تصوير زحف الجيوش وأهوال السير واحتدام المعارك ، نذكر على سبيل
المثال الحملة الحربية التي دونها الملك البابلي « نبوخذنصر » الأول
(١١٢٤-١١٠٣ ق م) في غزوه بلاد عيلام . وقد دونت أحداثها في ما
يسمى احجار الحدود (كُدُّرُو) (kuduru)^(١٤) ، وقد تضمن
النص بالإضافة الى القطائع والامتيازات التي منحها هذا الملك إلى أحد قواده
المسمى « رتي - مردوخ » ، وصفا أدبيا ممتعا نقبس منه العبارات التالية :
« من دير^(*) مدينة الاله « آنو » المقدسة ، قفز مسافة ثلاثين « يرو »
(ساعة مضاعفة) ، وسار في الطريق في شهر تموز . لقد احترقت النصال
وتوهجت كأنها النار . وتوهجت احجار الطريق كأنها الافران الحامية .
جفت الآبار وترنج حتى الابطال الشباب . ورغم ذلك سار في الطريق قدما
الملك المختار ، المصطفى والمسند من الآلهة . اجل ، حث الخطى نبوخذنصر
الذي لا يضارعه احد . . . الخ » .

(١٤) انظر :

King, Babylonian Boundary Stones, 1912, No. IV, p. 29.

(*) مدينة « دير » ، وتدعى أيضا « دور - ايلو » ، مدينة مشهورة في
تاريخ العراق القديم ، تقع بقاياها الآن بالقرب من بكرة على الحدود العراقية
- الايرانية (الحدود البابلية - الغيلامية القديمة) . وتعرف خرائبها
الآن باسم « تلول العقر » ، في ضواحي بكرة .

الفصل الثاني

الموضوعات التي تناوها روبرت ليموند كيريم
وأشهر نصوصها في الأدب

سبق ان بوهنا بان أدب حضارة وادي الرافدين ، السومري والبابلي ، وبكلا نوعيه الشعر والنثر الادبي او الشعري ، قد تناول مواضيع عديدة كانت تشغل بال القوم في حياتهم العامة والخاصة مثل نظرتهم الى الكون والحياة واصل الوجود والاشياء ، والمجتمع الانساني ومشاكله وسلوك الفرد واثقيم الاجتماعية ، وحياتهم الروحية والعاطفية ، ومشكلة الموت وعالم ما بعد الموت والخلود وقضية الخير والشر وما يسمى بالعدل الالهي (Theodicy) مع وجود الشر .. الى غير ذلك من الموضوعات التي لا تقتصر على انها حير ما يصور لنا حضارة وادي الرافدين بجميع اوجهها ومقوماتها وفي أدوار ازدهارها وحيويتها وركودها وأزماتها ، بل هي كذلك على قدر كبير من الاهمية في تأريخ تطور الانسان ، لانها كانت كما ذكرنا أولى واقدم محاولات من نوعها في تاريخ النوع الانساني عبرت عن الخبرات الانسانية الاولى من بعد انتقال الانسان الى طور الحضارة والمدنية في وادي الرافدين ووادي النيل في مطلع الالف الثالث ق.م.

ولكن رغم ان هذا النتاج الادبي كان ، كما قلنا ، اقدم واولى محاولة في تاريخ الاداب العالمية ، فان مما يعجب له بل تبعث الدهشة في القارئ الحديث ان يجد هذا الادب قد انتج قطعا ادبية تتسم بالصفات المميزة للادب الاصيل المبدع مهما كانت المعايير التي تقاس بها . وسيقف القارئ بنفسه على هذه الميزات من النصوص الادبية التي سنعدددها ونوجزها . ولكن قبل ان نبدأ بهذا الوصف والايجاز ولكي يدرك القارئ المدى الواسع الذي تناولته تلك الموضوعات نصنفها بحسب الابواب الرئيسة الاتية :

١ - **الخليقة واصل الوجود والاشياء** : ويأتي في مقدمة هذا الموضوع أصل الالهة والاشياء وخلق الانسان واصل العمران . ويدخل معظم هذه الموضوعات في علم الاساطير (Mythology) تحت المصطلحين :

- أ - أصل الكون والوجود (Cosmogony) :
- ب - أصل الالهة (Theogony) *
- ٢ - الملاحم وأعمال الأبطال والآلهة واشباه الآلهة ، أي ما يصطلح عليه « أدب البطولة والملاحم » (Epic)
- ٣ - قصص الطوفان (Flood. Deluge) *
- ٤ - أساطير ما بعد الموت أو عالم الأرواح والعالم الأسفل (Nether World. Eschatology)
- ٥ - أدب الحكمة (Wisdom Literature) * ويدخل في هذا الباب الحكم والوصايا والأمثال وموضوع الخير والشر والعدل الإلهي (Theodicy)
- ٦ - أدب المفارقة والمناظرة (Disputation) ، والحوار (Dialogue) *
- ٧ - أدب السخرية والمكاهة (Satire) ، وقصص الحيوان (Fables) *
- ٨ - أدب الرثاء (Lamentation) ، ولأسيما رثاء وندب تدمير المدن ومراكز العمران *
- ٩ - أدب الحب والغزل (Love Literature) *
- ١٠ - الصلوات والتراتيل والابتهالات والتراتيم والادعية الخ (Prayers. Hymns. etc.)
- ١١ - بعض الرقي والتعاويد (Incantation) *

اساطير الخليفة وأصل الأشياء

١ - اسطورة الخليفة البابلية :

جاءنا عن موضوع الخليفة وأصل الوجود والأشياء وخلق الانسان نصوص ادبية متنوعة ومتعددة ، بعضها باللغة السومرية وبعضها باللغة الاكدية ومن أدوار مختلفة في حضارة وادي الرافدين ، ولاسيما منذ مطلع الالف الثاني ق.م ، من العهد الذي اطلقنا عليه اسم العصر البابلي القديم والذي نميز بما ظهر فيه من نشاط أدبي واسع في حقل التدوين والتأليف والترجمة من السومرية الى البابلية(*) . وكان موضوع الخليفة وأصل الأشياء على رأس القضايا التي شغلت تفكير القوم فعالجوها بالاسلوب « الاسطوري - الشعري » (Methopoetic) ، ونشأ عن ذلك آراء وعقائد متعددة ومختلفة .

ومما يقال عن اساطير الخليفة المدونة باللغة السومرية انها قصيرة وكثير منها ناقص غير كامل . ولكن البابليين (الساميين) الذين اسهموا بنصيب وافر في بناء حضارة وادي الرافدين وأخذوا الشيء الكثير من التراث السومري خلفوا لنا اطول وأشهر قطعة أدبية عن هذا الموضوع ،

(*) عن خصائص هذا العصر الحضارية المهمة راجع ايجاز ذلك في كتابي « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية (١٩٧٣) .

سيرد ذكر المصادر الاساسية عن ترجمات هذه النصوص في اثناء كلامنا على النصوص المختلفة ، ويجدر ان نشير الى الترجمات العربية في مجلة « سومر » ، المجلد الخامس (١٩٤٩) ، والسادس (١٩٥٠) ، والسابع (١٩٥١) .

وهي الأسطورة التي عرفت بين الباحثين باسم قصة أو أسطورة الخليفة البابلية ، وتعرف أيضا بعنوانها البابلي « حينما في العلى » ، وباللغة البابلية « اينما ايلش » أو « حينما عيلش » (enûma-êlish) • وقد سماها بعض الباحثين « رقم الخليفة السبعة » (The Seven Tablets of Creation) لانها جاءت اليها مدونة بالشعر البابلي على سبعة الواح من الطين ، يحتوى كل لوح منها ما بين ١١٥ و ١٧٠ سطرا أو بيتا من الشعر ، ومجموع ابياتها زهاء ألف بيت • وقد عثر على معظم الواحها في مكتبة الملك الآشوري « آشور بانيان » في نينوى ، كما وجدت اجزاء منها في مدينة « آشور » ، ووجد لها نسخ اخرى في المدن القديمة من بلاد بابل ، من العصر البابلي القديم والبابلي الحديث • ويرقى زمن آخر جمع وتدوين لها الى أواخر العصر البابلي القديم واول العصور الكوشي ، لعله ما بين ١٤٠٠ و ١٥٠٠ ق م • ويستند الأسطورة البابلية الى اصول سومرية اقدم عهدا • اما موضوعها الاساسي فانه يدور على تمجيد الاله « مردوخ » ، آله بابل وتبرير تعظيمه : أنه منذ أن صارت مدينة بابل عاصمة امبراطورية حمورابي الواسعة (١٧٩٢-١٧٥٠ ق م) • وتجدر الاشارة هنا الى ان الآشوريين جعلوا الاله آشور في النسخ الآشورية للأسطورة بطل الملحمة بدلا من الاله « مردوخ » •

نظمت الأسطورة شعرا كما بينا ولكنها من الناحية الشعرية دون مستوى ملحمة جلجامش ، بل ان بعض القطع من الشعر الادبي تفوقها في براعة التعبير وروعة التصوير • وقد ضربنا مثالا لذلك بوصف بعض المعارك في اخبار الحملات الحربية الآشورية • ويرجع أن القصيدة كانت تتلى أو ترتل بالبحان خاصة ابان عيد رأس السنة البابلية « اكيو » (Akitu) الذي كان يحتفل به في اوائل شهر نيسان ، كما يحتمل انها كلها أو بعض مشاهدتها كانت تمثل على هيئة مسرحية أو « دراما » ،

ولاسما الاحداث التي تدور على تغلب الاله « مردوخ » على قوى الشر والعماء الممثلة بالآلهة العتيقة واحلال النظام في الكون ثم خلق الانسان ونشوء العمران .

وستتضح من الملخص الذي سنورده عنها اهميتها البالغة في تاريخ حضارة وادي الرافدين من حيث عقائد القوم في أصل الوجود والآلهة وخلق الانسان ، بالإضافة الى انها تصور جوانب مهمة عن احوال المجتمع من النواحي السياسية والاجتماعية ونظريتهم في أصل نظام الحكم والملوكية ، وأحوال البيئة الجغرافية . وفوق هذا فلاسطورة اوجه أخرى من الاهمية عن العقائد الخاصة بالخلقة وأصل الاشياء في الحضارات القديمة الأخرى . فقد اجمع الباحثون على وجود اوجه شبه اساسية واقتباسات كثيرة منها في عقائد الأمم الأخرى ولاسيما العبرانيين كما جاء في التوراة ، وهناك مواطن شبه لا يشك فيها في اساطير اليونان المتعلقة بأصل الاشياء والآلهة .

ملخص الاسطورة :

لما كان يتعذر ايراد ترجمة كاملة للاسطورة في هذم الدراسة التمهيدية العامة عن أدب العراق القديم ، ولاننا سنوالى تقديم دراسات أخرى تتضمن ترجمات كاملة لاشهر النصوص الأدبية ، كما فعلنا في ملحمة جلجامش ، فاننا سنقتصر فيما يلي على ترجمة اجزاء مختارة وعرض الاجزاء الأخرى تلخيصاً^(١) :

(١) أول من ترجم بعض اجزائها الباحث القديم « جورج سميث » في عام ١٨٧٦م بعنوان : « رواية التكوين الكلدانية » :

G. Smith, The Chaldean Account of Genesis (1876)

واعقب ذلك ترجمة الباحث الألماني « بيتر ينسن » :

Peter Jensen, Die Kosmologie der Babylonier

ثم تعاقبت الدراسات والترجمات الأخرى نذكر من أشهرها :

Delitzsch, Das Babylonische Welterschöpfung Epos (1869)

❧

« حينما في العُلَى لم ينبأ عن السماء (لم تُسمَّ باسم)
« وفي الدنى (الاسفل) لم تذكر الارض باسم
« وحين كانت مياه « أبسو » ، الموجود الاول ، والدهم
« والام « تيامة » ، والدة جميعهم ، واحدة مختلطة
« ولم يكن قد وجد اى مرعى ولا يرى اى شيء حتى هور قصب
« حينما لم يظهر الى الوجود أي من الآلهة
« ولم تذكر اسماءهم ، ولا خصصت وظائفهم واقدارهم
« ثم وجد الآلهة في وسطهما (وسط أبسو وتيامة) (*) :
« جاء الى الوجود « لخمو » و « لخامو » ، ودعيا باسميهما
« وقبل ان يلبغا أشدهما ويطولا قاما
« جاء الى الوجود « انشار » و « كيشار » ، وفاقاهما بسطة في الجسم
« ثم تعاقبت السنون وتلتها الايام

= ثم ترجمة انجليزية مع الفاظها البابلية ونصوصها المسمارية المنشورة
في : CT, XIII, (1901)
L. W. King, The Seven Tablets of Creation, (1902).
S. Langdon, The Babylonian Epic of Creation, (1923).
Deimel, Enûma Elish, (1936)
Labat, La Poem Babylonienne de la Creation, (1936)
A. Heidel, The Babylonian Genesis, (1942, 1951).
Speiser, in Ancient Near Eastern Texts, (1950, 1955, 1969).
والى العربية في مجلة « سومر » (١٩٥٠) .
(*) اعتقد العراقيون في « أبسو » انه كان الها وفي الوقت نفسه
« المياه الاولى » ومياه العمق ، ولذلك سمي معبد الاله « ايا » بيت العمق
او « اى - أبسو » .

« فجاء الى الوجود « آنو » بكرهم ووريشهم ومنافسهم
 « أجل صار « آنو » بكر « أنشار » ، يضارع اياه
 « ثم ولد « آنو » « نودمُد » (ايا) ، شبيهه
 « صار « نودمُد » سيد آبائه
 « كان واسع الفهم ، شديد الحول والقوة
 « أجل ، اصبح أشد حولا من جده « أنشار »
 « ولم يكن له مثل بين اخوته الآلهة
 « كان الاخوة الأقداس يتجمعون معا
 « ويقلقون « تيامة » ، ويهاجمون حاميههم « أبسو »
 « اجل ، صاروا يعكرون بطن « تيامة » ، وهم في حركة وصخب
 في المسكن المقدس
 « لم يستطع « أبسو » ان يقلل من ضجيجهم وصخبهم
 « اما « تيامة » فانها سكنت ولم تضع حدا لصنيعهم
 « مع ان اعمالهم كانت مؤلمة ، وصنيعهم شائنا
 « وعندئذ استدعى « أبسو » ، ابو الالهة ، وزيره « ممو » وقال له :
 « يا « ممو » ، يا وزيرى المطيب كبدي ، هلم نذهب الى « تيامة »
 « فذهبا الى « تيامة » ، وقمدا قدامها ، وتشاوروا في أمر أبنائهما الآلهة
 « فتح « أبسو » فاه وقال « لتيامة » بصوت عال :
 « لقد امرضتني (ثقلت علي) أعمالهم
 « فلا استطيع الراحة في النهار ولا النوم في المساء
 « لافضين عليهم واضع حدا لاعمالهم
 « لكي يعم السكون فنستطيع النوم »
 « ولما ان سمعت « تيامة » ذلك غضبت وصرخت بزوجها :
 « أدركت في قلبها ما يبيت « أبسو » من شر وخاطبته :

« علام ندمر ما اوجدنا بانفسنا

« حقا ان سنيعهم يسبب الالم والمرض

« ولكن لنصبر على ذلك وتحمله عن طيب خاطر » (*) .

بيد ان « ايسو » ، وقد ساءده وزيره « ممو » ، لم يثن عن عزمه في القضاء على ابناءه من جيل الآلهة الحديثة . ولما علم هؤلاء بما يبيتهم

لهم أبوهم من شر ودمار ، اضطربوا وجزعوا ، وصاروا يتحركون على غير هدى ، ثم هدأوا أخيرا واستكانوا وجلسوا صامتين يائسين لا يدرون

ما يفعلون للنجاة من الهلاك المحدث بهم . واخيرا انبرى من بينهم الاله « ايا » ، المتبحر في المعرفة والحكمة ، فخط دائرة سحرية حول اخوته

الالهة ليحميهم من الهجوم والفتك . وألف تعويذة سحرية قوية التأثير تلاها على « ايسو » فحل به سبات عميق وشل عن الحركة ، فانتزع منه

« ايا » تاج الالهية وجلالها ومجدها ، ثم قتله وسجن وزيره « ممو » وابتنى في الـ « ايسو » بيتا له وسكن فيه هو وزوجه « دام - كينا » ، وفي

حجرة « الاقدار والمصائر » ولد ابنهما « مردوخ » وربى على الرضاعة من اثناء الآلهات . وسرعان ما شب واكتسب « جلال » الالهية المخيفة

الصاعق ، وصار ثاقب النظر براق العينين حديدهما ، هائل الاعضاء والجوارح ، لا يمكن النظر اليه ويعسر على البشر ادراكه . له اربع

عيون واربع اذان ، وحين تتحرك شفاته ينبعث منهما اللهب . واستطالت آذانه واتسعت عيونه الاربع ، فصار يرى كل شيء . اكتسب بنور الالهية

واكتسب الجلال الذي يبعث الرعب .

اما تيامة فانها لم تنس مقتل زوجها « ايسو » ، وحرصها على الثأر

له الآلهة العتيقة ، يتزعمهم « كنكو » ، واستجابت تيامة للتحريض وعبأت

(*) تنتهي هنا الترجمة سطرا بسطر ، ويبدأ من بعد هذا السطر

التلخيص والايجاز .

جموعها ، وأعلت من منزلة « كنگو » ، وجعلته زوجها وولدت مخلوقات مخيفة من الافاعي والتنانين الهائلة ، وعهدت الى « كنگو » قيادة جموعها وزودته بالواح المصائر والاقدار • ولم يفتن الآلهة الحديثة الى ما بيته لهم امهم تيامة من شر وهلاك الا حين اوشكت على الهجوم • ولما أدرك الآله « ايا » الهلاك المحدث باخوته من جيل الآلهة الحديثة تملكه اليأس والرعب ، ولما ان زال اضطرابه قصد جده « أنشار » وابلغه ما عزمت عليه « تيامة » ، فخرغ « أنشار » حفيده « ايا » على ان يتصدى لقاتلها ، ولكن البطل « ايا » الذي قضى على « أبسو » ، جبن وإحجم عن التقدم • ثم طلب « أنشار » الى الآله « آنو » ان يكون رسول مصالحة وسلام الى « تيامة » ، فذهب اليها وعرض عليها الصلح ، ولكن لم تنجح محاولته السلمية فرجع خائفا مضطربا • وعندئذ عم الخوف والوجوم جميع الآلهة ، وعقد الصمت لسان « أنشار » وجلس معه الآلهة وهم خائفون صامتون •

وبينما كان الآلهة في هذه الأزمة العصيبة عنت لانشار فكرة سعيدة ، اذ تذكر ما يتصف به احد احفاده ، وهو « مردوخ » من مهارة وبسالة ، فاستدعى « ايا » ابنه « مردوخ » واعلمه بغزم الآلهة على ان يعهدوا اليه بمنازلة « تيامة » ، فقبل « مردوخ » الاضطلاع بهذا العمل الجسيم ، ولكنه طلب جزاء ذلك ان يتبوأ السلطة العليا المطلقة على جميع الآلهة ، فوافق على ذلك ابو الآلهة « أنشار » ، ولكن لما كان منسج « مردوخ » تلك السلطة خارج صلاحياته الالهية ، اقتضى الامر دعوة الآلهة الى عقد « مجلس الشورى » ، ولما انتظم عقدهم قيل اجدهم الآخر ، وقبل ان يتشاوروا في الامر جلسوا الى وليمة غامرة ، أكلوا فيها وشربوا ، فذهب عنهم خوفهم وانشرحت صدورهم بتأثير ما احتسوه من خمر جيد • وبعد ان فرغوا من الوليمة اقاموا منصة لمردوخ ، فجلس عليها هذا الآله الشاب قدام آبائه واجداده ليتسلم منهم السلطة ، فقد انعقد اجمعهم على نقل

سلطاتهم وزعامتهم اليه ، وفوضوه تقدير المصائر والأقدار ، واعلوا سلطانه وجعلوه يضاهي سلطان « آنو » ، وصارت ارادته لا ترد ولا تبدل ، وتوجوه ملكا عليهم وعلى جميع الكون . ولكي يطمأن الآلهة من ان « مردوخ » حصل على هذه السلطة المطلقة وضعوا في وسطهم رداء ، ولما ان فاه مردوخ بكلمة منه اختفى الرداء ، وبكلمة أخرى نطق بها عباد الرداء(*) . ولما ان تحقق الآلهة من اكتساب مردوخ القدرة المطلقة هتفوا له قائلين : « حفا ان مردوخ ملك ! » ، وقدموا له الخضوع والولاء بصفتهم ملكهم وقلدوه شارات « الملوكية » وهي الصولجان والتاج والجلباب ، وقلدوه السلاح الذي لا يقهر ، وحرصوه على قتال « تيامة » ، فأخذ الآلهة للنزال الرهيب وصنع لذلك قوسا وسهما وكنانة ، وامسك هراوة بيده اليمنى وساق العاصفة والبرق أمامه ، واحاط جسمه بنور وهاج ، وهيا شبكة فحملتها له الرياح الاربعة ، وهاج عواصف الامطار وركب مركبته « العاصفة الرهيبية » التي تجرها اربعة مخلوقات مخيفة هي : « المدمر » و « القاسي » و « المحطم » و « الطائر » وكان يلبس درعا من الزرد . ولما ان اقترب من جموع « تيامة » بقيادة « كنگو » صعقت من جلال الوهيته المرعب واسلحته الفتاكة فهربت ، ولكن « تيامة » ثبتت امامه واخذت تقذفه بالسباب والشتائم . ولما ان تقدمت لمبارزته نشر لشبكته فاصطادها بها ، ولما فتحت فاهها لابتلاعه ساق في فمها الريح الشريرة

(*) من الباحثين من يرى ان وضع الرداء كان امتحانا للقوة السحرية التي اكتسبها مردوخ ، ولكن هناك اعتبارات فنية ادبية بالاضافة الى الناحية السحرية ، فقد ادخل ناظم القصيدة نوعا من الصناعة اللفظية ولاسيما الجناس اللفظي المشتغل عليه اسم « مردوخ » الذي يكتب بمقطعين من العلامات المسماة « ابن » ، وضع ، خلق ، ، افنى . ويعنى المقطع الثاني « دوكت » ، رداء او لباس ، او لبس رداء .

فمنعها من اطباق شفتيها ، وسلط عليها الرياح فانتفخ جسمها وعندئذ
بادرها بسهم رشقه في فمها الفاجر فأصاب قلبها^(٢) ، وقضى عليها ووقف
على جثتها منتصرا • ولما ان رأى بقية اتباعها من الآلهة نتيجة النزال هموا
بالهرب ولكن « مردوخ » لم يدع أحدا منهم يفلت حيث أسرهم وسجنهم
وانتزع من قائد جموعها « كنگو » « لوح الاقدار » وختمه بختمه وعلقه في
صدره ، ثم رجع الى جثة « تيامة » ففلق رأسها بهراوته الضخمة وفتح
أوردة دنها وجعل الريح الشمالية تحمل دمها الى الجهات الجنوبية النائية ،
ثم شطر جثتها الضخمة شطرين خلق منهما الكون ، اذ جعل من نصفها
الاعلى السماء ومن نصفها الاسفل خلق الارض ، وعين للالهة العظام وعلى
رأسهم « آنو » و « انليل » و « ايا » الاجزاء التي يحكمونها من الكون •
ولما ان تم ذلك لمردوخ ارتأى ان يوجد مخلوقا سمي بالانسان
« من أجل أن يخدم الآلهة » ، وأعلن عن عزمه الى ابيه « ايا » فجد له
ذلك وأشار عليه ان يضحى احد الآلهة لذلك الغرض • فقرر الآلهة في
مجمعهم ان يكون الاله المضحى « كنگو » لانه هو الذي حرّض « تيامة »
على محاربة الآلهة ، فامسك به « مردوخ » وجاء به الى « ايا » فذبحه
وخلق من دمه الانسان^(*) وفرض « ايا » على هذا الانسان خدمة الآلهة
ليريحها من العناء والتعب ، وقسم مردوخ من بعد ذلك
مجموعة الآلهة المائة الى مجموعتين ، مجموعة للسماء
وأخرى للارض • وعرفانا بفضل مردوخ وبطولته في انقاذ الآلهة من

(٢) حول اوجه الشبه ما بين قتال مردوخ لتيامة وبين ما ورد في
التوراة (سفر حبقوق ، الاصحاح الثالث) انظر البحث الاتي :

W. A. Irwin, "The Mythological Background of Habakkuk chap.
3" in Journal of Near Eastern Studies, XV, (1956), 47 ff.

(*) في اساطير أخرى عن خلق الانسان في حضارة وادي الرافدين
ان ذلك تم من « الطين ومن دم احد الآلهة » لكي تدب في الطين الحياة ،
وسياتي الكلام على مثل هذه الاساطير •

الهلاك ، عمل آلهة « الانوناكي » طوال عام واحد في تشييد بيت يليسق بمقامه ، فقاموا معبده العظيم « اى - ساگلا » مع برجه في مدينة بابل بعد ان أسسوها ، وخصصوا في هذا المعبد مزارات لانليل وايا . وبعد ان تم ذلك اجتمع الآلهة في حفل ووليمة عزفت فيها الموسيقى وقدمت الجعة ورتل الآلهة بمدبح « مردوخ » وتمجيده ، وتنسألوا له عن اسمائهم وصفاتهم ، فصار له « خمسون اسما » . وتنتهي القصيدة باللوح السابع الذى قلنا انه كان يرتل تمجيذا لمردوخ في عيد رأس السنة .

ويجدر ان نذكر في ختام هذا الملخص لاسطورة الخليفة البابلية ان روايتين موجزتين وردت عنها في الكتابات اليونانية ، احدهما للفينسوف « السوري - اليوناني » الملقب بالدمشقي (Damacius) (المولود في دمشق في حدود ٤٨٠ م) وكان آخر فلاسفة الافلاطونية الحديثة (Neo-Platonism) . وان روايته خلاصة موجزة للاسطورة البابلية وقد عنوانها « مشاكل المبادئ او العناصر الاولى وحلها » (*) . والرواية الاخرى للمؤرخ البابلي « يروسس » (Berossus) ، كاهن الاله « مردوخ » في بابل الذى دون تأريخا لبلاد بابل باليونانية في حدود ٢٧٥ ق م (في العهد السلوقي) ، وقد ضاع مؤلفه ولكن مقتبسات مهمة منه وردت في كتابات بعض الكتاب الكلاسيكيين (اليونان والرومان) ، ومنها موجز لاسطورة الخليفة البابلية وردت في كتابات الراهب اليوناني في القسطنطينية « سنكيلوس » (Synkellus) او Synkelos (من اهل القرن الثامن الميلادي) ، وقد اقتبسها بدوره من كتاب يوتان سابقين لاسيما من كتاب تأريخ الكنيسة للمؤرخ « يوسيبوس » (Eusebius) (من اهل فيصرية ، ما بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين) ، وقد اقتبسها هذا عن المؤرخ « الاسكندر بوليستر » (Alexander Polyhistor) (القرن الاخير

ق.م (٣) •

بعض الملاحظات والاستنتاجات :

ترك الى التارىء ما قد يستتجه من آراء عن اسطورة الخليفة البابلية التي لخصناها ، فهناك مجالات للوصول الى آراء مختلفة تنطوى عليها هذه الاسطورة وما قد يطبقونه من نظريات وتفسيرات تختلف باختلاف المدارس المتنوعة في تفسير الاساطير مما لا يتسع المجال ليرادها ، فنكتفي بالملاحظات التالية •

١ - يوجد تشابه وتناظر واضحان ما بين الاسطورة وبين رواية التوراة عن الخلق والتكوين (سفر التكوين ، الاصحاح الاول : ١-٢ ، والاصحاح الثالث) ، فكلا المصدرين يشير الى ان الكون لم يكن فيه في البدء شيء سوى العماء (Chaos) المؤلف من « المياه الاولى » • وتشابه الكليستان المستعملتان لهذه « المياه الاولى » في كلا المصدرين • في الاسطورة البابلية « تيامة » (ومنها تهامة) و « تيهوم » في التوراة • وكانت المادة الاولى (المياه الاولى) في الاسطورة البابلية مؤلفة من عنصرين : (١) الماء العذب ، « أبسو » ، وهو العنصر المذكور (٢) والماء المالح ، « تيامه » ، العنصر المؤنث • وقد جسم العراقيون القدماء هذين العنصرين وجعلوهما الهأ (أبسو) والهة (تيامة) • وكما ان الاله مردوخ خلق من جسم « تيامة » (اى مياه البحر الاولى) السماء من نصفه الاعلى والارض من النصف الاسفل ، كذلك خلق الله في رواية التوراة السماء بفصل انياه الاولى • وبحسب الاسطورة البابلية تكون المادة الاولى عند العراقيين القدماء ذات طبيعة ثنائية ، اذ كانت مادة وآلها في الوقت نفسه ، اى ان المادة مازلية وجدت منذ البدء ولم تخلق • وهنا نجد اختلافا جوهريا ما بين العقيدة

(٣) انظر :

A. Heidel, The Babylonian Genesis, (1942), 75 ff.

البابلية وبين عقائد الاديان السماوية ، ولا سيما ما جاء في التوراة والقرآن ، حيث وجود الخالق أزلي سبق وجوده المادة وهو الذي اوجد المادة •

٢ - في وسعنا ان نستشف من وراء الغلاف الاسطوري لرواية الخلق البابلية احوال العراق القديم اسجرافية في بداية ظهور اولى الحضارات في السهول الرسوبية منه في المراحل الاولى من استيطانها • فالمياه الاولى والصراع والاختراب ما بين جيل الآلهة الحديثة بزعامة « مردوخ » وبين جيل الآلهة الغنية الممثلة بابوي الآلهة الاولين ، « أبسو » و « تيامة » (اللذين قلدا انهما المياه الاولى) ، وتغلب مردوخ عليهما ثم احلال النظام في الكون بدلا من « العماء » ، وخلق الكون والانسان واقامة العمران - كل هذا وغيره يصور لنا صراع العراقيين الاوائل مع بيئتهم الطبيعية والسيطرة عليها وبناء الحضارة • فان السهول الرسوبية التي نشأت فيها اول الحضارات ان لم تكن مغمورة بمياه البحر ، بحسب النظرية القديمة ، والا فمياه الاهوار والاحراش الناجمة عن فيضانات الانهار ، ثم استطاع الانسان بمرور الازمان ان يسيطر على تلك الاحوال الطبيعية العنيفة بما اقامه من سدود ونظام للري •

٣ - وعلى ضوء المبدأ السائد في العقائد الدينية عند العراقيين القدماء من ان مجتمع الآلهة صورة للمجتمع البشري حسب المبدأ المعروف بالنشيه (Anthropomorphism) في عزو صفات البشر المادية والروحية الى الآلهة ، يستطیع القارىء ان يصل الى استنتاجات مهمة اخرى ، منها ان هذه الاسطورة تصور لنا ايضا بالاسلوب الاسطوري الاحوال السياسية والاجتماعية في العراق القديم في أولى مراحل تكوينه الحضارى ، حيث كان نوع من اسلوب الحكم يصحح أن نطلق عليه مصطلح « الديمقراطية البدائية » ، اذ تصور الاسطورة الكون على هيئة دولة يحكم فيها الآلهة حكما شوريا كانت القرارات فيه تتخذ في مجالس شورى بطريق

الافتراع ، كما حدث في تنصيب « مردوخ » ملكا على الآلهة عن غريسق
انتخاب الآلهة له . ولعل هذا اصل الحكم ونظام الملوكية . ومما يجدر
ذكره بهذا الصدد ان الالهات ، مثل عشتار ، كن يصوتن في مجالس شورى
الآلهة . ومن الاستنتاجات المهمة ان نظام الحكم لم يكن من أصل النظام
الكوني بل ظهر بصورة طارئة ابان تلك الازمة التي حلت بمجمع الآلهة ،
وهي الحرب بين الآلهة الحديثة وبين الآلهة العتيقة ، وضرورة نشوء قيادة
في تلك الحرب .

وثمة أمر آخر مهم نستنتجه من الاسطورة ، ذلك هو العنف والصراع
الليدان رافقا لعملية الخلق والتكوين ، وما هذا الا صورة عن العنف الذي
تتميز به البيئة الطبيعية التي ظهرت فيها حضارة وادي الرافدين . على ان
المتبع لاساطير الخليقة في حضارة وادي النيل يقف على عكس هذه الصورة
حيث تمت عملية الخلق بسلام وهدوء .

٤ - هذا ولا يسعنا الاسترسال في ذكر التفسيرات الاخرى المحتملة
التي ارتأها الباحثون المختلفون ، فنكتفي في ختام هذه الملاحظات بالتبويه
بان احد هذه التفاسير يستند الى المذهب « الفرويدي » في التحليل النفسي
بتعليل النزاع والاقتيال ما بين جيل الابناء وجيل الآباء من الآلهة بالعقدة
التي يطلق عليها « فرويد » عقدة « أوديب » . ومع اننا لسنا من المتحمسين
لهذا التفسير الا ان موضوع قضاء الآلهة الابناء على آباؤهم يتكرر وروده في
أساطير كثير من الحضارات القديمة ، ففي الحضارة اليونانية مثلا قضى الاله
« كرونوس » (Cronus) على ابيه « أورانوس » (Uranus) وتغلب
« زوس » على ابيه « كرونوس » ، على ما هو معروف في الاساطير اليونانية .

٢ - أساطير اخرى قصيرة عن الخليقة وأصل الاشياء :
بعد ان اوجزنا اسطورة الخليقة البابلية التي تعد اطول رواية عن
عقائد القوم في الخلق واصل الاشياء بالمقارنة مع اساطير الخليقة الاخرى

التي جاءتنا من العراق القديم سواء كانت باللغة البابلية أم اللغة السومرية ،
تدرج فيما يلي أشهر هذه الروايات ، مقتصرين في ذلك على ايجازها
والتنويه بفكرتها الأساسية والبحوث التي تمت عنها :

أ - تعويذة خاصة بوجع الاسنان :

من النصوص الأدبية القصيرة التي تتضمن طرفاً من عقائدهم في
أصل الأشياء تعويذة خاصة بعلاج وجع الاسنان ترجع في تاريخها الى
العصر البابلي الحديث ما بين القرن السابع والسادس ق.م^(٤) . وقد جاء
فيها : « من بعد أن خلق الإله « أنو » السماء خلقت السماء
الأرض ، وخلقت الأرض النهار ، وخلقت النهار الجداول والقنوات
وخلقت الجداول الأهوار ، وخلقت الأهوار الدودة . وذهبت الدودة الى
الإله « شمش » و « ايا » وبكت وذرفت الدموع وقالت : « ماذا تعطيني
لطعامي ؟ وما تعطيني لامتصه ؟ فاجابها ايا : سأعطيك التين الناضج
والشمش . فقالت : « وما جدوى التين الناضج والشمش لي ؟ ضعني في
الاسنان ، واجعل مسكني في اللثة ، لكي امتص دم الاسنان واقرض اللثة
وأكل جذورها » .

ويعقب ذلك توجيه التعويذة على الدودة : لانك قلت هكذا يا دودة
فليحطمنك الإله ايا .

(٤) انظر ترجمتها :

Speiser, in Ancient Near Eastern Texts, (1955), 100.

ونصها المسماري في مجموعة النصوص المسمارية في المتحف البريطاني
(CT. XVII, 1902, pl. 50).

ووجدت نسخة منها في بقايا مدينة « ماري » (تل الحريري عند
الحدود السورية العراقية) ، انظر :

Thureau-Dangin, in Revue d'Assyriologie, XXV, (1939), 3-4.

ب - تعويذة للولادة - خلق الانسان :

وهناك تعويذة ثانية في اللغة البابلية خاصة بالولادة وهي تتضمن كذلك جوانب من آرائهم في خلق الانسان من جانب الالهة الخالقة المسماة « مامي » (Mami) ، وترقى في زمنها الى العصر البابلي القديم (الالف الثاني ق.م)^(٥) . وقد اضطلعت هذه الالهة بخلق الانسان بطلب من الاله « انكي » (ايا) والالهة الاخرى . وتم خلق الانسان بموجب هدم الاسطورة من الطين (التراب) بعد خلطه بدم اله من الالهة ضحي لهذا الغرض^(*) .

تبدأ الاسطورة بخطاب موجه الى الالهة الخالقة « مامي » جاء فيه :
« انت الرحم الاول الازلي . انت خالقة البشرية ، فاخلقي « للو » (الانسان) ليحمل النير . ففتحت « ننتو »^(**) فاما وخاطبت الالهة العظام قائلة : « الي يرجع صنع كل شيء لائق متقن . فليكن الانسان . ليكن من الطين ، ولتدب فيه الحياة بالدم » . فخاطب الاله « ايا » الالهة العظام . ليضح أحد الالهة ولتمزج الالهة « ننخرساك » الطين بدمه ، فيتمزج الالهة بالانسان » .

وفي رواية اخرى للاسطورة من العصر الاشوري الحديث (القرن السابع ق.م) ، ذكرت كيفية خلق الالهة « مامي » للانسان بانها جمعت أربع عشرة قبلة من الطين ، وضعت سبعا منها الى اليمين وسبعا الى اليسار

(٥) انظر ترجمتها ونصها الاصلي في :

A. Heidel, The Babylonian Genesis, (1942, 1951), 66 ff.
Ancient Near Eastern Texts. (1969).

(*) في اسطورة الخليقة البابلية التي ذكرنا موجزها ، تم خلق الانسان من دم الاله « كنكو » ، زوج « تيامة » وقائد جموعها في الحرب مع الاله « مردوخ » .

(**) ننتو (Nintu) من اسماء الاله الخالقة « مامي » وكذلك « ننخرساك » (Ninkhursag)

وفصلت ما بين المجموعتين بآجر « اللبن » ، فخلق من مجموعة الذكور ومن المجموعة الثانية الاناث وصاروا بشرا تدب فيهم الحياة •

ج - خلق الاله « مردوخ » للعالم :

ومن الاساطير القصيرة التي تتعلق بالخلقة قطعة أدبية دونت باللغتين السومرية والبابلية اي انها مزدوجة اللغة (bilingual) يرجع تأريخها الى العصر البابلي الحديث (القرن السادس ق م) ، وقد وجدها المنقب القديم « هرمرز رسام » (١٨٨٢) في انقاض مدينة « سبار » (أبو حبه الان بالقرب من اليوسفية) • والمرجح ان هذه الاسطورة مقدمة لتعويذة كانت تلى في اثناء اقامة شعائر التطهير في معبد « اى - زيدا » (معبد الاله « بو » في بورسبا - برس نمرود الان على بعد نحو ٢٢ كم جنوب بابل) ، وقد خصصت الاسطورة ، مثل اسطورة الخليفة المطولة التي مرت بنا ، لتمجيد الاله « مردوخ » وكيف انه صار ملكا على الآلهة^(٦) ، وخلاصتها انه :
« في البدء لم يكن موجودا أي كائن ، فلا بيوت مقدسة للآلهة ، ولا احراش قصب واشجار ، ولم تصنع آجرة ولم يبن بيت ولم تشيد مدينة • فلم تكن « نفر » قد وجدت ولا معبد « اى - كور »^(*) ، ولم تؤسس « اوروك » ولم يشيد « اى - أنا » ، ولم تقم « اريدو » ، ولا معبدها « اى - أبسو » • كانت الارض اليابسة بحرا • ثم شيدت « اريدو » ، واقيم معبد « اى - ساكلا » ، وشيدت بابل من جانب « لوكال دوكوكا » (مردوخ) • واقام
(٦) نصها المسماري منشور ضمن مجموعة النصوص المسمارية في المتحف البريطاني المصورة (38-55) ، CT., XII, (1901) وترجمتها في :
King, The Seven Tablets of Creation, (1902), I, 30 ff.
A. Heidel, The Babylonian Genesis, 61 ff.
(*) « اى - كور » معبد الاله « انليل » في نفر و « اى - أنا » حارة المعابد المقدسة في الوركاء المخصصة لعبادة آنو وعشتار (انا) ، و « اى - ساكلا » ، معبد الاله « مردوخ » في بابل •

الاله « مردوخ » قاعدة (ارضية) من القصب وتسمّى نراب نثره على قاعدة القصب ، وخلق البشر لكي يريح الآلهة في معابدها ، وخلق الحيوانات وجميع الاحياء في البرية ، وخلق دجلة والفرات ودعاهما باسميهما ، وأوجد الحشائش واحراش الاهوار وغابات الشجر... أقام مردوخ سدا في سينف البحر وحول الاهوار ارضا يابسة .

د - خلق الانسان :

من اساطير الخليفة التي تروى خلق الانسان قطعة أدبية مدونة باللغة البابلية في لوح وجد في مدينة « آشور » (قلعة الشرقاط) وتؤرخ في حدود ٨٠٠ ق م^(٧) ، وموجزها انه « حينما فصلت السماء عن الارض ، وخلقت الارض ، وعينت مصائر السماء والارض ، وحين حددت ضفاف دجلة والفرات ، ووجهت الجداول والانهار في مجاريها الصحيحة - حينذاك اجتمع الآلهة العظام في المزار المقدس : آنو وانليل وشمش وايا وجميع آلهة الانوناكي ، ونظروا فيما سبق ان خلقوه وتساءلوا فيما بينهم قائلين : « والآن بعد أن قدرت مصائر السماء والارض وحددت ضفاف دجلة والفرات ومجاري الانهار والجداول فما عسانا ان نخلق غير ذلك ؟ فاجاب آلهة الانوناكي الاله انليل قائلين : في حارة « اوزوموا »^(*) ، رباط السماء والارض ، لنذبح الهين من آلهة ال « لَمَا » (Lama) ^(**) ونخلق من

(٧) وجد النص الذي يرجع عهده الى العصر البابلي القديم في مدينة « نفر » في اثناء التنقيبات الامريكية القديمة فيها ، اواخر القرن التاسع عشر . انظر :

S. H. Langdon, The Sumerian Epic of Paradise, The Flood and the Fall of Man, (1915).

S. N. Kramer, in ANET. (1955), 37 ff.

—, From the Tablets of Sumer

(*) « اوزوموا » اسم الحارة المقدسة في مدينة « نفر » التي توصف بانها رباط او واسطة الاتصال ما بين الارض والسماء .

(**) آلهة ال « لَمَا » ، مجموعة من الآلهة الصغرى المخصصة للصناعات والحرف وقد ذكر اسما اول بشرين في الاسطورة بصفة « سيد الخير » و « سيدة الخير » .

نهما البشر ولنفرض عليهم خدمة الآلهة في جميع الأزمان ، ويعملوا في
جداول الحدود وحرث الأرض وزرعها وإقامة سوت الآلهة ، وقيموا
شعائرها واعيادها على الدوام ، وسيكون نسما أول بشرين ، أوليكرا
(Ulligarra) و « زلكرا » (Zalagarra) وسيعملان على تكثير البقر والضأن
وإناشية والسمك والطيور ... »

هـ - أسطورة « انكي » و « ننخرسالك » - أرض دلون :

ومن النطع الأدبية التي يمكن تصنيف مادتها ضمن موضوع الخليفة.
واصل الانتباء أسطورة سومرية طريفة جاء نصها سالما تقريبا ولكن مغزى
الأسطورة الحضاري غير واضح تماما ، على ان لها شبا واضحا بأسطورة
الفردوس واجبة الإردن في الفصلين الثاني والثالث من سفر التكوين :

تبدأ القصيدة في وصف أرض « دلون » (*) وخيراتها وانها بلد
الخير والصفاء وريح العيس ، أرض لا مرض ولا موت ولا شر فيها . لقد
جعلها الآله « انكي » (ايا) أرضا غزيرة المياه العذبة ، كثيرة الخصب
والخيرات ، ذات زرع وحقول وبساتين : « دلون أرض طاهرة ... في دلون
لا ينشق الغراب ولا يصيح طائر الموت والخراب . لم يكن فيها الأسد
المقترس ولا الذئب الذي يفترس الحمل ، ولا الكلب الوحشي الذي يأكل
التيس ... ليس فيها ارملة ولا مرض ولا علة تصيب الراس والعين ،
وليس فيها شيخ ولا عجوز ولا ندب ولا رثاء وعزاء ... » وبعد مواطن
غامضة في نص الأسطورة نذكر ان الآله انكي جامع الآلهة « ننخرسالك »
فجلبت منه ، وولدت بعد تسعة أيام الهة اسمها « نمو » (Nammu) ، فاتصل

(٨) نشر نصها المسماري في سلسلة النصوص المسمارية المكتشفة
في آشور (١٩٠٤-١٩١٢) المرموز لها ب KAR, No. 4 ونرجمتها في :
A. Heidel, Op. Cit., p. 68 ff.; ANET.

(*) حول الاحتمال القوي في تعيين « دلون » بالبحرين انظر :
Cornwall, in BASOR, 103, (1946, 63 ff.

انكي بابنته هذه فولدت آلهة اسمها « نن - كورا » (Ninkurra) • ثم اتصل
انكي بحفيده وولدت بدورها آلهة اسمها « اتو » (Uttu) • ولما اراد مضاجعتها ،
منعته « ننخرساك » ان يفعل ذلك الا بعد ان قدم لها هدايا من الخيار والتفاح
واخب ، ولكن اتصاله بـ « اتو » لم يثمر نسلا ، فلجأت ننخرساك الى ان
تأخذ « ماء » الآله واستطاعت بواسطته ، بطريقة لم تذكر ، ان تولد منه
ثمانية انواع من النباتات والاشجار ، ولما ان شاهدها انكي اراد معرفة ماهيتها
عن طريق أكلها فأمر رسوله ذا الوجهين « اسسيمود » (Isimud)

ان يقطعها ويأكلها ، وعندئذ غضبت ننخرساك ولعنت « انكي » واحلت به
الامراض • فحزن الآلهة لمرضه وصاروا يبحثون عن علاج يشفيه • وهنا
انبرى الثعلب وعرض على الآله الميل مسعاه في احضار ننخرساك الى مجمع
الآلهة في دلمون ليشفي « انكي » من عله • ونجح الثعلب في وساطته ولما ان
حضرت الآلهة شربت لاله « انكي » اساءته واخذته واجلسته على فرجها !
وصارت تسأله عن عله فذكر لها ثمانية أنواع من المرض خلقت ننخرساك
لكل واحد منها الها خاصا لشفائه • ولما ان شفى انكي من مرضه عاد الى
تبوأ مركزه السامي بين الآلهة ، وقرر مصير كل آله منهم ، وخصص
لارض دلمون آلهها خاصا بها اسمه « اينشاك » (Enshag) •

والطريف ذكره بصدد التعليق على هذه الاسطورة ما ارتآه مترجم
الاسطورة الاستاذ « كرامر »^(٩) في تفسيره لاسطورة خلق حواء من ضلع
آدم بحسب رواية التوراة احتمال أن اصلها من اسطورة « دلمون » • فإن
احدى الآلهات انثى خلقتها « ننخرساك » لشفاء امراض الآله « انكي »
آلهة اسمها « نن - تي » (Nin-Ti) ، ويعني المقطع الاول من الاسم اي
« نن » سيدة ، ومعنى المقطع الثاني اي « تي » اما حياة او « ضلع » ، فيكون

(٩) راجع :

S. N. Kramer, From the Tablets of Sumer,, (1956).

وقد ترجمت هذا الكتاب بعنوان « من الواح سومر » (١٩٥٨) •

معنى اسم الآلهة التي نم على يدها شفاء العلة التي اسباب ضلع « انكي »
اما « سيدة الحياة » او « سيدة الضلع » ، ومعنى اسم حواء في العبرانية
« المحيية » اي التي « تحي » •

و - تقرير الاله « انكي » لنظام الكون :

خص الاله الشهير « انكي » (ايا) في حضارة وادي الرافدين
بمنزلة رفيعة بين الآلهة العظام ، وافردوه بصفات مميزة منها الحكمة
والمعرفة ، وعلمه وحده على البشر والتزام جانب الانسان في كثير من المنح
والشدائد التي احقت به كما في كارثة الطوفان ، وانه هو الذي علم البشر
فنون الحضارة ونشر عناصر العمران ، واضطلع بنصيب كبير في تدبيره
لشؤون الكون وتنظيمه للمجتمع البشري وانه كان يحوز على النواميس
الآلهية التي تسير بموجبها العناصر المختلفة للعمران والحضارة • وقد اطلق
السومريون على هذه العناصر والنااميس مصطلح « مي » (ME)
الذي ترجمه البابليون بكلمة « برصو » او « برضو » (parsu)
(التي تضاهي كلمة فرض العربية) وسنوجز الاسطورة الطريفة التي
تروي كيفية حصول الاله « انا » (عشتار) على هذه الفروض أو النواميس
من الاله « انكي » في أريدو ونقلها الى مدينتها الوركاء •

وجاءتنا قطعة أدبية باللغة السومرية تصف تنظيم الاله « انكي »
للكون سماها الباحثون المختصون بعنوان : « انكي وتنظيم الكون » (١٠) ،
وخلاصة الاسطورة ان الاله « انكي » تام برحلة في اقاليم الارض المعروفة
آنذاك ابتداء ببلاد سومر ليسبح عليها بركاته وينشر عناصر العمران
والحضارة فيها ، واضطلع من بعد ذلك بتنظيم احوال الارض وانهارها
وبحارها ، فملاً نهري دجلة والفرات بالمياه العذبة وبالاسماك ، واوجد

(١٠) راجع النص السومري وترجمته وشرحه في البحث الاتي :
Bertin et Kerner, Enki und Weltordnung; ANET, (1939);
Th. Jacobsen, in Before Philosophy, 174 f.

احراش القصب والأجر وكثر الحيوانات • ومن اجل تنظيم شؤون المجتمع
الانساني عين آلهة يتولى كل منها ناحية معينة من النشاط الحضاري •
فمثلا خصص للإشراف على الانهار وشؤون الري آلهة اسمه « انيلولو »
والاله « اينكمدو » (Enkimdu) للفلاحة والزراعة والالهة « أشنان »
(Ashnan) للخضار والغلال ، والاله « دموزي » (تموز) للماشية
والرعي وغيرهم •

ز - نقل النواميس الالهية الى الوركاء :

سبق ان تطرقنا في كلامنا عن الاسطورة السابقة الى ما يسمى
بالنواميس الالهية « مي » (ME) المختص بحيازتها الاله « انكي » • وخلف
لنا أدباء العراق القديم قصيدة سومرية تروى حدثا اسطوريا طريفا يدور
على تحايل الالهة الشهيرة « انا » (عشتار) لحيازة تلك النواميس من الاله
« انكي » ونقلها الى مدينتها « اوروك » (الوركاء) التي كانت مركزا
عبادتها وعبادة الاله آنو منذ فجر الحضارة في وادي الرافدين •
موجز الاسطورة^(١١) ان الالهة « انا » شدت الرحال من مدينتها
« اوروك » الى حيث يقيم الاله « انكي » (ايا) في مدينة « اريدو » (*) ،
لكي تحصل منه على النواميس الالهية المارة الذكر وتنقلها الى الوركاء •
ولما ان بلغ « انكي » نبأ مقدم « انا » تهيأ لاستقبالها بما يليق بها من تكريم ،
وكلف رسوله ونابعه المسمى « ايسومد » (Isimud) ان يرحب بمقدمها

(١١) راجع الترجمة والتعليق والاشارات الى الدراسات السابقة في :

Kramer, From the Tablets of Sumer, (1956).

—, The Sumerians, (1963)

(*) مدينة « اريدو » الشهيرة في تأريخ حضارة وادي الرافدين تسمى
بقاياها الان « ابو شهرين » على بعد نحو ٢٥ كم الى الجنوب الغربي من
مدينة « أور » ، وسيرد في الاسطورة ذكر اتصال اريدو بالوركاء عن طريق
النهر (الفرات) ، حيث كان النهر يمر من هاتين المدينتين ولكنه غير مجراه
في العصور التاريخية المتأخرة •

ولما ان وصلت الالهة بقاربها الى اريدو اعد لها « انكي » مائدة عامرة حوت الاشربة الفاخرة والمآكل الشهية ، وجلس مع ضيفته الى المائدة وأخذوا يتناولان الطعام والشراب ، وصارت « انا » تكثر من تقديم الخمرة لمضيفها « انكي » حتى غلبه السكر وئمل وصار يبالح في التودد الى « انا » ولما ان طلبت منه ان يهديها النواميس الالهية قدمها اليها عن طيب خاطر . فأسرعت « انا » قبل ان يستفيق « انكي » من خماره في الصباح الى العودة بقاربها المحمل بالنواميس الالهية الى مدينتها الوركاء . ولما ان زال اثر الخمرة من « انكي » ادرك فداحة تهوره فامر رسوله « ايسومد » ان يسرع في اللحاق بقاربها ويعيده اليه مع ما يحمله من النواميس الالهية ، ويترك « انا » تسير ماشية الى مدينتها . فادرك رسول « انكي » القارب وامسك به ، واجتهدت الالهة ان تقنع هذا الرسول ان يدعها تستمر في رحلتها ولكنه لم يستجب لتوسلاتها فاستجبت بوزيرها المسمى « نشوبر » (Ninshubur) الذي استطاع ان يسعفها فاستمرت في رحلتها ، ولكن رسول انكي استمر في ملاحقتها ، بيد أنه كلما امسك بقاربها خف وزيرها الى تخليص القارب الى ان استطاعت أن تصل الى مدينتها الوركاء في قاربها الذي يحمل تلك الكنوز من النواميس التي تؤلف العناصر الاساسية للحضارة والمدنية من بينها السيادة والالوهية ونظام الحكم والتاج والصولجان ووظيفة الكهانة والصدق والخداع والتزوير والفن الموسيقي والعداوة والبغضاء والاستقامة والصلاح والعدل والطوفان والجماع والبغاء ، وطائفة من الحرف والصناعات المختلفة مثل النجارة والحدادة والبناء والحياكة الخ .

ح - اسطورة عن اصل الالهة :

نشر أحد الباحثين حديثاً^(١٢) نصاً بابلياً قصيراً يحتوي على نحو ٢٧

(١٢) نشر النص المسماري ضمن مجموعة النصوص المسمارية في المتحف البريطاني : A. R. Millard in CT., XLVI, No. 43. والترجمة في =

سطرا يكاد ان تكون فريدا من نوعه . فانه على قصره يتضمن موضوع اصل الآلهة (Theogony) وهو نسخة من العصر البابلي الحديث (القرن السادس ق.م) ، ومن مدينة لم تكن معروفة سوى ورود اسمها في النص بهيئة « دنو » (Dunnu) . اما منشأ تفرد هذا النص بأهميته . فتلايه القطعة الادبية الوحيدة التي تتناول هذا الموضوع ، اى اصل بعض الآلهة بصورة مستقلة ، فان النصوص الاخرى التي عالجت الموضوع ، مثل اسطورة الخليفة المطولة ، عبارة عن مجرد جمع بين جملة مواضع تتعلق بمعتقدات وآراء متنوعة ومن عصور ومصادر مختلفة ، بخلاف هذا النص الجديد الذى قلنا انه يتميز بوحدة موضوعه وانه يمثل عقائد مدينة معينة هي مدينة « دنو » السالفة الذكر . والى هذا ورغم قصر النص ايضا والخروم الموجودة فيه فسيلاحظ القارئ تناظرا واضحا بين كيفية مجيء الآلهة بموجب هذا النص وبين الاساطير اليونانية الخاصة باصل الآلهة وانسابها والعلاقات فيما بينها ، مثل قصيدة الشاعر اليوناني الشهير « هزيود » المعنونة (Theogony) من القرن الثامن او السابع ق.م .

لقد رتب مجيء الآلهة في هذه الاسطورة البابلية الجديدة على هيئة زوجين ، ذكرا وانثى والانصال ما بينهم بزواج الولد من امه وقتل ابيه أو الزواج من اخته (*) ، فكان أول زوجين آلهة لم يكن معروفا اسمه

Lambert and Walcot in *Kadmos*, IV, (1965), 64 ff. [1]

A. K. Grayson in *ANET*, (1969), 517-8.

(*) قارن الشبه الواضح في اصل الآلهة اليونانية ومجيئها زوجين زوجين ايضا واتصال الاله الابن بأمه الآلهة والقضاء على أبيه . فكان أول زوجين من الآلهة الارض « جيا » (Gae) والاله السماء « اورانوس » (Uranus) ، وكيف ان كرونوس ، ابن اورانوس ، قتل أباه وتزوج من أمه ، ثم قضى زيوس بدوره على ابيه كرونوس وتزوج من اخته « هيرا » الخ .

« خاين » او « هاين » والالهة الارض ، وقد ولدا زوجين من الآلهة هما الاله المسمى « اماكندو » (Amakandu) ^(١٤) والالهة البحر • وتزوجت الآلهة الارض من ابنها « اماكندو » الذي قتل أباه « خاين » ، وكذلك ولادة ازواج أخرى من الآلهة لم يبق من اسمائها محفوظا في النص سوى الاله « ليخار » (اله الماشية) والآلهة « النهر » ، واسمين من الالهات هما « كاتسم » (Ga'tum) و « نن - كشتنا » (Nin-Geshtinna) ، ونورد فيما يلي ترجمة الاسطر الكاملة الواضحة :

« قالت (الآلهة) الارض لابنها « اماكندو » هلم اجمعك

فاقترن اماكندو بامه الارض وقتل أباه « خاين »

واضجعه في « دنو » ، المدينة التي يحبها •

واستحوذ « اماكندو » على سيادة أبيه ، وتزوج اخته الآلهة « البحر »

ثم جاء « ليخار » ، ابن « اماكندو » وقتل أباه وجعله يستريح (دفنه)

في « دنو »

وتزوج « ليخار » أمه الآلهة البحر

وقضت الآلهة البحر على أمها الارض

وتزوج الاله اخته الآلهة « النهر » (يعقب ذلك اسطر

مخرومة غير واضحة) •

ط - اسطورة انليل ونشليل - ولادة الاله القمر :

اسطورة سومرية ^(١٤) تدور على ولادة الاله القمر « ننا » (ن نار)

(*) « اماكندو » أيضا اسم الاله الخاص بالحيوانات الوحشية •

(١٤) راجع :

Kramer, Mythology (1944); ANET. (3, 1969); Th. Jacobsen, in Before Philosophy (1951), 165 ff.

أو « سين » وولادة اخوته الثلاثة ، وقد وقعت احداث الاسطورة في مدينة « نمر » وفي العالم الاسفل ، ودعيت المدينة في الاسطورة بنعتها المندس « دور آنكي » (Duranki) (قلعة او حصن الكون) وباسم (Durgishmmar) وتذكر نهرها ورصيفها وميناءها وكان فيها الاله الشاب انليل والآلهة العذراء « ننليل » وامها (Ninshebargunu) ، وقد حذرت هذه ابنتها ان تحافظ على نفسها عندما تغتسل في مياه نهر المدينة العذب من الشبان ، ولكن لم يجد ذلك التحذير نفعا فقد حدث مرة ان شاهد الشاب انليل العذراء ننليل تستحم في النهر ، فحاول اغواءها ولما مانعت اغتصبها وحملت منه وولدت الاله القمر « ننا » (سين) . وهنا لم تترك سلطات الآلهة الجريمة بدون عقاب فقد قبض على انليل واحضر أمام مجمع الآلهة الخمسين ويرأسهم السبعة الكبار الذين يصدرون الاحكام فقرروا نهي انليل جزاء اغتصابه الآلهة « ننليل » الى العالم الاسفل ، وعندما اخذ طريقه الى ذلك العالم قررت « ننليل » ان تتبعه ، ولكن انليل لم يكن راغبا في اصطحابها معه فعمد على تضليلها بأن اتخذ هيات شخصيات مختلفة ، منها شخصية حارس بوابة المدينة ولما بلغت ننليل البوابة وجدت انليل متخفيا بزى البواب فلم تعرفه واخبرها بان ملكه « انليل » قد أوصاه بها فنالت انه انها هي ايضا ملكته وانها تحمل في احشائها طفل « انليل (سين) فظهر انليل المتخفي بشخصية البواب الجزع في ان تأخذ ننليل معها نسل سيده الى العالم الاسفل ، فاقترح عليها ان يجامعها ليكون الابن الذي ستحمل به بديلا عن ابن سيده في العالم الاسفل ، فاقترن بها وحملت بابن آخر هو الاله المسمى (Meslamtaea) (*) . ثم سار من بعد ذلك الاله انليل في طريقه الى العالم الاسفل ، ولكن ننليل تستمر في متابعته ، وقد توفيت في طريقه مرتين ، الاولى عند مروره بالرجل الموكل بنهر العالم

(*) ميسلام تاي ، اخو الاله القمر « سين » ومن القاب اله العالم الاسفل نرجال ، ويعني اسمه : « الذي يخرج من العالم الاسفل » .

الاسفل حيث يتخذ هيئته ويتخفى عن ننليل فيجامعها وتلد الهما ثالثا من
آلهة العالم الاسفل هو « نازو » ، والمرة الثانية عند ملاح العالم الاسفل
الذي تخنى بهيتا أيضا ويجعل الاله ننليل تلد اله آخر لم يبق اسمه
محفوظا في النص ، وهنا تنتهي الاسطورة نهاية مقتضبة بازجاء التمجيد
للالهين انليل وزوجه ننليل ، وهكذا يبدو ان الغرض الرئيسي من
الاسطورة بيان اصل بعض الآلهة وفي مقدمتهم الاله القمر « سين » ،
وكيف صار له ثلاثة أخوة من آلهة العالم الاسفل •

الفصل الثالث

الملاحمة وقصص البطولة والأبطال

الصنف الثاني من النصوص الادبية ، وهي القصص والملاحم الخاصة بالبطولة والابطال ، يؤلف موضوعا بارزا في أدب حضارة وادي الرافدين . وقد بلغ بعض هذه القصص من التأثير والجاذبية في حوادثه درجة تؤهله لان يوضع في مصاف الملاحم العالمية الشهيرة ، ونعني بذلك ملحمة جلجامش التي هي أقدم نموذج لادب الملاحم في تاريخ الآداب العالمية وتركت آثارا واضحة في هذه الآداب . اما البعض الآخر فهو من نوع القصص القصيرة ومنها قصص تدور على أعمال جلجامش وصديقه « انكي دو » ومغامراتهما وتضاهي ما ورد في الملحمة المطولة . وما يقال عن هذه القصص بوجه عام انها تستند في اسسها الى احداث تاريخية واقعية ، ولكنها رويت بالاسلوب الروائي الادبي الشعري ، كما ان ابطالها وشخصياتها من البشر بالدرجة الاولى بخلاف ما سميناه بمصطلح الاساطير (Myths) التي هي مجرد نتاج الخيال الاسطوري الشعري ، وقد وضعت لتفسير اصول الاشياء ومظاهر الكون والحياة الاجتماعية . ونعدد فيما يلي أشهر هذه القطع الادبية الخاصة بالملاحم البطولية :

١ - القصص الخاصة بجلجامش :

- أ - ملحمة جلجامش المطبولة ب - جلجامش و « أكا » ج - جلجامش وارض الحياة د - مغامرات جلجامش وانكي دو ه - موت جلجامش .

- ٢ - قصة الطائر « زو »
 ٣ - صعود « ايتانا » الى السماء
 ٥ - قصة « ايرا » ، اله الطاعون
 ٤ - قصة « ادايا »
 ٦ - اينمركار (حاكم الوركاء) وحاكم اقليم « اراتا »
 ٧ - قصة سرجون الاكدي
 ٨ - قصة « فرام - سين »
 ٩ - قصة « نرجال » و « ايريشكيكال » (ستندج ضمن اساطير عالم ما بعد الموت)

الملاحم والقصص الخاصة بجلجامش

ملحمة جلجامش

مقدمة في التعريف بالملحمة وبطلها(*) :

ملحمة جلجامش ، التي يحق ان نسميها « اوديسة » العراق الحالية ، يضعها الباحثون ومؤرخو الادب بين شوامخ الادب العالمي ، وانها من حيث سبقها في الزمن لجميع ما يضاهاها من الملاحم العالمية المشهورة ، اقدم نوع من ادب الملاحم البطولية في تاريخ جميع الحضارات . والى هذا فانها اطول واكمل ملحمة عرفتها حضارات العالم القديم ، فليس ما يضاهاها ويقرن بها في آداب الحضارات القديمة قبل الاليادة والاولديسة في الادب اليوناني^(١) . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا لو لم يأتنا من حضارة وادي الرافدين شيء من فنونها وعلومها ومعارفها سوى هذه الملحمة لكفاهها ان تبوأها مكانة مرموقة بين حضارات العالم القديم .

ومع ان الملحمة دونت قبل نحو ٤٠٠٠ عام وترجع في حوادثها الى عهود اقدم فانها ، شأنها شأن الآداب العالمية الشهيرة ، ما تزال خالدة في جاذبيتها الانسانية ، لان القضايا التي عالجتها قضايا انسانية عامة لا تزال تشغل بال الانسان وتفكيره وتؤثر في حياته العقلية والعاطفية . وفي مقدمة ذلك لغز الحياة والموت وما بعد الموت والخلود . وهي تمثل تمثيلا

(*) لما كنت قد نشرت الملحمة كاملة مع الشروح والتعليقات الوافية (الطبعة الاولى ١٩٦٢ والثانية ١٩٧١ والثالثة ١٩٧٥) فنكتفي في هذه المقدمة بموجز تعريفها وتلخيصها محيلين القارئ الى ترجمتها التي نوهنا بها .
(١) انظر البحث المهم للاستاذ « لاندزبيركر » (Landsberger) المنشور في :

Rencontre Assyriologique Internationale, VII, (1958), 1960

مؤثرا بارعا الصراع الازلي ما بين ارادة الانسان في تشبثها بالوجود والبقاء
وبين حقيقة الموت البديهية وهي التراجيدية الانسانية العامة • وسيوضح
للقاريء من عرض الملحمة الذي سنورده ان موضوعها الاساسي التدليل
باسلوب مؤثر على حتمية الموت وتعذر الخلود ، ذلك الموت المقدر على
البشر حتى بالنسبة الى بطل مثل جلجامش : ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة
وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية • لان الآلهة ، كما تؤكد الملحمة ، قد
« استأثرت بالحياة وقدرت الموت من نصيب البشرية » • ومع ان هذا
الامر من البديهيات وان حقيقة الموت لاتزال تتكرر ليل نهار في حياة
الانسان منذ ان وجد على الارض ، بيد ان ظاهرة الموت المتكررة رغم كونها
من البديهيات لدى العقل الواعي ، لغز محير بالنسبة الى الجوانب العاطفية
في الانسان ، فهي موضع حيرة مؤلمة في قرارة النفس البشرية • وتزداد
الحاحا ومرارة حين يقترب الفرد من الشيخوخة ويشارف على نهاية رحلة
الحياة • وبعد البرهنة على حتمية الموت وتعذر الخلود للانسان تشير الملحمة
مسألة اخلاقية كبرى لاتزال تشغل تفكير الانسان منذ أقدم الازمان • فاذا
كان الموت محتما ، واذا تعذر على الانسان نيل الخلود ، سواء كان بالتغلب
على الموت ام عن طريق حياة اخرى بعد الموت (وهو امر لم يكن واضحا
لدى العراقيين القدماء) • فماذا ينبغي على الفرد ان يسلك في هذه الحياة ؟
اينبذها ويفر من هذا العالم عن طريق القناء « النرفاني » أم انه يقبل على
الحياة فيغتترف من نعيمها ولذاتها ، كما جاء على لسان صاحبة الحانة في
الملحمة ؟ أم انه يرضخ لقانون الحياة والموت ويقبل التحدي فيقوم بما
يخلده بعد الموت عن طريق الذكر والاحدوثة الحسنة كما فعل بطل
الملحمة من بعد عودته يائسا من مغامراته في سبيل الحصول على الخلود ؟
ان هذه القضايا الكبرى وغيرها وضعت لها في الملحمة الحلول المنسجمة
مع العقائد الدينية والاحوال الاجتماعية السائدة في مجتمع العراق القديم

قبل نحو ٤٠٠٠ عام • وسيجد القارئ بالاضافة الى مثل هذه القضايا الانسانية العامة ان الملحمة تزخر بصور معبرة عن مواضيع انسانية حساسة أخرى كالحب والصداقة والكراهية والحزن الى ذكريات الماضي • ولعل ابلغ رثاء في تاريخ الحب والصداقة رثاء جلجامش المؤثر لموت صديقه « انكي دو » وبكائه عليه • والى هذا كله فان الملحمة أصدق ما يصور لنا نواحي مهمة وكثيرة من حضارة وادي الرافدين وفي مقدمتها عقائد القوم وآراؤهم الدينية وآلهتهم واحوالهم الاجتماعية •

أما بطل الملحمة جلجامش فانه اشتهر في أدب وادي الرافدين بكونه من ابطال الملاحم حيث صارت اعماله ومغامراته مادة للملاحم وقصص سومرية وبابلية متعددة • وعلاوة على ذلك كان شخصية تاريخية واقعية ، ولكن ما نعرفه عن هذه الشخصية من الناحية التاريخية امور قليلة منها انه كان خامس ملوك سلالة مدينة الوركاء الاولى في العصر المسمى في تاريخ العراق القديم « عصر مردول المدن » او « عصر السلالات » (Early Dynastic) والمرجح انه حكم في حدود ٢٦٠٠ او ٢٥٠٠ ق.م ، وقد خصصت له اثبات الملوك السومرية^(٢) حكم ١٢٦ عاما ، كما يرجح انه كان يعاصر مؤسس سلالة أور الاولى المسمى « ميس - آنيذا » (Mesannepadda) ، وذكرته اخبار بعض الملوك المتأخرين ومنهم احد ملوك الوركاء المسمى « أنام » (Annam) (مطلع الالف الثاني ق.م) حيث ورد في احدى كتاباته ان جلجامش هو الذي شيد اسوار الوركاء ، وذكر هذا الحدث أيضا في الملحمة • وذكر الملك السومري « أور - نامور » (Ur-Nammu) ، مؤسس سلالة أور الثالثة (٢٢٠٠-٢٠٠٤ ق.م) أن جلجامش صار أحد قضاة عالم ما بعد الموت • وورد اسم جلجامش مكتوبا بعدة اشكال في نظام الكتابة المسمارية منها : « گش - بل - گامش » (Gish-bil-ga-mesh) ، وبالطريقة

(٢) انظر :

Th. Jacobsen, The Sumerian King-List (1939) ANET, (1969).

الرمزية « گش - تو - بار » (Gish-tu-bar) ، ويرادف ذلك في القراءة الصوتية « گي - ال - گا - مش » (Gi-ill-ga-mesh) كما كتب الاسم مختصرا بالعلامة « گش » (gish) مسبقة بالعلامة الدالة على الألوهية .

نظمت الملحمة شعرا باللغة البابلية والمرجح ان زمن تدوينها يرقى الى اواخر الالف الثالث أو اوائل الالف الثاني ق.م ، وان آخر جمع لها يرجع الى منتصف الالف الثاني ق.م على يد أحد جامعها المسمى « سين - ليقي - اونني » (Sin-Leqe-Unnini) (انظر موضوع اسماء المؤلفين في مقدمة هذا البحث) . ومع ان الملحمة ترجع في مادتها الاساسية الى أصول سومرية الا انها في شكلها البابلي الذي جاءت فيه تعتبر نتاجا أدبيا بابليا صرفا . ولكن رغم انها جاءت على هيئة وحدة فنية قصصية متكاملة فانها أقرب ما تكون الى الجمع الادبي بين قطع ادبية مختلفة ، فقسم كبير من حوادثها يتضمن اعمال جلجامش وصديقه « انكي دو » ومغامراتهما وموت انكي دو (من اللوح الاول الى قسم من اللوح العاشر) ، وقسم ثان يروى قصة الطوفان (اللوح الحادي عشر) ، وقسم ثالث وهو اللوح الثاني عشر لا علاقة لمادته بموضوع الملحمة العام ، فهو يصف عالم ما بعد الموت أي العالم الاسفل كما شاهده انكي دو . وان أحدث نسخ لنصوص الملحمة ترجع الى القرن السابع ق.م ، حيث وجد القسم الاكبر من الواحها في مكتبة الملك الآشوري « آشوربانيال » في نينوى (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) ، وعدد الواحها كما نوهنا اثنا عشر لوحا كل منها تقريبا مقسم الى ستة حقول (خانات) ، ومعدل ما يحتوى عليه كل لوح زهاء ٣٠٠ سطر او بيت باستثناء اللوح الثاني عشر الذي يبلغ عدد اسطره نصف هذا العدد . والسلسلة كما ذكرنا معنونة بأول عبارة فيها اي : « هو الذي رأى كل شيء » وبالنص البابلي « شا نقبا امورو » (Sha-naqba imuru) ، وينتهي كل

لوح بتذييله بهذا العنوان ورقمه في السلسلة • فاللوح التاسع مثلاً مذيّل
على الوجه الآتي : « اللوح التاسع من هو الذي رأى كل شيء ، سلسلة
جلجامش (اش - غار - جلجامش esh-gar gilgamesh ، قصر آشور
بانيال ، ملك العالم ملك بلاد آشور » •

يرجع زمن اكتشاف القسم الأكبر من الواح الملحمة الى دور
الاكتشافات الأثرية القديمة في العراق في منتصف القرن التاسع عشر ،
واكتشفت اجزاء أخرى منها فيما بعد • وتناولتها بحوث الباحثين المختصين
منذ اكتشافها الى يومنا هذا وترجمت عدة ترجمات الى معظم اللغات العالمية •
ولا يسعنا في هذا البحث الموجز ان نعدد جميع هذه الترجمات والبحوث
الكثيرة ، وقد ذكرناها في الترجمة الكاملة للملحمة (١٩٦٢ ، ١٩٧١) ،
فنكتفي هنا بإيراد أهمها ويجد القارئ فيها إشارات وافية الى البحوث
والدراسات السابقة :

1. C. Thompson, The Epic of Gilgamesh (1931)

وتتضمن هذه النشرة نصوص الملحمة المسمارية ونقل أصواتها

البابلية بالحروف اللاتينية •

2. A. Schott, Das Gilgamesh Epos, (1934, 1958).

3. Speiser, in Pritchard (ed.), Ancient Near Eastern Texts (3rd. ed. 1969).

4. Heidel, The Gilgamesh Epic, (1949).

5. J.M. Diakanoff, Epos O Gilgameše

6. Garelli, (ed.), Rencontre Assyriologique Internationale, (VII, 1958), 1960.

مُلَخَّصُ الْمَلْحَمَةِ

جلجامش وأنكىدو :

تبدأ الملحمة في وصف بطل الرواية جلجامش فتذكر خبرته وحكمته بخفايا الأمور وأخبار أزمان ما قبل الطوفان ، وأنه سافر أسفارا بعيدة « أحلت به الضنى والتعب فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وحبره » وأنه بنى أسوار الوركاء ومعبدها المقدس « اي - أنّا » ، وهو عمل لم يضارعه فيه أحد من الملوك .

« وكان جلجامش على أتم ما يكون من الخلق وكمال الصورة فقد حباه شمش السماوي بالحسن ، وخصه الاله « أدد » بالبطولة ، طوله أحد عشر ذراعا وعرض صدره تسعة أشبار ، ثلثاه اله وثلثه الباقي من مادة البشر » . ولكن البطل جلجامش كان يضطهد رعيته في الوركاء فلم « يترك ابنا طليفا لآبيه ، ولم يدع عذراء طليقة لحبيبتها والا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل » . فاستغاث الناس بالالهة ، واستمع الاله « آنو » لشكواهم فدعا الالهة الخالقة « اورورو » وقال لها : « يا اورورو انت التي خلقت هذا الرجل بأمر انليل ، فاخلقي الآن غريما له يضارعه في قوة العزم وليكونا في صراع دائم حتى تنال « اوروك » السلام والراحة . فأتمثلت « اورورو » لأمر آنو وغسلت يديها وتناولت قبضة من الطين ورمتها في البرية ، فخلق منها « انكىدو » الصنديد ، نسل الاله « نورتا » القوى . ونشأ انكىدو متوحشا ماردا يجلل الشعر جسمه ، وشعر رأسه كشعر المرأة . . . لا يعرف الناس ولا العمران ، يرعى الكلاً مع الظباء ويرتاد الماء مع وحوش البرية » .

وحدث يوما أن صيادا رآه عند مورد الماء فدعر ، وقد قطع انكيدو
شباك صيده وجعل الحيوانات تفر منه • قص الصياد على أبيه ما شاهده ،
فنصحه أبوه أن يذهب الى الوركاء حيث يحكم البطل جلجامش ويخبره
بأمر الرمش الذي رآه ويبين له الطريقة التي ينبغي لجلجامش أن يعمل
بموجبها في احضار انكيدو الى الوركاء بأن يصطحب معه بغيا مومسا •
وبعد أن قص الصياد على جلجامش خبر انكيدو قال له جلجامش :
« انطلق أيها الصياد واصطحب معك بغيا مومسا(*) ، وحينما يأتي الى مورد
الماء لسقي الحيوان دعها تخلع ثيابها وتكشف عن مفاتن جسمها ، فإذا
ما رآها اجتذب اليها ، وعندئذ ستتكبر حيواناته التي ربيت معه في
البرية » • فعمل الصياد وفق ذلك وسار مصطحبا معه البغي حتى وصلا
الى المواضع التي يتردد عليها « انكيدو » ، ولما شاهده الصياد قال للبغي :
« هذا هو أيتها البغي فاكشفي عن نهديك ومفاتن جسمك ليتمتع بها ...
فأسفرت البغي عن صدرها وكشفت عن عورتها ، فوقع عليها وتمتسع
بمفاتن جسمها ... ولبث انكيدو يضاجع البغي ستة أيام وسبع ليال ،
وبعد أن قضى وطره منها وأراد اللحاق بالفه من حيوان البرية انكرته
وهربت منه ، وخذلته رجلاه لما هم ان يطاردها ويلحق بها » • وهكذا
زالت القوة الوحشية عن « انكيدو » ولكنه أصبح « فطنا واسع الحس
والفهم » ، فرجع الى البغي وارتضى عند قدميها فقالت له : « أصبحت الآن
يا انكيدو عارفا حكيما مثل اله ، فعلام تجول مع الحيوان في البرية ؟ تعال
أقذك الى « اوروك » ، ذات الاسوار ، الى بيت آنو وعشتار ، حيث يعيش

(*) في الطبعة الثانية من ترجمة الملحمة (١٩٧١) جعل اسم البغي
« شمخة » بناء على اعتبارات لغوية كما ارتأى احد الباحثين
(Gordon, Before The Bible, 1962). ولكن هذا احتمال ضعيف لم
يأخذ به معظم الباحثين فعدلت عنه في هذه الدراسة وفي ترجمة الملحمة في
طبعها الثالثة التي ارسلت للطبع •

جلجامش المكتمل القوة ، والمتسلط على الناس كالثور الوحشي ، • فأسلم « انكيديو » قياده الى البغي وقال لها : « هلمي أيتها البغي ، خذيني الى البيت المشرق ، مسكن آنو وعشتار ، الى حيث يحكم جليجامش وسأتحداه وأنادي في وسط اوروك : أنا الاقوى ! أنا الذي سأبدل المصائر ! » • وبينما كانت البغي وانكيديو في طريقهما الى الوركاء ، رأى جليجامش بعض الرؤى فقصها على أمه الالهة « نسون » الخيرة بتعبير الرؤيا • ففي الحلم الاول رأى جليجامش « وهو سائر في دروب الوركاء بين الابطال أحد كواكب السماء وقد سقط اليه ، فلم يستطع أن يحركه ويرفعه ، وانحنى عليه كما ينحني على امرأة ، وبعد جهد جليسه الى الالهة ، فجعلته نظيرا له • عبرت الالهة عن هذه الرؤيا ان معنى ذلك انه سيحصل على صديق وصاحب أمين يلازمه • وفي الحلم الثاني رأى جليجامش فأسا مطروحة وهي ذات شكل عجيب ، فأحبها وانحنى عليها وجلبها الى أمه الالهة نسون فجعلتها نظيرا له ، وكان تعبيرها عن هذه الرؤيا مثل الاولى أن جليجامش سيحصل على خل قوي يعينه عند الضيق • وقبل أن يصل انكيديو والبغي الى الوركاء شاهدا رجلا مقبلا من المدينة يبدو أن أهلها أرسلوه ليلنح « انكيديو » اضطهاد جليجامش لهم ويحرضوه على قتاله ، فقد قال الرجل لانكيديو : « لقد أحل جليجامش في المدينة العار والمنكرات وفرض على أهلها أعمال السخرة ••• وانه يختار العرائس قبل أزواجهن فيكون هو العريس الاول(*) » ، وهم يقولون عن ذلك : « لقد أراد الآلهة هذا الامر وقدروه له منذ أن قطع جبل سرتة » • وعندما اقترب « انكيديو » والبغي من أبواب الوركاء تجمع الناس ليشاهدوا

(*) لا يعلم مغزى هذه العبارة بوجه التأكيد ، ولكنها يرجح ان تشير الى عادة قديمة تضاهي امتياز الحكام والتبلاء في اوروبة في العصور الوسطى مما كان يعرف بمصطلح « حق الليلة الاولى » ، وبالمصطلح اللاتيني (JUS Primae noctus)

القادم الغريب ، وصاروا يقارنون ما بينه وبين جلجامش • و « لما هبى »
الفراش للآلهة « اشخارا »(*) • اقترب جلجامش ليتصل بها في المساء فوقف
« انكيدو » في الدرب وسد الطريق بوجهه ، فنشب الصراع بين البطلين ،
« وخارا خوار ثورين وحشيين وحطما عمود الباب وارتج الجدار »
وحينما انثنى جلجامش وقدمه ثاثة في الارض ليرفع « انكيدو » هددت
سورة غضبه ، واقر « انكيدو » بتفوق غريمه عليه ، واعجب البطلان
أحدهما بالآخر وصارا صديقين حميمين يلانم أحدهما الآخر •

سفر جلجامش وانكيدو الى جبال الارز :

وبعد أن انعقدت أواصر الصداقة ما بين جلجامش وانكيدو عزم
جلجامش على القيام بسفر بعيد في مغامرة الى غابات الارز المسحورة
ليخلد له اسما في سجل الخالدين ، ولعله كذلك من اجل أن يرفه
عن صديقه الذي يبدو انه سئم حياة الحضارة وصار يحن الى حياته
الاولى يوم كان حرا طليقا في البوادي • وبعد حوار بين الصديقين ابدى
فيه « انكيدو » مخاوفه من تلك المخاطرة التي تتطوي عليها الرحلة، لاسيما
ان الغابة وكل الاله « انليل » على حراستها العفريت المارد « خمبابا » أو
(خواوا) الذي تبعث هيئته الرعب وان نفسه الموت الزؤام • وبعد ان

(*) « اشخارا » اخدى الهات الحب وشكل من اشكال الالهة عشتار
وقد فسر هذا المشهد بانه يشير الى الشعائر الدينية الخاصة بما يسمى
« الزواج الالهى او الزواج المقدس » (Sacred marriage)
(Hionos gamus) الذى كان يمارس في العراق القديم رمزا
لاتصال الملك باحدى الهات الخصب والحب ولاسيما عشتار ، وكانت
كاهنة عليا تقوم بدور الالهة للاتصال الجنسي بالملك ضمنا لاجلال إلرشاء
والخصب في البلاد • وكان هذا يتم في الغالب في مطلع الربيع ضمن شعائر
عيد السنة الجديدة (انظر موضوع أدب الحب والغزل في هذا البحث) •

اقنع جلعامش صديقه اصدار اوامره الى صانعي الاسلحة فصنعوا له سيوفا واسلحة هائلة فتاكة • وقد حاول شيوخ الوركاء أن يثنوا جلعامش عن ركوب تلك المخاطر ، فقالوا له من بين ما قالوا : « يا جلعامش انت فتى وقد حملك قلبك مدى بعيدا ، وانت لا تعلم عاقبة ما انت مقدم عليه • اننا سمعنا عن خمبابا أن بنيته مخيفة ، ولا شيء يصمد أمامه ، والغابة تمتد مسافة عشر ساعات مضاعفة في كل الجهات » • ولكن جلعامش لم يسمع نصيح شيوخ مدينته ، وعندئذ دعوا له بسلامة العودة وزودوه بالنصائح • وقيل أن يشرع بالسفر زار مع « انكيدو » معبد الالهة « نسون » ، أم جلعامش ليسأل منها البركة والنجاح ، فصلى لها و خاطبها : « يا نسون ، ائذني لي أن أخبرك بأنني اعتزمت سفرا بعيدا ، الى موطن خمبابا • واني مقدم على نزال لا أعرف عاقبته ، والسير في حرق لا أعرف مسالكها • فحتى اليوم الذي أذهب فيه وأعود والى أن أبلغ غابة الارز واذبح خمبابا المارد وأمحو من على وجه الارض كل شر يمقته شمس ، تشفعي لي عند شمس » • فاستجابت الالهة « نسون » الى موطن خمبابا • واني مقدم على نزال لا أعرف عاقبته ، والسير في تاجها على رأسها وصعدت على السطح واحرقت البخور الى شمس ورفعت يديها اليه وخاطبته : « علام اعطيت ولدي جلعامش قلبا مضطربا لا يستقر ؟ والآن حششته فاعتزم سفرا بعيدا الى موطن خمبابا • فالى أن يذهب ويعود ويبلغ غابة الارز ويقتل خمبابا ويمحى من الارض كل شر تمقته ، عسى أن تذكر عروسك « آي » (*) باليوم الذي ترجعه فيه ، ولتبوكل به حراس الليل والكواكب واباك « سين » (**) حين تحتجب

(*) « آي » أو « آية » ، زوجة الاله شمس ، وهي تمثل الفجر مثل الالهة اليونانية « ايوس » (Eos) والرومانية « أورورا » (Aurora)
(**) الاله « سين » الاله القمر وبالسومرية « نانا » أو « ن نار » عده العراقيون القساء أبا للاله الشمس « شمس » ، لان النهار يتولد من الليل حسب تصورهم •

انت في المساء ... » ثم اطفأت البخور وعودت وأحضرت اليها الكاهنات
والبنايا والمتبتلات ودعت اليها « أنكيدو » واوصته قائلة : « يا أنكيدو
القوي الذي ليس من رحمي قد اتخذتك منذ الآن ولدا » ثم قلدت عنقه
بقلادة جواهر لتكون منه موثقا واردفت قولها : ها انني أؤمنك على ولدي
فأرجعه الي سألما . »

وبعد سفر شاق طويل شارفا على مدخل الغابة ، وكان مدخلا عجيبا
حيث أشجار الارز العالية ووجدا عند المدخل عفريتيا عينه « خمبابا »
لحراسته ، فقتله الصديقان . وبعد مصاعب استطاعا أن يوغلا في الغابة ،
وشاهدا من عجائبها جبل أرز خاص أقيم فوقه عرش الالهة « ارينى »
(عشتار) . ولما شرع جلعجامش في قطع أشجار الارز عند الصباح سمع
العفريت الصوت فهجم عليهما ، فحل بهما الرعب وجبنا عن ملاقاته ، ولكن
الاله « شمش » بادر الى نجدتهما بأن أهاج الرياح العاتية التي أمسكت
بخمبابا وشلته عن الحركة فاستسلم لهما وتضرع أن يبقيا عليه ويأسرا
فيكون خادما لهما ، فكاد جلعجامش أن يعفو عنه ولكن « أنكيدو » حرضه
على قتله فقتلاه وقطعا رأسه . »

وهكذا انتهت مغامرة غابة الارز بنجاح البطلين وعودتهما سالمين
منتصرين . ولما عاد البطلان تهيأ للاحتفال بالنصر فارتدى جلعجامش
الحلل الزاهية ولبس تاجه وصقل سلاحه ، ولما ان رأته الالهة عشتار
اسرها جماله وتعلق قلبها بحبه فنادته وخاطبته قائلة : « تعال يا جلعجامش
وكن عريسى المختار ، وامنحني ثمرتك اتمتع بها ... ساعد لك مركبات
من حجر اللازورد والذهب ... وستربط لجرحها شياطين الصاعقة
بدلا من البغال . وفي بيتنا ستجد شذى الارز يعبق فيه اذا ما دخلته .
وستقبل قدميك العتبة والدكة . سينحني لك الملوك والحكام والامراء ،
وسيقدمون لك الاتاوة من نتاج السهل والجبل ، وستلد عنزاتك ثلاثا

ثلاثا ، وتلد هاجك التوائم ...» ولكن جلجامش رفض عرض عشتار ولم يقتصر على رد طلبها بل انه أهانها وعدد مطالبها وهناتها وما احلته من الويلات والهلاك بعشاقها السابقين فكان من جملة ما قال لها :

« ماذا علي أن أعطيك لو اخذتك زوجة ؟

هل سأعطيك السمن والكساء ؟

وأي اكل وشراب سأعطيك مما يليق بالالوهية ؟ ...»

أي خير سأناله لو تزوجتك ؟

أنت ! ما أنت إلا الموقد الذي تخمد ناره في البرد .

أنت كالباب الخلفي لا يصد ريحا ولا عاصفة !

أنت قصر ينحطم في داخله الابطال .

أنت فيل يمزق رحله .

أنت قير يلوث من يحمله .

أنت قرية تبلل حاملها ...»

أنت نعل يقرص قدم متعلمه ...»

أي من العشاق الذين اخترتهم من أحبيته على الدوام ؟

تعالى أقص عليك مآسي عشاقك :

من أجل تموز(*) . حبيب صباك فرضت البكاء والنوح عليه سنة

بعد سنة(*) وأحببت طير الشقراق ولكنك ضربته وكسرت جناحيه ، وها

هو ذا حاط في البساتين يصرخ نادبا : جناحي ! جناحي ! ،

(*) سيمر بنا في الاقسام الاتية من هذا البحث علاقة « تموز » بعشتار . اما هذه الاشارة الى النواح على تموز فناشئة من عادة ممارسة الندب والبكاء عليه ، حين يبقى رهينة في العالم الاسفل طوال نصف عام ليكون بديلا عن عشتار في ذلك العالم مقابل اطلاق سراحها من بعد نزولها اليه (راجع الاسطورة الخاصة بنزول عشتار الى عالم ما بعد الموت في الاقسام الاتية) . ويخرج تموز في النصف الثاني من العام بعد ان تطوعت اخته « كتشن - أنا » ان تكون رهينة بدلا عنه في الفترة التي يخرج فيها الى =

« وأُحييت الأسد الكامل القوة ، ولكنك حفرت له سبع وسبب
 وبران ، وأُحييت الحصان المجلتي في السباق والبراز ، ولكنك سلطت
 عليه السوط والمهراز والسير ، وحكمت عليه بالعدو سبع ساعات مضاعفة
 وقضيت عليه أن لا يرد الماء الا بعد أن يعكره (*) ، وأن تواصل أم
 « سليلي » البكاء عليه » .

وهكذا يسنم جلعامش في تعداد عشاق عشتار السابقين الذين
 غدرت بهم ، ويعمن في اهانتها (***) ، وعندها استشاطت غيظا وعرجه
 الى سماء أبيها « آنو » ، وبكت أمامه وشكت له ما اصابها من جلعامش
 وطلبت منه أن يخلق لها ثورا سماويا ليهلك جلعامش ، وانها ان لم يفعل
 ذلك فستحطم باب العالم الاسفل وتدع الموتى يقومون منه ويأكلوا
 كالأحياء ، ويصبحون أكثر عددا منهم . وبعد ممانعة من « آنو » رضيه
 لطلبها وخلق « الثور السماوي » ، وسلمه الى عشتار فأنزله الى بلا

= عالم الأحياء . وقد شاعت ممارسة النوح والبكاء على تموز بين الأمم القديمة
 مثل العبرانيين (سفر حزقيال ٨ : ١٥) ، وظلت العادة تمارس بين بعض
 الاقوام الى العصور المتأخرة (راجع فهرست ابن النديم عن عادة البكاء على
 تموز) (تاوز عند اهل حران) . اما في العراق القديم فكانت تقام
 المآتم ومواكب العزاء في شهر تموز (الذي سمي باسم الاله) ، كما كان
 يحتفل بقيامته من عالم الاموات في بداية الربيع . ولا تخفى اوجه الشبه
 الواضحة بين هذه الشعائر الخاصة بتموز وبين فكرة الاله الذي يموت
 ويقوم في المسيحية وشعائر اقامة مواكب العزاء عند الشيعة .
 (+) الملاحظ ان الحصان لما يرد الماء يضربه بقائمتيه الاماميتين
 فيعكره .

(+ +) الواقع ان هذا الموطن من الملحمة يصعب تفسيره اذ ان امعاء
 جلعامش باهانة « عشتار » التي احتلت اسمى مركز من التقديس بين
 الالهة في حضارة وادي الرافدين في جميع ادوارها أمر لا ينسجم مع العقائد
 الدينية ، وقد ارتأى بعض الباحثين ان تفسير ذلك انه كان ثورة على شعائر
 ما سبق ان سميناه بالزواج الالهي وما كان يتفرع عنه من ممارسة البغ
 المقدس المرتبط ببعض المعابد وعبادة الالهة عشتار .

« اوروك » وأخذ يفتك بأهلها وسقط المئات من رجال الملك • وعند ذلك انبرى البطلان جلعامش و « انكيدو » لمصارعته حيث تصف لنا الملحمة مشهدا أشبه ما يكون بمصارعة الثيران في اسبانية • واستطاع البطلان أن يقضيا عليه ويقتلعا قلبه ويقرباه الى الاله « شمش » • أما عشتار فانها اعتلت أسوار المدينة وصارت تقذف البطلين بلغعاتها ، فلم يكن من « انكيدو » الا أن قطع فخذ الثور وقذفه بوجه عشتار ، فجمعت بغايا المعبد وأقامت النواح على فخذ « الثور السماوي » • وكان هذا الثور مخلوقا عجيبا ، قرنائه من حجر اللازورد ، وزن كل منهما ثلاثون «منا» • وسار البطلان في دروب الوركاء مختالين محتفلين بنصرهما ، وتجمع حولهما الناس ، وصار جلعامش يخاطب وصيقات قصره وعذارى المدينة : « من الامجد بين الرجال ومن أقوى الرجال ؟ » فيجيبه :

« جلعامش الاقوى بين الابطال ، جلعامش زين الرجال ! » •

موت انكيدو وحزن جلعامش عليه وسعيه وراء الخلود :

والى هنا كان كل شيء يبدو للبطلين وكأنه على ما يرام ، ولكن ما قاما به أزاء سيدة الآلهة عشتار قد تجاوز المدى لما ينبغي أن تكون عليه العلاقات ما بين الآلهة والبشر • فلم تدع الآلهة ذلك الحدث دون انزال العقاب بالمذنبين • وقد بدأت النذر والرؤى تنذر البطلين بما بيته لهما اقدار الآلهة ، فكان مما رآه « انكيدو » من الاحلام أن الآلهة اجتمعوا في مجلس شوراهم ليقروا أي من الاثنين ينبغي أن يعاقب بالموت ، فوقع

الحكم على « انكيدو » ، رغم اعتراض الاله « شمش » • وسرعان ما بدأت
النذر تتحقق ، فقد حل بانكيدو مرض الموت ، وادرك قرب نهايته ، وأخذت
توارد عليه الخواطر والذكريات فود لو انه ما جاء الى الحياة الحضرية
بل ظل في باديته سعيدا خالي البال ، يجول مع الطباء وحيوان البرية ،
وأخذ يكيل اللعنات على الصياد الذي جاء اليه بالبغي ، ويلعن البغي التي
زينت له المجيء الى حياة المدينة في الوركاء • وكان مما قاله عن الصياد
داعيا عليه الاله « شمش » : « أسلب الصياد ماله وأحل به الضعف والوهن
••• وعسى أن يفر منه كل صيد يروم اقتناصه » • ثم وجه لعناته على
البغي : « تعالي أبتها البغي أقدر لك مصيرك ، وهو مصير لن ينتهي
الى الابد ••• ليكن طعامك من فضلات المدينة ، وستكون زوايا الدروب
المظلمة مأواك ، وفي ظل الجدار سيكون وقوفك ، وسيلطم الصاحي
والسكران خدك ، وعسى أن يبذك عشاقك بعد أن يقضوا وطهرهم من
سحر جمالك » ••• ولما ان سمع الاله شمش كلامه خاطبه من السماء
قائلا : « علام تلعن البغي يا انكيدو ؟ » تلك التي علمتكم كيف يؤكل
الخبز اللائق بالالوهية ، واسقتكم خمرا يليق بالملوكية ، واعطتكم جلعامش
الوسيم خلا وصاحباً ••• ولما سمع جلعامش الاله « شمش » هدأت
سورة غضبه فبدل اللعنات بركات وقال : « سيحبك الملوك والامراء
والعظماء ••• ولن يضرب أحد فخذه مستعبدا اياك ، ومن أجلك سيهز
الشيخ لحيته ، وسيخل الشباب احزمتهم من أجلك ، وسيقدمون لك
اللازورد والعقيق والذهب ••• ومن أجلك ستهجر الزوجة ولو كانت
أم سبعة ••• »

ثم اشتد المرض بانكيدو ولازم فراش المرض وصار يبث أحزانه
وشكواه الى صديقه ، فكان مما قاله له : « يا أخي رأيت الليلة الماضية
رؤيا : كانت السماء ترعد فأستجابت لها الارض ، وكنت واقفا وحدي

فظهر أمامي مخلوق مخيف مكفهر الوجه • كان وجهه مثل وجه طير الصاعقة « زو » ومخالبه مثل اظفار النسب • لقد عراني من لباسي وأمسك بي في مخالبه وأخذ بخناقني حتى خمدت انفاسي ... لقد بدل هيئتي فصارت يداي مثل جناحي الطائر مكسوتين بالريش (*) • لقد أمسك بي وقادني الى دار الظلمة ، الى مسكن « ايراكلا » ، (*) الى الدار التي لا يرجع منها من دخلها ... الى البيت الذي حرم ساكنوه من النور ، حيث التراب والطين قوتهم وهم مكسوون كالطيور بأجنحة من الريش ، ويعيشون في ظلام لا يرون نورا ، وفي بيت التراب الذي دخلت شاهدت الملوك والحكام وقد نزعت تيجانهم وكدست على الارض ... وكان نواب « آنو » و « انليل » وحدهم الذين يقدم لهم شواء اللحم والخبز ويسقون الماء البارد من القرب ... وحلت نهاية « انكيدو » ، فحزن عليه صاحبه « جلجامش » وصار يندبه ويرثيه رثاء مؤثرا كأمر ما يرثى به صديق صديقه ، وقد أبى أن يوسده اللحد حتى خرج الدود من أنفه ، وكان مما رثاه به : « لتندبك المسالك التي سرت فيها في غابة الارز وليكك الاصبع الذي أشار إلينا وباركنا ... وليندبك الدب والضبع والنمر والفهد والسبع والایل والطبي وكل حيوان البرية ... وليندبك نهر « اولا » الذي مشينا على ضفافه » وليكك الفرات الطاهر الذي كنا نسقي منه ... اسمعوني يا شيوخ اوروك : من أجل « انكيدو » ، صاحبي وخلي ابكي وأنوح نواح الثكلى • انه الفأس الذي في جنبي وقوس يدي والخنجر

(*) يضاهي هذا المخلوق ما يسمى « ملاك الموت » في الاديان الاخرى • وكان الغالب على تصور العراقيين القدماء لارواح الموتى انها على هيئة الطيور ويشاركهم في ذلك بعض الاقوام القديمة (انظر حلم الامير الآشوري في هذا البحث) •

(**) من اسماء الهة العالم الاسفل المعروفة باسم « ايريشكيكال » انظر اساطير ما بعد الموت في الاقسام الاتية :

الذي في حزامي والمجن الذي يحميني وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدي •
لقد ظهر شيطان رجيم وسرقه مني ••• يا انكيدو ، يا صاحبي وأخي
الاصغر ، أية سنة من النوم هذه التي غلبتك ! طواك الظلام فلا تسمعني ،
ولكن انكيدو لم يرفع عينيه ، فحس قلبه ولكنه لم ينبض وعند ذاك غطاه
كالعروس وصار يدور حوله ويزأر كالاسد ، وكاللبوة التي اختطفت
منها أشبالها ، وينتف شعره المصفور ويرميه على الارض ، وخلع ثيابه
الزاهية ورمها على الارض كأنها أشياء نجسة ، • وفي الصباح أمر الصناع
والنحاتين أن يصنعوا تمثالا لصديقه وقرب من أجله القرابين وواصل
نذبه ورفاهه ليل نهار ، وبعد أن أوسده اللحد هام على وجهه في البراري
خائفا من المسير الذي حل بصديقه ، وقام برحلة بعيدة الى جده المسمى
« اوتو - نبشتم » ليسأله عن سر الحياة والموت وكيف استطاع أن يدخل
في مجمع الآلهة وينال الخلود •

رحلة « جلجامش » الى جده « اوتو - نبشتم » (*) :

شد جلجامش الرحال وأخذ طريقه الى جده « اوتو - نبشتم » ،
وقد هام في البراري يصطاد الحيوانات ، ويأكل لحومها ويكتسي
بجلودها • وبعد سفر شاق طويل كان أول ما بلغه في طريقه جبلا
اسمها « ماشو » يرجح ان تكون جبال « لبنان » ، وتصفها الملحمة بأنها
الجبال التي تعبر من مداخلها الشمس في مسيرتها اليومية ، وتحرس
مجازاتها مخلوقات غريبة ذات هيات مركبة من البشر والعقارب يعيشون
الرعب وان مجرد نظرتهم الموت • ولما أبصرهم جلجامش خاف وامتقع

(+) لا يعلم بوجه التأكيد معنى صيغة الاسم بالاكديّة اي « اوتو -
نبشتم » ، وهناك احتمال وجيه انها تعني « وجد الحياة » ، وهو معنى
يضاهي معنى اسم بطل الطوفان السومري « زيوسدرا » الذي فسر بانه يعنى
« حياة الايام الطويلة »

Sollberger, The Babylonian Legend of The Flood, (1971), 17

لونه ، ولكنه تشجع واقترب منهم ففطن حارس منهم ان جلجامش ثائثا من مادة الآلهة وثائثه من مادة البشر ، وبعد أن سأل عن القصد من عبوره مجاز الجبال وأوضح له جلجامش ذلك سمح له بالعبور من مسالكها التي يعم الظلام داخلها مسافة اثنتي عشرة ساعة مضاعفة ، واستمر بالسير في ظلام دامس وبعد أن اقترب من نهايتها أبصر مشاهد عجيبة ، حيث الاشجار التي تحمل أثمارا من الاحجار الكريمة ، ثم وصل في النهاية الى ساحل البحر فوجد عنده صاحبة حانة اسمها « سدوري » • ولما أن شاهدت هذه جلجامش مقبلا وهو يرتدي جلود الحيوانات ، مغبر الوجه أشعث الشعر ، ارتابت في أمره فأوصدت بابها ، ولكن جلجامش هدها بكسر الباب ، وبعد أن عرفها بهويته والقصد من مجيئه حاورته قائلة : « ان كنت حقا جلجامش الذي قتل حارس غابة الارز (خمبابا) وقتل الاسود ومسك ثور السماء وقتله ، فلم ذبلت وجنتاك ولاح الغم على وجهك واستبد بك الحزن وتبدلت هيئتك ؟ » •

فأجابها جلجامش : « كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي ويملاً الاسى والحزن قلبي وان مصير البشر قد ادرك صاحبي وأخي الاصغر ؟ انه « انكيدو » الذي أحبيته قد انتهى الى ما يصير اليه البشر جميعا فبكيت ليل نهار ، ندبته ستة أيام وسبع ليال ، معللا نفسي بأنه سيعود الى الحياة من كثرة بكائي ونواحي ، وامتنعت من تسليمه الى القبر حتى خرج الدود من أنفه • لقد افزعني الموت فهمت على وجهي في البوادي • ان ما حل بصاحبي يقض مضجعي • واحسرتاه ! لقد غدا صاحبي الذي أحبيت ترابا ، وانا ساضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين • • فيا صاحبة الحانة أكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أرهبه ؟ » فأجابت صاحبة الحانة « جلجامش » قائلة له :

« الى اين تسعى يا جلجامش ؟ »

ان الحياة التي تبغي لن تجد(*)
« حينما خلقت الالهة البشر قدرت الموت عليهم واستأثرت هي
بالحياة •

أما انت يا جلعامش فليكن كرشك ملثا على الدوام
وكن مرحا ليل نهار(**)

وأقم الافراح في كل يوم من أيام حياتك
وارقص والعب نهار مساء

« واجعل ثيابك نظيفة زاهية(***)

واغسل رأسك واستحم في الماء ودلل الطفل الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين احضانك(****)
وهذا هو نصيب البشرية •

وأخبرت صاحبة احانة جلعامش أيضا بتعذر وصوله الى موضع
« اوتو - نبشتم » حيث تحول دونه مياه بحر الموت ، على انها ارشدته أن
ملاح « اوتو - نبشتم » صادف ان كان موجودا في غابة في ناحية صاحبة
الاحانة ، فأسرع جلعامش الى الغابة ووجد فيها صورا سحرية من
الحجر كان ذلك الملاح يستعين بها في عبور بحر الموت • وبدافع غير
معروف حطمها جلعامش • ووافق الملاح على اصطحاب جلعامش الى موضع
« اوتو - نبشتم » ، وقد ابتدعا طريقة تمكنهما من العبور بأن اقتطع
جلعامش من الغابة مائة وعشرين « مرديا » غلف ازجاجها « كعوبها »
بالنحاس وطلاها بالقير ، وركب الاثنان في السفينة وقطعا في مدى ثلاثة
أيام ما يعادل سفر شهر ونصف الشهر من السفر الاعتيادي • وكان

(*) قارن هذا بما جاء في التوراة (المزامير ١١٥: ١٧)

(**) قارن التوراة (سفر الجامعة ١٨: ٥ - ١٩)

(***) قارن سفر الجامعة ٨: ١٥ •

(****) ذات المصدر ٩: ٨ - ٩ ، ٦ - ٥ •

جلجامش كلما استعمل « مرديا » في دفع السفينة رماه في المياه لئلا تلامس يده مياه الموت ، وبعد أن أتى على المائة والعشرين مرديا نزع ثوبه ونشره في السفينة ليكون بمثابة الشراع • وهكذا وصل الاثنان الى حيث يقيم « اوتو - نبشتم » الذي سأله عن سبب مجيئه اليه ووجه اليه نفس الاسئلة التي القتها عليه صاحبة الحانة ، كما ان جليجامش اجابه بالاجوبة نفسها • وقد أضاف « اوتو - نبشتم » الى اقواله حتمية الموت وعبث ما يسعى اليه الانسان من نيل الخلود :

قال « اوتو - نبشتم » لجليجامش :

« ان الموت قاس لا يرحم •

متى بنينا بيتا يدوم الى الابد ؟

وهل ختمنا عقدا يدوم الى الابد ؟

وهل يقتسم الاخوة ميراثهم ليقى الى آخر الدهر ؟

وهل تبقى البغضاء في الارض الى الابد ؟

وهل يرتفع النهر ويأتي بالماء على الدوام ؟

والفراشة ! تكاد تخرج من شرققتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها •

لم يكن دوام وخلود منذ القدم (*)

ويا ما اعظم الشبه بين النائم والميت الا تبدو عليهما هيئة الموت ؟

ومن ذا الذي يستطيع أن يميز ما بين العبد والسيد اذا وافاهما الاجل !

« ان آلهة الانوناكي العظام تجتمع مسبقا ومعهم « ماتم » مقررة

الاقدار ، تقدر المصائر • لقد قسموا الحياة والموت ، ولكن الموت لم

يكشفوا عن يومه •

(*) قارن سفر الجامعة ٤: ١ ، ١١ •

فسأل جلجامش جده كيف استطاع هو ان يحصل على الخلود وهو
بشر مثله ، بل انه أضعف منه • وتؤلف اجابة « اوتو - نبشتم » قصة
الطوفان على الوجه الآتي :

قصة الطوفان كما يرويها « اوتو - نبشتم » لجلجامش :

أجاب جلجامش « اوتو نبشتم » القاصي وقال له :

« ها انني أنظر اليك يا (اوتو - نبشتم) فلا أرى هيئتك مختلفة
فانت مثلي لم تتبدل بل انك تشبهني • لقد تصورتك في قلبي كاملا كالبطل
على أهبة القتال ، فاذا بي أجدك ضعيفا مضطجعا على ظهرك • فقل لي كيف
دخلت في مجمع الآلهة ونلت الحياة الخالدة ؟

فأجاب « اوتو - نبشتم » جلجامش وقال له :

« يا جلجامش سأكشف لك عن سر محجوب • سأطلعك على سر
من أسرار الآلهة : شروباك ، المدينة التي تعرفها والواقعة على نهر الفرات
قد تقادم العهد عليها ، وكان الآلهة يعيشون فيها ، وقد حملتهم قلوبهم
على أحداث طوفان ، فاجتمعوا وكان معهم أبوهم « آنو » ، و « انليل »
البطل مشيرهم ، و ننورتا مساعدهم ووزيرهم ••• وكان حاضرا معهم
« نن - ايكي - كو » ، أي « ايا » فنقل كلامهم الى كوخ القصب
وخطبه :

يا كوخ القصب ! يا كوخ القصب ! اسمع يا كوخ وافهم يا حائط •
يا رجل « شروباك » يا ابن اوبار - توتو » ، قوض بيتك وابن لك
فلكا • تجل عن مالك واطلب النجاة • ابذ الملك وانج بحياتك ، واحمل
في السفينة بذرة كل ذي حياة • والسفينة التي ستبني عليك أن
تضبط مقاسها • ليكن عرضها مساويا لطولها ، واختمها جاعلا اياها مثل
مياه ال « أبسو » • ولما ادرك « اوتو - نبشتم » ذلك أجاب « ايا » انه

سيصدع بأمره ، ولكن ما عساه أن يقول لسكان المدينة ، فأجابه أن يقول لهم ان الآله « انليل » يبغيضه فلا يستطيع العيش في مدينتهم بل انه سينزل الى مياه ال « أبسو » ويعيش مع الآله « ايا » وموه عليهم أو لمح لهم بقرب حدوث الطوفان بطريق التورية ، فساعده أهل المدينة في بنسء السفينة التي أكملها في مدى سبعة أيام وجعلها على هيئة مكعب سعة نحو (٢١٦٠٠٠ متر مكعب) ، وجعلها من ستة طوابق تحتانية وقسم ارضيتها الى تسعة أقسام وجعلها بكل ما يحتاج اليه من مؤن ومتاع وكل ما عنده من المخلوقات الحية وجميع أهله وذوي قرياه .

ويواصل « اوتو - نبشتم » روايته فيقول : « عين لي الآله (شمش) موعدا بقوله : « حينما ينزل الموكل بالعواصف أمطار الموت والهلاك في المساء فأدخل السفينة وأغلق بابك » . ولما حل أجل الموعد المعين سقط المطر المهلك « فولجت في السفينة واغلقت بابي ، ولما ظهرت أنوار السحر علت من الافق البعيد (من أسس السماء) غمامة ظلماء ، وفي داخلها أرعد الآله « أدد » ، وكان يسير أمامه رسولاه « شالات » و « خانش » وهما يندران في السهول والجبال ، ونزع الآله « ايراكال » الاعمدة(*) ثم أعقبه الآله « نورتا » فأطلق الرعود وبشق السدود . ورفع آلهة الانوناكي المشاعل وجعلوا الارض تلتهب بأضوائها ، ولكن رعدود الآله « أدد » بلغت عنان السماء فأحالت كل نور الى ظلمة ، وحطمت الارض الفسيحة كما تحطم الجرة . وظلت زوابع الرياح الجنوبية(**) تهب يوما كاملا وازدادت شدة حتى غطت الجبال وفكت بالناس كأنها

(*) ايراكال من آلهة العالم الاسفل ويرجح انه من أسماء الآله « نرجال » ، آله العالم الاسفل . والمقصود بالدعائم ، على ما يرجح ، دعائم سدود ذلك العالم التي تحبس المياه الجوفية .
(**) الرياح الجنوبية وبالاحرى الجنوبية الشرفية في العراق هي الرياح الممطرة في الغالب وتدعى الان محليا « شرجي » (شرقي) .

الحرب العوان ، وصار الاخ لا يبصر أخاه ، والساس لا يميزون من السماء . وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان فهربوا وعرجوا الى سماء « آنو » . « لقد استكان الآلهة وربضوا كالكلاب خارج الجدار » . وصرخت عشتار (كما تصرخ) المرأة ساعة الولادة . انتحبت سيدة الآلهة وبكت بصوتها الشجي : واحسرتها ! لقد عادت الايسام الاولى الى طين لانني نطقت بالشر في مجمع الآلهة وسلطت الدمار على خلقي . لقد ملأوا اليم كبيض السمك ومضت ستة أيام وسبع ليال ولم تزل الزوابع تعصف ، وقد غطت البلاد ، ولما حل اليوم السابع خفت زوابع الطوفان في شدتها وهدأ اليم وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان ، وتطلعت الى الجو فرأيت السكون عاما . فتحت كوة طاقتي فسقط النور على وجهي ، ورأيت البشر وقد استحالوا جميعا الى طين فسجدت وبكيت وانهمر الدمع على وجهي واستقر الفلك على جبل « نصير » ^(٣) ، وضبط جبل نصير السمية ولم يدعها تجري . ولما حل اليوم السابع أخرجت حمامة واطلقتها فطارت الحمامة ثم عادت لانها لم تجد موطئا تحط فيه ، واطلقت السنونو فطار السنونو ثم عاد لانه لم يجد موطئا يحط فيه . وأخيرا أطلقت غرابا فذهب الغراب ^(*) ولما رأى المياه قد انحسرت حام وأكل

(٣) كان الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح بحسب رواية التوراة « اراراط » (في ارمينية) ، وفي القرآن جبل « الجودي » ، والمرجح ان جبل نصير المذكور في الملحمة هو الجبل الوارد في الاخبار الاشورية والمحمّل انه الآن الجبل المعروف باسم « بيرة مكرون » بالقرب من السلمانية .

(*) في رواية التوراة (سفر التكوين ٨: ٧) وصف حدث اطلاق الطيور من جانب نوح بشيء من الاسهاب ، فبعد اربعين يوما من بدء الطوفان وعند ظهور اعالي الجبال اطلق نوح غرابا فظل يحوم حتى انحسر الطوفان ولم يعد الى السفينة . وبعد سبعة ايام اطلق حمامة فعادت لانها لم تجد مكانا تحط فيه وبعد سبعة ايام اخرى وجدت طعاما وبعض =

وحط ولم يعد لي • وعند ذاك اخرجت كل ما في السفينة الى الرياح
الارباع وقربت القرايين وسكبت الماء المقدس على قمة الجبل ونصبت
سبعة وسبعة قدور للقرايين(*) وكدست اسفلها القصب والآس والارز
فشم الآلهة نذاها • وتجمعوا حولها كأنهم الذباب ولما حضرت الآلهة
« عشتار » رفعت عقد الجواهر الذي صاغه لها « آنو » وقالت : اتم
أيها الآلهة الحاضرون ، كما انني لانسى عقد اللازورد هذا الذي في
جيدي فسأظل أذكر هذه الايام(**) ولن انسها أبدا • ليتقدم الآلهة الى
القرايين ، أما انليل فحذار ان يقترب منها لانه لم يترو فحدث الطوفان ،
وأسلم خلقي الى الهلاك • ولما جاء انليل وأبصر السفينة غضب على
الآلهة وقال : « عجباً كيف نجت نفس واحدة وكان المقدر أن لا ينجو
بشر من الهلاك؟ ففتح «نورتا» فاه واجاب «انليل» : «من ذا الذي يستطيع
أن يقوم بهذا الامر غير (ايا)» • • • • • وعند ذاك قال «ايا» مخاطباً انليل :
« أيها البطل ! أنت احكم الآلهة ، فكيف لم تبصر فحدثت الطوفان ؟ حمل
صاحب الخطيئة وزر خطيئته والمعتدي اثم اعتدائه ، ولكن ارحم في
العقاب لئلا يمعن في الشر • ولو انك بدلا من احداثك الطوفان سلطت
السباع على الناس فقللت من عددهم ، ولو انك بدلا من الطوفان سلطت

= المواضيع اليابسة ، ولكنها عادت الى السفينة حاملة بمنقارها
غصن زيتون غض ، وبعد سبعة أيام ايضا اطلق حمامة ثالثة لم ترجع اليه
فتأكد من انحسار المياه نهائيا •

(*) التعبير « سبعة وسبعة » لرقم ١٤ ذو مغزى حضاري ، فان
التعبير نفسه استعمل في لغة الطقوس الدينية عند اليونان (ένς ηερία)
هذا بالاضافة الى ورود رقم ٧ في عدة موارد من الملحمة • انظر اوجه الشبه
الآخري بين المآثر اليونانية وملحمة جلجامش في الطبعة الثانية من الملحمة
١٩٧١ ، ص ١٣٦-١٣٧ •

(**) يقارن بعض الباحثين هذه البادرة من عشتار بقوس قزح الوارد
في التوراة في حديث الطوفان ، حيث كان آية عهد الله الى نوح وذريته بأن
الله لن يكرر احداث الطوفان (سفر التكوين ٨:٩-١٧) •

الذئاب عليهم فقلت من عددهم ، او احللت القحط في البلاد فاهلك
الناس . أما أنا فلم افش سر الآلهة ولكنني جعلت « أترا - حاسس » (*)
يرى رؤيا فأدرك سر الآلهة ، والآن تدبر أمره وقرر مصيره ، وعندئذ
هبطاً « انليل » ولان وصعد فوق السفينة وامسك بيدي واركبني معه
واركب معي زوجي وجعلها تسجد بجانبني ووقف ما بيننا ولمس ناصيتينا
وباركنا قائلاً : « لم يكن اوتو - نبشتم قبل الآن سوى أحد البشر ،
ولكنه منذ الآن سيكون هو وزوجه مثلنا نحن الآلهة ، وسيعيش « اوتو - نبشتم »
بعيدا عند قم الانهار » ثم أخذوني وزوجي واسكنوني عند قم الانهار .
والآن يا جلجامش من سيجمع الآلهة من اجلك لتسال الحياة
الخالدة التي تشدها ؟ تعال امتحنك : لاتم ستة أيام وسبع ليال . ولكن
وهو لا يزال قاعدا عند « اوتو - نبشتم » اذا بسنه من النوم تتسلط عليه ،
فالتفت « اوتو - نبشتم » الى زوجته وقال لها : « انظري وتألمي هذا الانسان
القوي الذي ينشد الحياة قدم غلبه النوم » . فاجابته زوجته أن يوقظ الرجل
ويجعله يعود ادراجه من حيث أتى ، ولكن « اوتو - نبشتم » حذر
امراته قائلاً : « لما كان الخداع سمة البشرية فانه سيخدعك . فأخبرني
له أرغفة من الخبز وضعها عند رأسه ، والايام الني ينام فيها أشريها على
الجدار » . فخبزت له سبعة أرغفة ووضعتها عند رأسه وأشرت في الجدار
الايام التي تامها : يبس الرغبة الاول ، وتلف الرغبة الثاني ، والثالث
لم يزل طريا ، وابيضت قشرة الرغبة الرابع ولما كان الرغبة
السابع لا يزال على الجمر لمس « اوتو - نبشتم » جلجامش فاستيقظ
وقال له : « لم تكذ تأخذني سنة من النوم حتى لمستني فابقظتني » فاجابه

(*) يرد اسم « اترا - حاسس » لأول مرة ، ومعنى اسمه « المفرط في
الحكمة » وهذه صفة أو اسم آخر لبطل الطوفان في ملحمة جلجامش اي
« اوتو - نبشتم » أو « اوتا - نبشتم » وقد جاءتنا ملحمة خاصة بالطوفان
بعنوان « اترا - حاسس » سنفرد لها وصفا خاصا في النصوص الخاصة
بالتوفان .

« اوتو - نبشتم » : « يا جلعامش عد ارغفتك ينشك المؤشر على الحائط عدد الايام التي نمتها » • وعندئذ قال جلعامش لاوتو - نبشتم وهو يأس : ماذا عساي أن افعل ، والى أين أوجه وجهي ؟ ها ان المشكل (الموت) يقيم معي » • فأمر « اوتو - نبشتم » ملاحه « اور - شناني » أن يأخذ جلعامش الى موضع الاغتسال لينظف جسمه ويبدل ملابسه الوسخة وان يأخذه معه من بعد ذلك الى مدينته « اوروك » • وبينما كان الاثنان يهمنان بركوب السفينة في طريق العودة تشفعت له امرأة « اوتو - نبشتم » عند زوجها ان لا يدعه يرجع الى بلاده خائبا • وعندئذ كشف « اوتو - نبشتم » لجلعامش عن سر نبات عجيب ينبت في أعماق البحر وانه مثل الورد ذو شوك ، وذو خاصية سحرية في تجديد شبابه • فربط جلعامش برجليه احجارا وغاص الى الاعماق وعثر على ذلك النبات ، وفرح وقال لرفيقه الملاح : « يا أور - شناني ان هذا نبات عجيب يستطيع أن يطيل به المرء حياته ، وسأحملة معي الى « اوروك » وأشرك معي الناس ليأكلوه وسيكون اسمه : « يعود الشيخ الى صباه كالشباب » ، وأنا سأكل منه (في أواخر أيامي) حتى يعود الي شبابي » • وهكذا شرع الرجلان بالعودة ، ولكنهما توففا من بعد ثلاثين ساعة مضاعفة ليمضيا الليل ، وأبصر جلعامش بركة ماء باردة فنزل ليغتسل في مائها ، وصادف أن حية قد اجتذبتها شذا ذلك النبات فتسللت واختطفته واكلته ، ونزعت عنها غلاف جلدها وصارت تجدد شبابها كل عام (*) •

(*) استطاعت الحية بفعل ذلك النبات السحري ان تجدد شبابها على الدوام بنزع جلدها كل عام • ومما لا شك فيه ان هذه الاسطورة اصل اتخاذ صورة الحية رمزا للحياة والشفاء والتطبيب عند اليونان وفي العصر الحديث • كما يصح ان نربط هذه الاسطورة باسطورة العداة الذي استحكم بين الحية وبين ذرية حواء من بعد حادثة الاغواء ، فقد فرض الله على آدم وحواء بالاضافة الى اخراجهما من الجنة العداة المستحكم بين الحية وبين ذريتهما من بعد ان اغوت الحية حواء (او ان الشيطان تمثل بصورة الحية) ان تأكل من الشجرة المحرمة •

وعند ذاك جلس جلجامش وأخذ يبكي ويخاطب الملاح : « من أجل من
يا أور - شئابي كلت يداي وأضنيت قلبي ؟ لم أحقق لنفسي مغنما ، بل
حصل على المقنم (أسد التراب) » (*) . وأخيرا بعد مراحل أخرى من
السفر وصلا الى الوركاء وشغل جلجامش نفسه بأعمال عمرانية في المدينة
ليخلد نفسه بالذكر الحسن بعد أن اخفق في نيل الخلود الجسماني .
وتعيد الاسطر الأخيرة من الخاتمة ديباجة الملحمة .

قصص أخرى صغيرة عن جلجامش

١ - جلجامش و « آكا » حاكم كيش :

من قصص الملاحم القصيرة التي تدور أحداثها على جلجامش واحد
الحكام المعاصرين له ، قصة سومرية تروي النزاع ما بين جلجامش
(الذي قلنا انه كا خامس ملوك سلالة الوركاء الاولى) وبين « آكا »
(Agga) آخر ملوك سلالة كيش الاولى ، وكلاهما حكم في أواخر
عصر السلالات الثاني (في حدود ٢٥٠٠ ق م) ، وهي تصور لنا أحوال
ذلك العصر السياسية ، حيث النزاع والاحترا ب ما بين دول المدن التي
كان يحكم فيها دويلات في آن واحد تقريبا (**). لقد أراد « آكا » ، ملك
كيش ، ان يسيطر سلطانه على دولة مدينة الوركاء ، يوم كان يحكم فيها

(*) « أسد التراب » من نعوت الحية عند العراقيين القدماء .

(**) عن ايجاز الاوضاع السياسية في تاريخ العراق القديم في هذا
العصر راجع كتابي : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، الجزء الاول
- الطبعة الثالثة - ١٩٧٣ .

الملك جلجامش • وقبل أن يشن « اكا » الحرب عليه تبدأ القصة^(٤) بارساله سفارة الى الوركاء تحمل انذارا الى جلجامش بان يخضع له ويعترف بسيادة كيش على الوركاء • ولما كان جلجامش لا يستطيع أن يبت بنفسه في شؤون الدولة الخطيرة كالحرب والسلام ، استدعى اولا مجلس نيوخ المدينة وعرض عليهم انذار « اكا » وحثهم على عدم الرضوخ الى مطالبه بل مقاومته • ولكن المجلس رأى الرضوخ والاستسلام بدلا من الحرب ، فامتنع جلجامش وعرض الامر على مجلس آخر للمدينة يتألف من المحاربين ، وكرر عليهم تحريضه على عدم الاستسلام الملك كيش بل المقاومة والحرب ، فاستجاب هؤلاء وقرروا الحرب دون التفريط بحريتهم واستقلالهم ، وتستمر الملحمة من بعد خروم فتقدم المشهد الثاني من الاحداث حين قدم « اكا » على رأس جيشه الى مدينة الوركاء وضرب عليها الحصار ، ويبدو من سياق النص ان المدافعين عن المدينة قد أخذتهم المفاجأة على حين غرة ودب فيهم الخذلان ، فاضطر جلجامش الى قبول **المفاوضة والصلح** ، فأرسل أحد اتباعه الى « اكا » الذي قبض عليه وأسره ، فأرسل رسولا آخر • وهنا

(٤) مع ان حوادث القصة ترجع كما قلنا الى عصر السلالات (النصف الاول من الالف الثالث ق م) بيد ان زمن النسخة التي جاءت الينا عنها يعود الى ما يسمى في تاريخ العراق القديم بالعصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني ق م) • وقد وجدت كسر اللوح التي تتضمن النص المسماري في مدينة « نفر » ودرسها ونشرها جملة باحثين مختصين منهم :

1. Witzel in *Orientalia*, V, (1936), 332 ff.

2. Th. Jacobsen in *JNES*, XI, (1943), 156 ff.

4. —, in *ANET*, (1969) .

5. Kramer, *From The Tablets of Sumer* (1956).

او ترجمته الى العربية من جانب كاتب هذا البحث بعنوان : « من

الواح سومر » ١٩٥٨ •

6. Kramer, *The Sumerians*, (1963).

توجد ثغرات ومواطن ناقصة في النص ، ولكن يبدو من سياق القصة أن « أكا » قبل الصلح ورفع الحصار عن أسوار الوركاء كما يشير الى ذلك الخطاب الذي وجهه جلجامش الى « أكا » وهو ثناء ومديح ، وتنتهي القصيدة السومرية المؤلفة من زهاء ١١٥ سطرا بتمجيد جلجامش .

٢ - جلجامش و « ارض الحياة » :

القصة الملحمية الثانية التي تروي طرفا من اعمال جلجامش البطولية ولها صلة بملاحمة جلجامش البابلية باعتبارها اصلا من أصولها دونت باللغة السومرية في عدة كسر من الألواح عثر عليها في مدينة نمر (ووجدت كسرة منها في كيش) . ويرجع زمن آخر نسخة الى العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني ق م)^(٥) ، وتدور أحداثها بالدرجة الاولى على مغامرة لجلجامش في جبال الارز ولقائه مع حارس الغابة ، العفريت « خمبايا » (خواوا) . فان جلجامش وقد ادرك ان مصيره انى الموت مثل البشر الآخرين ، عزم على اتيان بعض الاعمال التي تخلد اسمه قبل ان يحل به الاجل المحتوم ، فقرر ان يذهب الى « ارض الحياة » ويقوم أيضا بقطع أشجار الارز . وبعد أن بلغ عزمه هذا الى صديقه وصاحبه « انكيدو » نصحه هذا ان يستشير الاله « اوتو » (شمش) ويلتمس منه العون لان غابات الارز تحت سلطانه وحمايته . فابدى « اوتو » العطف على جلجامش وقدم له العون في سفره المحفوف بالاعطال عبر الجبال . وجمع جلجامش في حملته خمسين متطوعا من أهل الوركاء ممن لا تربطهم رابطة عائلية ، وبعد أن هيا أسلحة مختلفة ، عبر هو وجماعته سبع سلاسل

(٥) راجع نصها وترجمتها من جانب الاستاذ « كرامر » في :
Kramer in Journal of Cuneiform Studies, I, (1947), 3 ff.
—, in ANET, (1969).

من الجبال • ولا يعلم سير الحملة من بعد اجتياز تلك الجبال لانخراط النص • وبعد أن يصبح النص واضحا نجد جلجامش وقد غط في سبات عميق اعاقه عن مواصلة سفره ، ولكنه حالما استيقظ أقسم بامه الالهة « نسون » وأبيه « لو كال بندا » انه سيدخل « ارض الحياة » ، ولكن صديقه « انكيدو » استعطفه ان يعدل عن عزمه تجنباً للمهالك والاططار ، فان حارس غابات الارز (خمبابا) (خواوا أو هواوا) لا قبل لاحد أن يصد هجومه • وبعد أن شجع جلجامش صديقه وصل الاثنان الى غابة الارز واقتطعا سبع اشجار منها ، واقترب جلجامش من مريض « خواوا » ولكن هذا المارد ، خلافا لما كان يتوقع ، جبن ازاء جلجامش وتضرع اليه والى الاله « اوتو » ان يبقيا عليه ، وكاد جلجامش ان يعفو عنه ، ولكن انكيدو حرّضه على قتله ، فقتله وقطع رأسه ، وقررا ان يأخذا جثته هدية الى الاله « انليل » وزوجته الالهة « نليل » ، بيد أن ما يعقب هذا الموطن من القصة ناقص غير واضح •

٣ - موت جلجامش :

القطعة الادبية الثالثة التي تتعلق بجلجامش قصيدة سومرية من العصر البابلي القديم (الالف الثاني ق م) ، لا يعلم مقدار طولها الاصلي لانه لم يصل اليها منها سوى جزء صغير^(٦) • ولكن على الرغم من قلة ما بقي سالما من النص الاصلي فانه يلقي ضوءا كاشفا على جانب مهم من معتقدات القوم في الموت وعالم الاموات •

يتألف النص الباقي من لوحين غير كاملين ، كل لوح يتناول موضوعا معينا • فخلاصة الموضوع الاول ان جلجامش ادرك الحقيقة المقدره على

(٦) انظر :

Kramer in BASOR, No. 94, (1944), 2 ff.
 ———, in ANET, (1969).

الإنسان أي الموت وأنه لا سبيل له في الحياة الخالدة ، بل يكفيه ان الاله « انليل » منحه الملوكية ورفعة الشأن والبطولة • ويتضمن القسم الثاني من النص موت جلجامش وراثته والحزن عليه ، وتعداد افراد أسرته وحاشيته : زوجه ومحظياته واولاده وخدمه واتباعه الذين ذهبوا معه الى عالم ما بعد الموت ، وذكر الهدايا التي قدمها جلجامش الى آلهة العالم الاسفل ، وفي مقدمتهم ملكة هذا العالم « ايريشكيكال » •

وهنا تتوارد الى الذهن جملة احتمالات لتفسير هذا المورد المهم من الاسطورة منها : (١) ان جلجامش صار ملك العالم الاسفل (٢) ان الاتباع والحاشية الذين تعددهم الاسطورة بانهم اصطحبوه الى ذلك العالم قد دفنوا معه احياء على غرار ما كان يمارس في حضارة وادي الرافدين في احدى فترات عصر السلالات (الالف الثالث ق.م) من دفن حاشية الملك معه كما في المقبرة الملكية في أور(*) •

الطير وقصص ملكية اخرى

١ - اسطورة الطائر « زو » :

بعد ان أتينا على ذكر النصوص الادبية التي تدور على أعمال جلجامش ومغامراته نورد قطعاً أدبية أخرى تصنف في موضوع الملاحم ، منها اسطورة طريفة تعرف لدى الباحثين بعنوان الطائر « زو » ، وقد وجد لها عدة نصوص باللغة البابلية من عهود متفاوتة ، بعضها من مكتبة الملك الآشوري « آشور بانيبال » (القرن السابع ق.م) ، وبعضها من العهد البابلي القديم (مثل النص المكتشف في سوسة عاصمة بلاد عيلام، من الالف

(*) انظر خلاصة هذا الموضوع في كتابي : « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٧٥ فما بعد •

الثاني ق.م) ، كما وجدت اجزاء لها باللغة السومرية^(٧) .

تدور الاسطورة على مخلوق غريب بهيئة طائر اسمه « زو »^(*) ،
لعله أحد الآلهة ، وبوجه خاص من آلهة العالم الاسفل ، وقد سرق من
الاله « انليل » « الواح القدر »^(**) التي كانت مستودع قوة هذا الاله وسر
قدراته الالهية^(***) فتعطلت أقدار الكون ونواميسه وأصاب الآلهة
الاضطراب والهلج ، فاضطر الاله « آنو » كبير الآلهة ، أن يجمع أبناء
الآلهة ويطلب منهم ان ينبري احدهم للملاحقة « زو » وقتله واسترداد
« الواح القدر » منه . لقد طلب من عدة آلهة ان يضطلعوا في الامر ولكنهم
احجموا خوفا من بطش الاله « زو » الى ان تمكن احد الآلهة من القضاء على
« زو » واسترد منه الواح القدر وأعادها الى « انليل » . وهناك اختلافات في
الروايات ! تختلف عن اسم الاله الذي قام بتلك البطولة ، على انه يمكن حصر
الامر في الهين هما « نورتا » (نجرسو ايضا ابن الاله انليل) ، وفي رواية
سومرية كان البطل « لو كال بندا » ، وفي تريلة للاله « مردوخ » منسوبة
الى الملك الآشوري « آشور بانيال » جعل مردوخ ، آله بابل ، بطل الآلهة
في تلك الازمة العصيبة التي حلت بهم .

(٧) نشرت نصوصها المسمارية في :

CT. XV, (1902), 39 ff.; RA, XXXV, (1938), 20 ff.; Ibid., LVI, (1952)

وترجماتها في البحثين الاتيين :

Speiser in ANET, (1969), 111 ff.

Grayson in Ibid., 517 ff.

(*) ارتأى بعض الباحثين أن يقرأ هذا الاسم بهيئة « آنزو » (Anzu)

L. Oppenheim, Ancient Mesopotamia. (1965), 269.

(**) مصطلح « الواح القدر » أو « لوح الاقدار » و « لوح السلطة

الالهية » في اللغة البابلية « دب - شماتي » (Dub Shimati) وكان من

يحوز عليها من الآلهة يحصل على السلطة المطلقة على الكون والآلهة .

(***) قارن اسطورة الخليفة البابلية ، اللوح الاول ، السطر ١٠٦ .

٣ - صعود « ايتانا » الى السماء :

الاسطورة الثانية التي نذكرها في هذا الباب من أدب العراق القديم تعرض لنا أقدم حلم في الطيران عند البشر • وكان اسم بطر الاسطورة « ايتانا » (Etana) الذي ورد ذكره في اثبات الملوك السومرية على انه الملك الثالث عشر من سلالة « كيش » الاولى التي كانت أول سلالة حكمت البلاد من بعد الطوفان بحسب رواية تلك الاثبات ، وذكرت ازاء اسمه العبارة : « ايتانا الراعي ، الذي عرج الى السماء ووطد جميع البلاد » • وقد صورت اسطورة صعوده الى السماء في الاختام الاسطوانية لاسيما في اختتام العصر البابلي القديم حيث يظهر مشهد انسان (راع على الاكثر) على ظهر نسر^(٨) • وكانت هذه الاسطورة من الاساطير التي شاعت في أدب حضارة وادي الرافدين ، ووجدت نصوصها المدونة باللغة البابلية في ثلاث نسخ : (١) نسخة من العصر البابلي القديم (الالف الثاني ق.م) (٢) نسخة من العصر الآشوري الوسيط (المتصف الثاني من الالف الثاني ق.م) (٣) نسخة من العصر الآشوري الحديث (القرن السابع ق.م) ، من مكتبة الملك « آشور بانسيال » الشهيرة في نينوى^(٩) •

(٨) انظر مثل هذه المشاهد في الاختام الاسطوانية المنشورة في :
Frankfort, Cylinder Seals, (1939), 183, pls. XXIV-H

(٩) نشرت هذه النسخ في :

١ - النص البابلي القديم :

Langdon in *Babyloniaca*, (1931), Pls. I-XIV

٢ - النصان الآشوريان :

Ebeling in *Archiv für Orientforschung*, XIV, (1944), Pls. IX-X.

واحدث ترجمة في :

Speiser in *ANET*, (1969).

والى العربية في مجلة « سومر » (١٩٥١)

ملخص الاسطورة :

تبدأ الاسطورة بديباجة تروى كيف أن الآلهة فكروا في تدبير شؤون البشر يوم لم يكن يحكمهم ملك ، فلم يكن التاج ولا الصولجان المرصع بأحجار اللازورد ولا محجن الراعي ، اذ كانت سارات الملوكية جميعها مودعة في السماء عند الاله « آنو » ، وبعد انتحرام في النص تبدأ احداث الاسطورة الرئيسية ، وهي أن ثعبانا كان يعيش في ظل شجرة يرجح انها شجرة الميعة ، وفي الوقت نفسه كان نسر قد بنى عشه فيها . وقد عقد الثعبان والنسر عهدا ما بينهما مقسمين باسم الاله « شمش » الا يعتدي احدهما على الاخر ، ويبر أحدهما الآخر . وهكذا عاش الجاران في صفاء ووئام ، فكان اذا حصل احدهما على صيد شارك فيه جاره . وبعد أن شب صغار النسر ، فقتت صغار الثعبان ايضا . وهنا تغيرت نوايا النسر فبيت الشر لجاره الثعبان ، وحنث بقسمه واكل صغاره . ولما لم يجد الثعبان صغاره في جحرها صار ينبش الارض عبثا وتملكه الحزن والاسى ، وادرك ان النسر قد غدر به ، فقصده الاله شمش وبكى امامه وشكا له غدر النسر وحنثه بالقسم ، فأشار الاله شمش على الثعبان أن يذهب الى جبل يجد فيه ثورا وحشيا قد ربطه الاله هناك ، وعليه ان يقر بطنه ويختبئ في داخله ، فاذا جاء النسر ليأكل من لحمه عليه أن يمسك به ويتتف ريشه ويكسر جناحيه ويرميه في حفرة حتى يموت جوعا . **فعل الثعبان ما أشار عليه** الاله « شمش » وجاء النسر مع صغاره ليأكلوا من لحم الثور ، فنصحه فراخه الا يأكل من الثور خشية ان يكون الثعبان قد اختبأ في بطنه ، ولكن النسر لم يأبه لتحذير صغاره ، ولما بدأ ينهش من لحم الثور وبلغ جوفه امسك به الثعبان من جناحيه ، وعبثا حاول ان يستعطفه فقد أصر الثعبان على انزال العقاب به مخافة ان يغضب الاله شمش الذي دبر عقوبة النسر . فكسر جناحيه ورماد في حفرة . وهنا أخذ النسر يستعطف الاله « شمش »

ولكن هذا الاله لم يشأ ان يساعده مساعدة صريحة • فقد حدث ان رجلا اسمه « ايتانا » كان يسعى للحصول على نبات من السماء له خاصية الحمل لان امرأته كانت عاقرا ، ولما استعطف « ايتانا » الاله ان يدلّه على السبيل الذي يحصل به على النبات نصحه أن يذهب الى حيث النسر ملقى في الحفرة • فجاء اليه « ايتانا » واتفق معه أن يخلصه من الموت على أن يتعهد بان يجعله يمتطي ظهره يصعد الى السماء • وبعد أن تعافى النسر ونبت ريشه واستعاد قوته امتطى ايتانا ظهره فطار به الى السماء ، واخذ يرتفع ويرتفع ، وفي كل مرة كان النسر يطلب اليه ان ينظر الى حجم الارض • فشاهدها مرة كأنها التل وبحارها كالانهار الصغيرة ، واستمر في الصعود حتى بلغا مدخل سماء « آنو » (وهي السماء السابعة) • ولكن ينخرم النص عند هذا الموضع فلا يعلم هل حصل « ايتانا » على النبات الذي يساعده على الحمل ، على ان المرجح انه حصل على مبتغاه كما تشير الى ذلك دلالة اثبات الملوك السومرية حيث ورد فيها اسم الملك « باليخ » على انه ابن « ايتانا » الذي خلفه في الحكم في سلالة كيش الاولى •

ملاحظة :

يجدر ان تنوه في ختام كلامنا على هذه الاسطورة الطريفة بالشبه الواضح بما جاء في الاسطورة اليونانية الخاصة بالنسر والجعل وما حصل بينهما من عداة بسبب التهام النسر لبيوض الجعل وطيران الجعل الى السماء لعرض شكواه على كبير الآلهة اليونانية « زوس » • وقد استخدم الروائي اليوناني الشهير « أرسطوفانيس » هذه الاسطورة في روايته الكوميديّة « السلم » اذ جعل بطل السلم « تريكوس » (Trygaeus) يطير الى السماء على ظهر جعل ليستنجد بالاله « زوس » ليحل السلام في بلاد اليونان (١٠) •

(١٠) راجع مجموعة الروايات اليونانية في :

Oates, O'Neill, The Complete Greek Dramas, II, (1938). "Peace", 671 ff.

ونذكر كذلك الاسطورة اليونانية التي تروى كيف ان الاله « زوس » رفع اليه الشاب الجميل « كانميده » (Ganymede) على ظهر نسر الى السماء ليكون ساقيا له .

وهناك اسطورة اخرى عن « ايتانا » تروى نزوله الى العالم الاسفل^(١١) . ويوجد بشر آخر في اساطير حضارة وادي الرافدين صعد الى السماء هو « أدابا » الذي سنذكر اسطوره في الفقرة التالية :

٣ - اسطورة « أدابا » :

القطعة الادبية الثالثة في هذا الموضوع تتضمن اسطورة اشتهرت في حضارة وادي الرافدين وفي مراكز الحضارات المجاورة ايضا حيث وجدت نسخة لها في تل العمارنة (مصر الوسطى) من القرن الرابع عشر (عصر العمارنة) ، وتعرف بعنوان قصة «أدابا» ، وهي على قدر كبير من الاهمية بالنسبة الى آراء انقوم في أصل الشر وطبيعته الانسان ومسألة الخلود وعلاقة الانسان بالآلهة . وموضوعها الاساسي ، مثل ملحمة جلجامش ، يدور على تعذر نيل الخلود من جانب الانسان وفشله في الحصول عليه حتى عندما وافقت الآلهة على منحه اياه . والى هذا فللاسطورة اهمية خاصة لوجود اوجه شبه بين روايتها وبين موضوع سقوط ادم واخراجه من الجنة كما جاء في التوراة . وقد رأى غير واحد من الباحثين في اسم بطل الاسطورة « أدابا » صيغة لفظية أخرى لاسم آدم ، وان من معاني كلمة « ادابا » و « ادب » في البابلية الانسان^(١٢) . وقد اخفق بطل الاسطورة هذا^(١٣) في

(١١) انظر :

S. N. Kramer, The Sumerians, (1963), 44

(١٢) ذكر الباحث « ايبلنج » ان بحوزته نبأ بالعلامات المسمارية غير منشور ورد فيه لفظ a-da-ap/b مرادفا لكلمة « انسان »

Ebeling, Tod und Leben, 7a.

(١٣) نذكر فيما يأتي الترجمات والدراسات الاساسية عن نص الاسطورة :

1. Speiser in ANET, (1969).

الحصول على الخلود مثل جلجامش ولكن بسبب خطأ في حساب أحسد الآلهة أو خدائه • وإذا كان جلجامش قد عوض عن اخفاقه في نيل الخلود بما قام به من جلائل الاعمال التي خلدت ذكره فان الآلهة عوضت « أدايا » بان صيرنه في مقدمة حكماء البشر ، على رأس الحكماء السبعة الذين اطلق عليهم العراقيون القدماء اسم « ابكلو » (Apkallu) (*) •

ملخص الاسطورة :

كان « أدايا » ، حكيم مدينة « أريدو » قد خلقه الاله « ايا » انموذجا للبشر الكامل ، واحبه ومنحه الحكمة والمعرفة ، فكان عبدا صالحا لا يني عن اقامة الشعائر الدينية وتقديم القرابين للاله « ايا » ، كما كان موضع اعتماد أهل « أريدو » • وكان يمتهن صيد السمك في سفينته ، فكان يجهز « اريدو » ومعابدها بالسمك ، واشتهر بحذقة في الملاحة والصيد في البحر • وحدث مرة ان الريح الجنوبية هبت وهو يصطاد في سفينته فاغرقتها • وقد جسم العراقيون القدماء هذه الريح وتصوروها على هيئة طائر ضخم ، فامسك « أدايا » بالطير وكسر جناحيه ، فسكنت الريح الجنوبية فلم تهب واضطرب نظام الكون واحس بذلك كبير الآلهة « آنو » ، فاخبره وزيره المسمى « ايلابرات » (Ilabrat) بان « أدايا » ، ابن الاله « ايا » هو الذي كسر جناحي الريح الجنوبية ، فاستشاط « آنو » غيظا ، وأمر ان يحضر أمامه « أدايا » ليعاقبه على فعلته • ولما علم بالامر الاله « ايا » ، حامي أدايا ، هيام

2. Clay, Yale Oriental Series, (1922). P's. IV-V. =:

3. Knudtzon, Die Al-Amarna Tafeln, (1915), 965 ff.

4. Thompson, The Epic of Gilgamesh, (1930), p. 131.

5. A. Heidel, The Babylonian Genesis, 147 ff.

(*) ومنه الكلمة المستعملة في العربية « إفكلل » • حول حكمة « أدايا »

واسطورة الحكماء السبعة ، انظر البحث الاتي :

E. Reiner, "The Etiological Myth of The Seven Sages" in *Orientalia*, 30 (1961), 1 ff.

للمثول أمام « آنو » بان جعله بطيل شعر رأسه ويلبس ثياب الحداد واوصاه قائلاً : « يا أدايا ستذهب الى حضرة الاله « آنو » وستأخذ طريقك الى السماء ، وستجد عند مدخل سماء « آنو » الالهين الحارسين « تموز » و « كزيدا » (Gizzida) وسيسالانك لم جئت وعلام انت اشعث الشعر مرتديا ثياب الحزن ؟ فاخبرهما انك حزين على الهين اختفيا من الارض ، وسيسران لقولك ويتشفعان لك عند « آنو » . واذا مثلت امام آنو فسيقدم لك خبز الموت فلا تأكله ، ويقدم لك ماء الموت فلا تشربه . اما اذا قدم كسوة فلا بأس عليك أن ترتديها ، واذا قدم لك زيتا فامسح به جسمك » . وهكذا عرج « أدايا » الى السماء وبلغ سماء الاله آنو ووجد الالهين المذكورين على نحو ما اخبره « ايا » ومثل في حضرة الاله العظيم . ولما سأله « آنو » لم كسر جناحي الريح الجنوبية اجابه بان هذه الريح اغرقت سفينته التي يصطاد بها وحرمته من كسب عيشه ، وسأله الالهان المذكوران ، فرق له قلب آنو ، ويبدو انه توسم فيه رجاحة العقل والحكمة فقرّر بدلا من عقوبته ان يطعمه طعام الحياة الخالدة ويسقيه ماء الخلود ، فيجعله خالدا مثلما هو حكيم . ولكن يا لخسران البشرية رفض « أدايا » تناول ما قدم اليه من خبز وماء فعجب « آنو » لامره ، ولما سأله لم امتنع عن ذلك أخبره ان « ايا » هو الذي اشار عليه بذلك . فغضب « آنو » ، ولعن أدايا قائلاً : « لانك لم تأكل من طعام الحياة ولم تشرب من ماء الحياة فلن تنال الحياة الخالدة أيها البشر الناقص المعوج ! » . وهكذا ضرد أدايا يائسا من سماء « آنو » ، واخفق مثل جلعامش ، في نيل الخلود .

ملاحظة :

قد يتبادر الى ذهن القارئ تساؤل طريف هو : ترى هل تعمسه الاله « ايا » ان يغش أدايا ليحرمه الخلود أو انه اخطأ الحساب فيما سيحدث من تبدل في قرار الاله « آنو » ؟ ومهما كان مغزى هذه الاسطورة وفكرتها

الاساسية فهناك اوجه شبه واضحة ما بينها وبين اسطورة طرد آدم من الجنة على الرغم من اختلاف السبب الذي أخرج آدم من اجله من الجنة . فان آدم ، بحسب رواية التوراة ، كان يعيش منعما في جنة عدن شبه مخلد وقد طرد منها لما عصى الله وأكل من الشجرة المحرمة (شجرة المعرفة) واصبح يتميز بميزات الالهية الاساسية وهي المعرفة فخشي الله ان يأكل من شجرة الحياة فيكون خالدا ويصبح مثل الآلهة فطرده من الجنة قائلا « لقد اصبح الانسان واحدا منا يعرف الخير والشر والان لكيلا يمد يده ويأكل من شجرة الحياة ويعيش الى الابد فطرده الله من جنة عدن » (*) .

٤ - اسطورة اله الطاعون « ايرا » :

وهذه قطعة أدبية شعرية رابعة باللغة البابلية لم يسلم من اصل نصها سوى الثلثين تقريبا ، ويرجح انها دوت على خمسة الواح^(١٤) . واغلب الظن ان القصيدة نظمت على اثر غزو العيلاميين لبلاد بابل الذي أنهى حكم السلالة الكشية (سلالة بابل الثالثة) في حدود القرن الثاني عشر ق.م وموضوعها الاساسي وصف ويلات الحرب والامراض كالوباء والطاعون التي هي من اعمال الاله « ايرا » (Erra. Irra) ، وبالمقابلة كان السلام والخير من صنع الاله « مردوخ » ، اله بابل . وقد سلبت الاله « ايرا » الوباء على بابل وغزو الاعداء لها بعد ان خدع الهها مردوخ وأبعده عن مدينته اذ اغراه بالنزول الى بعض اجزاء الارض السفلى العائدة الى الاله « ايا » ليحصل من هناك على بعض المواد الثمينة وعلى الصناعات الماهرة ليصنعوا

(*) التوراة ، سفر التكوين .

(١٤) راجع عنها :

1. B. Kienast in Zeitschrift für Assyriologie, 54, (1961), 24 ff.
2. L. Oppenheim, Ancient Mesopotamia, (1965), 268 ff.

له ملابس واثاثا • وهكذا خلا الجو لاله الطاعون ان يعيث فسادا في بلاد بابل فسلط عليها الحرب والدمار والطاعون • ولكن لاسباب غير معروفة خفف من بطشه وكف عن التدمير وصار يبشر بلاد بابل بعودتها الى سابق رخائها وازدهارها • وخصص اللوح الرابع من نص الاسطورة لرثاء تدمير بابل ، وهو رثاء اشترك فيه الهها « مردوخ » وبضاهي قصيدة الرثاء السومرية في رثاء مدينة « اور » وسيمر بنا ذلك في باب الرثاء •

وتتميز هذه القصيدة بانها من بين النصوص الادبية الفريدة التي ذكر اسم ناظمها في ذيل القصيدة بهيئة « كابت - ايلاني - مردوخ » (Kabit-ilani-Marduk) الذي يقول ان الاله « مردوخ » نفسه ظهر له في الحلم واملى عليه القصيدة وانه لم يصف اليها او ينقص منها شيئا •

هـ - قصة سرجون الاكدي :

سرجون الاكدي من مشاهير ملوك العراف القديم ، وكان اول من تسمى بهذه التسمية الاكدي (السامية) من بعد عصر السلالات في حدود ٢٣٧٠ ق.م ، وتعني « الملك الصادق أو الملك الحق (شرؤ - كين) وقد نالت هذه التسمية شهرة واسعة بين ملوك العراق القديم بحيث اتخذها ملكان من مشاهير الملوك الآشوريين • ومع انه مما لا شك فيه ان هذا الملك دون اعماله ومآثره بيد انها لم يأت اليها منها نصوص يعتد بها لحال التاريخ ، وان اغلب النصوص الخاصة بحكمه - نسخ من العصور المتأخرة ، واقدمها النسخ التي خلفها كتبة مدينة « نمر » التابعون لمعبد الاله « انليل » من العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني ق.م) ، وكان من بين هذه النصوص المتأخرة الاشارات المهمة الواردة فيما يعرف بنصوص الفأل (Omen Texts) • ومن المدونات الطريفة التي ترجع في زمنها الى العصر الاشوري الحديث (القرن السابع ق.م) قصة او اسطورة عن اصل سرجون وطفولته اشتهرت في مآثر حضارة وادي الرافدين وهي ذات

شبه كبير بالاسطورة الخاصة بطفولة النبي موسى المشهورة في التوراة •
 جاءت هذه الاسطورة^(١٥) على لسان هذا الملك ، أي بضمير المتكلم ،
 اذ يقول : « انا سرجون ، الملك العظيم ، ملك اكّد (اكاده) ••• كانت
 أمي كاهنة عليا ، ولم اعرف أبي الذي كان متجولا • وكان اعمامي يعيشون
 في التلال ، واصلي من مدينة « آزوفرانو » (الزعفران) على الفرات •
 وحملت بي أمي ووضعتني سرا واخفتني في سلة مقيرة من الحلفاء وغطتها
 ورمتني في الماء ، فلم يفرقني النهر بل حملني الى « آكي » ، ساقى الماء ،
 فانتشلتني « آكي » بدلوه ، ورباني واتخذني ولدا وعييتني بستانيا عنده •
 وبينما كنت أعمل بستانيا احببني الالهة عشتار فتوليت الملوكية مدة ٤ ••••
 وحكمت « ذوى الرؤوس السود » ، وقهرت جبالا كثيرة بفؤوس البرونز
 وغزوت الاقاليم البحرية واستوليت على دلمون ••• » (*) • وينتهي النص
 بخروم فلا يمكن ترجمته •

ملاحظات :

١ - أغلب الظن ان السبب الذي دفع أم سرجون الى ان ترميه في الماء
 انها كانت من طبقة عليا من الكاهنات تدعى الواحدة منهن « اينتم »
 (Entum) ، وقد حرم عليهن الزواج مادمّن في اثناء خدمتهم الدينية ، كما
 حرم عليهن انجاب الاطفال على غرار نظام الكاهنات العذارى (Vestals)

(١٥) عن النص المسماري للاسطورة راجع :

CT., XIII, (1901), Pl. 42-43.

وترجماتها والتعليق عليها :

L. King, *Chronicles Concerning Early Babylonian Kings*, II, (1907), 87 ff.

Speiser in ANET, (1969)

(*) حول تعيين « دلمون » بالبحرين انظر الاسطورة السومرية
 المعنونة « انكي وننخرساك » التي مر ذكرها •

في رومة • وجرى الباحثون على ترجمة هذا المورد من النص بعبارة (Changling) « أمني وضيفة » ولكن الدراسات الحديثة ابانت ان المصطلح البابلي الوارد بهيئة (enitu) ليس الا صيغة أخرى لمصطلح (entu) الذي قلنا انه يعني كاهنة عليا(*) •

٢ - توجد قصة أخرى مهمة عن سرجون تتعلق بفتوحاته البعيدة الى الاجزاء الشرقية من بلاد الاناضول المسماة « كبدوكية » ، وقد عنونت هذه القصة القصيرة بعنوان « ملك الحرب » (وبالبابلية شار تمخاري) (١٦) ولا يعلم زمن تدوينها ، ولكن النسخة التي وصلت الينا عنها وجدت في احد اللوحات المسمارية التي عشر عليها في تل « العمارنة » (موضع عاصمة الفرعون المصري اخناتون في مصر الوسطى من القرن الرابع عر ق م) ، مثل اسطورة « أدابا » التي مر ذكرها • كما وجدت لها نسخة باللغة الحثية في « بوغاز كوي » (موضع العاصمة الحثية حاتوشاش) • وقد اشار الى فتوح سرجون الاكدي في الاناضول الملك الحثي المسمى « حاتو شيليش » الاول (١٦٥٠ ق م) •

وخلاصة هذه الملحمة القصيرة ان جماعات من التجار الاكديين كانوا يقيمون في المدينة الاناضولية المسماة « بور شخندا » ارسلوا الى الملك سرجون يستغيثون به لحمايتهم من الاضطهاد من جانب حاكم تلك المدينة ، فخفف سرجون لنجدتهم وارسل حملة حربية الى تلك البلاد النائية ، ولما بلغ المدينة استسلم له الحاكم ، ويبدو ان معاهدة بالتبعية فرضت عليه (١٦) •

(*) راجع معجم شيكاغو الآشوري (Chicago Assyrian Dictionary)

تحت مادة (enu)

(١٦) حول هذه القصة انظر :

Albright, "The Epic of the King of Battle" in JSOR, (1923), 1 ff. ANET, (1969)

٦ - اسطورة « نرام - سين » :

وجاء عن الملك الأكدي « نرام - سين » (٢٢٥٤-٢٢١٨ ق.م) ،
حفيد سرجون المار الذكر قصة أو اسطورة تروى جانباً من الاحداث
والكوارث التي سببت القضاء على السلالة الاكديّة فيما بعد ، ومنها هجوم
بعض الاقوام الجبلية الهمجية من الانحاء الشرقية مثل الكوتيين . وقد
وجدت اجزاء من هذه القصة في مكتبة الملك الاشوري « آشور بانيال »
(القرن السابع ق.م) واجزاء اخرى من العصر البابلي القديم ، ونسخة
من الموضع الحثي الاثري المسمى « سلطان تبة » في منطقة حران^(١٧) .

ملخص الاسطورة :

بعد ديباجة كثيرة الخروم يقدم « نرام - سين » نفسه على انه حاكم
صالح ، ولكن رغم ذلك وقعت في عهده عدة كوارث في البلاد من بينها
غزوها من جانب أقوام متوحشين غربيي الهيات ، وجوهم وجوه الغربان
واجسامهم اجسام الطيور ، وقد انحدروا من اواسط الجبال ، وكانوا ذوي
قوة وبطش وجموعهم غفيرة ، واسم ملكهم وأبيهم « آنو - بانيي »
(Anubanini) واسم ملكتهم وامهم « ميليلي » (Mili) ، ويقودهم
سبعة اخوة ، وقد زحفت جموعهم من الجبال الشمالية المحاذية لتخوم
الامبراطورية الاكديّة ، واكتسحت ، وهي في طريق زحفها ، بلاد الاناضول
ثم بلاد « سوبارتو » (بلاد آشور) وبلاد الكوتيين (شمالى العراق) ،
لما اجتاحت بلاد عيلام وبلغت في زحفها منطقة الخليج العربي فغزت
« دلمون » او « تلمون » (البحرين) وبلاد « مگان » و « ملوخوا » ، فسم

(١٧) انظر المراجع الاتية :

1. Gurney, "The Cuthean Legend of Naram-sîn" in *Anatolian Studies*, 5, (1955), 93 ff., *IBID.*, 6, (1956), 163 ff.
2. Finkelstein, "The So-Called Old-Babylonian kuthan Legend" in *JCS*, 11, (1957), 83 ff.
3. ANET, (1969).

الاضطراب والرعب في بلاد أكد واسقط في يد الملك « نرام - سين » الذي لم يعرف هل كان أوئلك الاقوام بشرا او شياطين ، فارسل احد قواده يستطلع له جلية الامر ، وأوصاه أن يخز بعضهم بالسلاح وينظر هل تخرج من اجسادهم دماء مثل البشر ، ولما خرجت الدماء وتيقن الملك من كونهم بشرا استخار الفأل هل يهاجمهم ، ومع ان نتيجة العرافة او الفأل لم تكن مشجعة ، هاجمهم فحلت بجيوشه الكوارث ، اذ كانوا يقضون على الجيوش التي ظل يرسلها طوال ثلاثة اعوام . وفوق هذا حل في البلاد القحط والمجاعة والطاعون والطوفان . وفي السنة الثالثة تدخل في الامر الاله « ايا » واقتنع الآلهة أن يكفوا عن الامعان في تسليط الويلات والكورث على البلاد ، فاستجابوا لذلك واشعروا « نرام - سين » عن طريق توجيه فأل حسن في رأس السنة الجديدة . وهكذا يبدو ان الامور استقامت لنرام - سين فاستطاع أن يصد حشود اولئك البرابرة . وعلى الرغم من انخرام النص في هذا الموطن من الاسطورة الا ان سياق القصة يشير الى انه استطاع ان بأسر جماعة منهم ، ولما اراد تقتلهم منعته الآلهة وامرته بالابقاء عليهم احياء ليكونوا تذكارا للاله « انليل » على ما احْدثه اولئك البرابرة من شر ودمار فيستقم منهم ويدمر بلادهم .

٧ - قصة « اينمركار » وحاكم اقليم « ارتا » :

اينمركار (Enmerkar) كان احد حكام العراق القدامى ، على انه الملك الثاني من سلالة الوركاء الاولى في عصر السلالات الثاني ، مطلع الالف الثالث ق.م . وذكرته اثبات الملوك « السومرية » انه هو الذي شيد مدينة « اوروك » (الوركاء) وحكم ٤٢٠ عاما . والمرجح ان عبارة « شيد مدينة اوروك » تشير الى ان هذا الملك جمع ما بين القسمين الرئيسيين اللذين كانت تتألف منهما مدينة الوركاء في الادوار الاولى من عصر

السلالات السدى ذكرناه . فالقسم الاول يدعى « كلاب » او « كلابا »
والثاني « اى - انا » ، وكلاهما ذكر فى ملحمة جلجامش .
وقد جاءتنا من العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثانى ق.م) (١٨)
قصص او ملاحم قصيرة باللغة السومرية عن اعمال « اينمر كار »
البطولية ، اشهرها القصة التى تدور على النزاع ما بين هذا الحاكم وبين
حاكم الاقليم المسمى « اراتا » (Aratta) احد حكام الاقليم الجبلى فى
الاجزاء الغربية من ايران ، لان « اينمر كار » كان يريد اخضاع ذلك
الحاكم سلما او حربا لضمان الحصول على بعض المواد الاولى التى كانت
تحتاج اليها مدينته الوركاء ، لاسيما بعض الاحجار الكريمة مثل حجر
اللازورد (Lapis Lazuli) ، وكان اقليم « اراتا » يقع على ط.رق
القوافل التاريخية الى مصادر تلك الموارد . ولعل هذه اقدم اشارة
تاريخية الى الاتصالات التجارية ما بين وادي الرافدين وبين الاقاليم
الشرقية ، وعلى هذا فهى ذات دلالة على قدر كبير من الاهمية تلقي ضوءا
على نشاط حضارة وادي الرافدين فى شؤون التجاره الخارجية والاتصالات
البعيدة لضمان الحصول على المواد الخام التى كانت تفتقر اليها ، الامر
الذى جعل النشاط التجارى العماد الثانى الذى قامت عليه تلك الحضارة
من بعد الزراعة ونظام الري .

(١٨) عن ترجمة القصة والتعليق عليها انظر :

S.N. Kramer, The Sumerians, (1963).

—, From The Tablets of Sumer, (1956).

الفصل الرابع

ادب الحكمه

بما ان اوردنا اشهر النصوص الادبية التي صنفناها تحت موضوع
الخلقة واصل الاشياء ثم النصوص الخاصة بأدب البطولة والملاحم ، نعرض
القطع الادبية التي ندخل في باب الحكمة (Wisdom Literature)
وتتضمن الوصايا والحكم والامثال وموضوع الخير والشر وقضية ما
يصطلح عليه « العدل الالهي » (Theodicy) • وقد خلف ادباء العراق
القديم نصوصا ادبية في هذا الباب تضاهي في مستواها الادبي الفني وآرائها
والمسائل التي عالجتها ما انتجته الآداب العالمية المشهورة من هذا النوع من
التأج الفكري • كما ان النصوص التي وصلت الينا منها ، ومعظمها باللغة
البابلية ، تعتبر نصوصا مطولة بالمقارنة مع انواع القطع الادبية الاخرى •
واشتهرت في موضوع العدل الالهي والخير والشر قطعتان مهمتان تناولتا
تبرير ما يحل بالعبد الصالح من محن وويلات على الرغم من انه يلتزم
التعاليم والشعائر الدينية واوامر الآلهة • ولكن كلا منهما يحل هذه القضية
حلا مختلف عن الآخر • فالقطعة الادبية الاولى التي يمكن ان نغنونها
« أيوب البابلي » ترى ان ما يحل بالعبد الصالح من ويلات انما هو امتحان
وبلوى الهية للكشف عن مدى قوة عقيدته وصبره ورضوخه لقضاء
الآلهة • اما القطعة الثانية فانها تنطوي على التشكك والسخرية في قيم الحياة
الانسانية وفي اقدار الآلهة • ولنبدأ بالقطعة الاولى :

١ - قصة « ايوب » البابلي :

وهي قصيدة بابلية عنوانها « لامجدن رب الحكمة » ، وفي اللغة
البابلية « لدل بل نيميقي » (ludlul bēl nemeqi) ، والمقصود برب
الحكمة أو سيد الحكمة اله بابل « مردوخ » • ويرجح ان بطل القصة
كان احد الوجهاء ، أو الامراء البابليين اسمه « شبسي - مشري - نرجال » •
وقد اطلق عليها كثير من الباحثين « أيوب البابلي » لوجه الشبه الواضحة
بينها وبين قصة أيوب المشهورة في التوراة ، كما سميت بعنوان « التقى

المعذب « • وتشير خصائصها اللغوية الى ان زمن تدوينها يرقى الى العهد الكشي (المنتصف الثاني من الالف الثاني ق.م) ، ويبلغ مجموع أبيات القصيدة زهاء (٥٠٠) بيت ، وقد دونت في الاصل على اربعة الواح^(١) •

موجز القصة :

نظمت القصيدة على هيئة مناجاة فردية (monologue) لشخص صالح متعب نزلت به ، رغم ذلك ، الويلات والكوارث • فيقول بعد مقدمة او ديباجة لم يبق دنها سوى تمجيد الاله « مردوخ » : « لم اعرف في حياتي سوى العمل الصالح والعبادة ، وشغلت افكاري بالتضرع الى الآلهة والضحية والتقرب اليها ، وكانت اوقات عبادة الآلهة سرورا قلبي ، والايام التي أسير فيها في مواكب الآلهة مكسبي ونصري في الحياة ، ويبعث تمجيد الملك المسرة لقلبي ، والموسيقى التي تعزف له مشار غبطتي وسروري • والزممت اهلي واتباعي مراعاة شعائر الآلهة وعبادتها ، وعلمت الجند طاعة القصر ، لان هذه الاعمال تسر الآلهة • • • • • »

ولكن رغم صلاحه وتقواه نزلت بساحته المصائب والنكبات ، فقد تخلت عنه الآلهة وغضب عليه الملك وتآمرت عليه الحاشية واصبح وحيدا منبوذا ، وفكت بجسمه الامراض : « لقد تمكن مرض « آنو » من جسمي وغطاه كالرء ، اذناى مفتوحتان ولكنهما لا نسمعان ، وأصاب جسمي الضعف والوهن ، واصبح السوط المسلط علي يرعيني ويعذبي ، وصار معذبي يطاردني في النهار ويسلبني الراحة في الليل • لقد خذلني الاله ولم يتقدم اله لعوني ، ولم تعطف علي الهتي فتخلصني من مصائبي • حسبي الجميع انني ميت كأن القبر مفتوح أمامي فنهبوا أموالى ، فرح بي حسادي وشمت بي اعدائي ولم يستطع السحرة والمعوذون مساعدتي • • • • • »

(١) انظر الدراسات الأساسية التالية :

1. Pfeiffer in ANET, (1969).
2. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, (1960).

ان هذه الحالة واضحة عن عبد صالح تقي يعبد الآلهة ، ولكنه مع ذلك احاطت به الويلات والنكبات مما يناقض ما يؤكد الكهنة ان العبد الصالح المطيع للآلهة يجرى على اعماله ويفدق عليه الخير والبركة . فكيف يفسر هذا التناقض ؟ اذا رجعنا الى نص القطعة وجدنا ان ناظمها يقدم حلين لهذه المشكلة التي تثير الشكوك في العدل الالهي . فالحل الاول نستطيع ان نسميه الحل العقلي والثاني الحل العاطفي . فالحل العقلي يدور على تعذر تطبيق مقاييس القيم البشرية على اعمال الآلهة وتصرفاتها ، لان الانسان ضئيل قاصر النظر لا يستطيع ان يدرك حكمة الآلهة من وراء اعمالها ، فان ما يبدو صحيحا فيستحق الثناء والاستحسان في نظر الانسان قد يكون شيئا تافها محققا باعين الآلهة . فمن ذا الذي في وسعه ان يدرك كنه فكر الآلهة في اعماق السماء . ان افكار الآلهة كالمياه العميقة ، فمن ذا الذي يستطيع سبر اغوارها ؟ وكيف يستطيع البشر ، وهم محفوظون بالظلام ، ان يفقهوا قصد الآلهة وطرقها ؟

وخلاصة ما يريد ان يقرره ناظم القصيدة ان احكام الانسان ومقاييسه قاصرة ناقصة ، فهو مخلوق ابن ساعته : « فان من ولد امس قد يموت اليوم ويغمره الظلام في لحظة قصيرة وقد يكون الفرد في لحظة أخرى فرحا بغني ، ولكنه سرعان ما يندب ويبكي » وبين الصباح والمساء تتغير حال الانسان ومزاجه . والبشر حين يجوعون يصبحون مثل جثث الموتى ، وحين يمتلأون شبعاً ينافسون آلهتهم . اذا واتتهم الايام تعالوا كأنهم يريدون الصعود الى السماء ، واذا نزلت بهم نازلة هبطوا الى درك العالم الاسفل » .

ولكن رغم هذا التبرير العقلي لحالة العبد الصالح المعذب فإن القلب لا يزال متشككا ، فيعرض ناظم القصيدة الحل الثاني الذي نوهنا به وفجواه ان العذاب الذي يصيب العبد الصالح لا يظل ملازما له الى الابد ، بل انه

امتحان له من الآلهة لاختبار صبره وتعلقه بالآلهة والالتزام بأحكامها وقبول
 أقدارها^(٢) ، وهكذا كانت خاتمة بطل هذه الملحمة من بعد مساعاته من
 نكبات وأمراض ، فانه صبر مثل ما فعل « أيوب » التوراتي فقررت الآلهة
 إعادته الى حاله السابقة من الصحة والثروة والجاه . لقد رأى ثلاثة أحلام
 ظهر له في أحدها شاب جميل ، ولانخرام النص لا يعلم ماذا أراد الشاب
 ان يبلغه . وفي الحلم الثاني رأى كذلك شابا جميلا أجرى له التعاويذ
 والرقى لطرد الشر وانهاء عذابه ، وظهرت له في الحلم الثاني امرأة كانها
 الملكة أو الآلهة ، بشرته صراحة بقرب لخلاصه ، وظهر من بعدها كاهن
 معوذ يحمل لوحا من الآله « نقش بأمره لتخليصه من محنته وإعادة الصفاء
 والرخاء اليه . وتنتهي القصيدة في ازجاء المديح والتمجيد للاله « مردوخ »
 وزوجته « صربنيتم » .

ويجدر ان نذكر في ختام كلامنا على هذه القطعة الادبية البابلية انه
 جاء الينا نص سومري يضا في موضوعه موضوع هذه القصيدة^(٣) .
 ٢ - حوار بين صديقين :

اما القصيدة البابلية الثانية التي تعالج ايضا مسألة « العدل الالهي »
 (Theodicy) مع وجود الشر فيرجع ان تأريخ تدوينها يرقى الى حدود
 مطلع الالف الاول ق.م ، ولكن معظم نسخها وجد في مكتبة الملك الآشوري
 « آشور بانيال » (القرن السابق ق.م)^(٤) . وتختلف هذه القصيدة عن

(٢) راجع تحليل هذه القصيدة في :

Th. Jacobsen, Before Philosophy, 231 ff.

(٣) انظر :

Kramer, From the Tablets of Sumer (1956); ANET, (1969).

(٤) راجع عنها الدراسات والترجمات الاساسية الاتية :

1. Pfeiffer in ANET, (1969).
2. Ebeling, Ein Babylonische Kohelet, (1923).
3. B. Landsberger, "Die Babylonische Theodize" in ZA, (1936) 32 ff.
4. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, (1960).
5. Graig, Babylonian and Assyrian Religious Texts, I (1895), PIs. 44-52.

القصيدة الاولى التي مر الكلام عليها من حيث المحتوى والمضمون وأسلوب التأليف . فقد نظمت على هيئة حوار بين شخص معذب متشكك وبين صديقه ، اي بهيئة « دايولوج » (dialogue) في حين ان القصيدة الاولى كانت كما قلنا مناجاة فردية « مونولوج » .

يتألف هذا النص الادبي في اصله الكامل من ٢٧ قطعة او مجموعه من الابيات مما يسمى بالدور او الموشح (stanza) لم يبق منها بحالة سليمة سوى ١٩ قطعة ، ويحتوي كل دور من ادوارها على (١١) سطرا أو بيتا من الشعر ، وقد نظمت باللغة البابلية بأسلوب من الصناعات الشعرية اللفظية يطلق عليها مصطلح (acrostic) او (alliteration) وفحواها انه اذا اخذ انقطع الاول من كل بيت من ابياتها وجمعت المقاطع بعضها الى بعض تكون منها اسم ناظم القصيدة وشيء من الدعاء الى الاله والملك . وعلى هذا الوجه تؤلف المقاطع الاولى من القصيدة العبارة : « أنا ساكل - كينام - اوبب ، كاهن المشمشو ، وعابد الاله والملك » (*) . وتضاهي هذه الصناعة ما في المزامير (الزمور ١١٩) . اما من ناحية المضمون فان هذه القصيدة على نقيض القصيدة الاولى في معالجتها وتبريرها لقضية ما يصيب الانسان الصالح من ويلات ونكبات ، فهي تدور على التشكك والسخرية من جانب المعذب الذي يصل تشككه في بعض المواطنين الى درجة التجديف والكفر . والى هذا فانها من الناحية الفنية الادبية امتع واروع من القصيدة الاولى . ولعل النماذج الآتية تكفي للتعبير عن مزاج هذه القطعة الادبية :

(*) وبالنص البابلي :

anaku Saggil-kīnam-ubbiḫ mashmashu kārību ilī ū sharri

وقد اطلق بعض الباحثين على القصيدة (الجامعة البابلية)

(Babylonian Ecclesiastes)

وبعنوان : « حوار في العذاب الانساني » (dialogue in human misery) كما ان عنوان المصدر الثاني عنها « قوهيلث » البابلية و « قوهيلت » كلمة عبرية معناها « الحكمة » او « التبشير بالحكمة » ، ولقد لقب بها سليمان بن داود .

المعذب : ابن الناصح الذي أشكو اليه ما أقاسيه من عذاب • أراني
قد انتهى أمري ونسلط علي الشقاء • فحين كنت لا ازال طفلاً اختطف
القدر أبي وذهبت أمي الى « أرض اللاعودة منها » • وتركني ابي وأمي
ولا من يعينني ويرعاني •

الصديق : ما قلته يا صديقي الموقر يبعث الحزن • اراك يا صديقي
الحبيب قد وجهت فكرك الى الشر والبؤس ، وبدا فهمك كفهم العاجز
وبدلت بشاشة وجهك عبوساً • ان الموت قدر على آباءنا وعلينا • وكما قيل
منذ القدم « يعبر الجميع نهر خبر » (*) • وان من استجار بالله وجسد
الحماية والطمأنينة • وينال المتواضع الذي يخشى الآلهة الجاه والمال
الوفير •

المعذب : فكرك ، يا صديقي ، منبع لا يدرك عمقه ، انه البحر المتلاطم
الذي لا ينضب • دعني اسألك ، فاصح الى ما اقول وتدبر كدماي : لقد
خذلني التوفيق ، وذهبت عني الراحة والطمأنينة • وهنت قواي ، وفقدت
النعم والخير ، وأظلم وجهي من كثرة بكائي وشكائي • تضاءلت غلال
حقلي ، فكيف سانال السعادة ؟

الصديق : بجازي الآلهة الاتقياء الصالحين في نهاية المطاف •••

المعذب : دعني اسألك سؤالاً : هل يقدم السبع المفترس الذي يلتهم
أحسن اللحم قرابين ابني الآلهة ؟ والغني الذي كدس الاموال هل قدم
للآلهة « مامي » الذهب ؟ وانا هل انقطعت عن تقديم الصلوات والقرابين
الى آلهي ؟

الصديق : أعرف انك ثابت كالارض ، وتعلم ان طرق الآلهة
وقصدها عسيرة الإدراك ، فان الاسيد الذي ضربته مثلاً تنتظره الحفرة

(*) نهر « خبر » ، اسم نهر عالم الاموات او العالم الاسفل عند
العراقيين القدماء الذي يعبره الموتى •

التي ستصطاده • والغني الذي كدس الاموال من ادراك انه لن يموت حرقا
على يد الملك قبل الاوان ؟ بل انتهى ان نسبر في هذه الطريق ؟ كلا
فاجدر بك ان تسعى وراء الجزاء الدائم الذي يعذك به الهك •

المعذب : ما اشبه فكرك بالرياح الشمالية • انه نسيم عليل للناس •
فيا أعز صديق ، دعني أقول لك كلمة واحدة : كثيرون هم الذين لا يلتزمون
بعبادة الآلهة ولكنهم ساروا في طريق الفلاح ، في حين ان العابدين الاتقياء فقراء
معدمون • وانا في أيام شبابي كنت أسير وفق ارادة الهي ، وتعلقت بالهتي
في التضرع والصلوة • ولكني كنت انوء بجر النير في « عمل سخرة » لا
نفع منه • لقد كتب علي الهي الفقر بدل الغنى • فالمعقد خير منى والبلد
سبقني ، وعلا شأن اللثيم ، اما انا فنزلت الى احط درك •

الصديق : يا صديقي العارف المستقيم أرى ان افكارك قد اعوجت
وفسدت ، ونبتت الاستقامة ، وصرت تكفر في خطط الهك وطرقه •
بل انك في سررك صرت لا تتقبل اقدار الآلهة المقدسة • ان خطط الآلهة
المحكمة مثل اعماق السماء لا يدرك كنهها •

المعذب : يستمر في التماذى بشكوكه حتى يبلغ فيها درجة الكفر
فيقول من بين ما يقول : « لن انصاع لاوامر الآلهة ، وسوف ادوس
بقدمي على شعائرها ... » ساهرب الى اماكن بعيدة واشخذ من بيت الى
بيت ... » •

وهكذا يستمر هذا الحوار الطريف ما بين المعذب للتشكك وبين
صديقه المتدين الذي يحاول عبثا تبرير العدل الالهي له •
٣ - حوار ما بين سيد وعبيده :

القصيدة البابلية الثالثة التي تقدمها في موضوع أدب الحكمة اشتهرت
عند الباحثين بعنوان « الحوار بين سيد وعبيده » ، وهي التي صنفناها
كذلك تحت أدب السخرية والتشكك او التشاؤم ، ولعل القارئ سيحكم

بعد الاطلاع عليها ان كلا التصنيفين ينطبق عليها •

نظمت القصيدة باللغة البابلية على هيئة حوار (dialogue) ما بين سيد وعبد كما قلنا ، وهي الى جانب ما تتميز به من متعة أدبية وفنية تكاد تفرد في اصالتها وجرأتها في التشكك بالقيم الاجتماعية والمعتقدات الدينية السائدة بسخرية لاذعة تثير الدهشة في القارئ الحديث ، مع ما عرف من تمسك القوم بالمعتقدات الدينية والقيم الاخلاقية ، بحيث يصح من هذه الناحية ان ننظر اليها على انها تصوير فني للانهيار الحضاري والاجتماعي الذي حل بحضارة وادي الرافدين في أدوارها الاخيرة ، اذ يستدل من الادلة الداخلية في هذه القطعة الادبية مثل الاساليب اللغوية والاشارة الى «مدن الحديد ان زمن تأليفها يرقى الى مطلع الالف الاول ق.م^(٥) » ونورد فيما يلي اهم اجزاء المحاور :

السيد : اسمعني ايها العبد

العبد : اجل يا سيدي ، ها انذا مصغ اليك

السيد : هيء لي عربتي واحضرها ، اريد ان اذهب الى القصر

العبد : اذهب يا سيدي ! اذهب ! فانك ستحقق كل رغباتك وستنال

الحظوة والرعاية عند الملك

السيد : لا ، ايها العبد ، لن اذهب الى القصر

السيد : لا تذهب يا سيدي فان (الملك) سيبحث بك في مهمة

وستؤسر في أرض غريبة لا تعرفها وستلازمك المتاعب ليل نهار

السيد : اسمعني ايها العبد

العبد : ها انذا مصغ اليك يا سيدي

(٥) انظر الدراسات التالية :

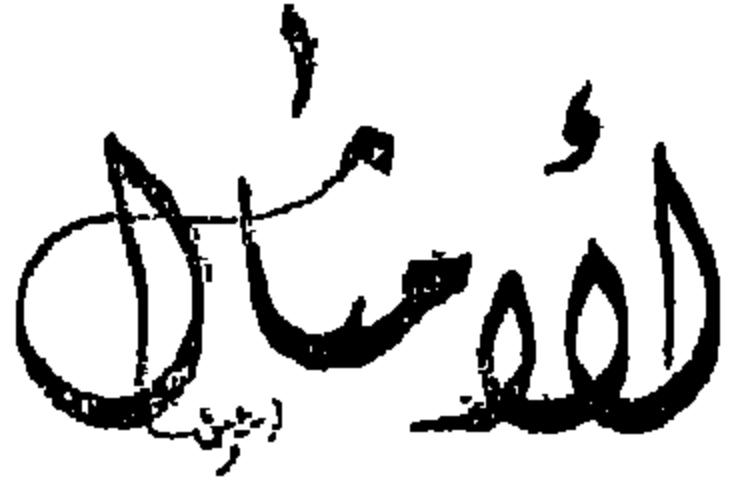
1. Pfeiffer in ANET, (1969).
2. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, (1960).
3. Speiser in JCS, VIII, (1954)
4. Jacobsen, Before Philosophy

السيد : احضر لي في الحال ماء لاغسل يدي فاتي اريد ان آكل
العبد : كل يا سيدي ، كل * فالأكل بانتظام يشرح القلب ، وإلى
الطعام الذي يؤكل بسرور وبيدنين نظيفتين يحضر الاله « شمش »
السيد : لا ، يا ايها العبد ، لن آكل
العبد : لا تأكل يا سيدي ، لا تأكل ! فان الجوع من بعد الأكل
والظما من بعد الشرب يأتي لكل انسان
السيد : اطعني ايها العبد اطعني
العبد : نعم يا سيدي ، ها انذا في طوعك
السيد : عزمت على ان أقوم بعصيان (ثورة)
العبد : افعل ذلك يا سيدي ! فماذا سيحل بطيبتك (جوهرك) ومن
ذا الذي سيعطيك لتملاً معدتك ؟
السيد : لا يا عبد لن أقوم بالثورة
العبد : لا تفعل ذلك يا سيدي ، لا تفعل ! فان من يقوم بالثورة
والعصيان يعذب ويشوه جسمه ويودع في السجن .
السيد : اطعني ايها العبد ، اطعني !
العبد : ها انذا في طوعك يا سيدي
السيد : اريد ان احب امرأة
العبد : احب يا سيدي ، احب ! فان من احب امرأة نسي الالم والتعب
السيد : لا يا عبد ، لن احب
العبد : لا تحب يا سيدي ، لا تحب ! فالمرأة بشر (*) ، المرأة خنجر
من حديد (**) يقطع عنق المرء

(*) تشبيه المرأة والزوجة بالبشر والحفرة ورد في آداب الامم الاخرى .
قارن هذا بما ورد في التوراة (سفر الامثال ٥: ٥ ، ١٥) .
(**) ويجدر ان نذكر ان الاشارة الى معدن الحديد في هذا النص
هو ، كما ذكرنا ، من بين الادلة الداخلية لتحديد زمن النص في حدود مطلع
الالف الاول ق.م ، حيث لم ينتشر استعمال الحديد بمقياس واسع الا
من بعد هذا التاريخ .

السيد : اطعني ايها العبد ، اطعني !
العبد : اجل يا سيدي ، ها انذا مصغ اليك
السيد : احضر لي ماء لاغسل يدي ، اريد ان اقدم القرابين لالهـي
العبد : افعل ذلك يا سيدي ، افعل ! فان من قدم القرابين لالهـه
نال السعادة و اضاف دينـا على دين
السيد : لا يا عبد لن اقرب
العبد : لا تقرب يا سيدي ، لا تقرب ! تستطيع ان تعلم الاله ان
يركض وراءك كالكلب عندما يحتاج اليك لتقيم شعائره
السيد : اطعني ، ايها العبد
العبد : اجل ، يا سيدي ، اجل !
السيد : اريد ان افعل الخير واتصدق عن ارضي واقدم الطعام لبلدي
العبد : قدم الطعام يا سيدي ، فالرجل الذي يقدم الطعام لقطره ،
فان شعيره يظل خالصا له ، وما يتسلمه من ارباح جسيم
السيد : لا يا عبد، لن اقدم الطعام لبلدي
العبد : لا تفعل يا سيدي ، لا تفعل ، فالعطاء مثل الحب ؟ . انه
مثل ولادة الطفل . . . انهم سيأكلون حبوبك ويلعنونك
السيد : اطعني ، ايها العبد ، اطعني !
العبد : ها انذا مطيعك يا سيدي
السيد : اريد ان اساعد بلادي
العبد : افعل ذلك يا سيدي ، فان من يساعد بلاده توضع حسناته في
كف الاله « مردوخ »
السيد : لا يا عبد ، لن افعل ما يساعد بلادي
العبد : لا تفعل يا سيدي ، لا تفعل ! اعلُ فوق الاطلال القديمة
وتمش فوقها وانظر الى جماجم الماضيين والمتأخرين ، فأيهـم الاشرار وأيهم
الصالحون !

السيد : اطعني ايها العبد ، اطعني !
العبد : اجل يا سيدي اجل !
السيد : والآن أي شيء حسن في الدنيا ! سأدق عنقك وعنقي أو
ترمي بنفسينا في الماء ، وهذا هو الشيء الحسن •
وهنا بدل السيد رأيه وقال لعبده : « لا ايها العبد ، سوف اقتلك
وحدك وادعك تسبقني » فيجيبه العبد : « هل يرغب سيدي في ان يعيش
من بغدي حتى لو كان ذلك مدة ثلاثة أيام ! » •



من الامور التي كشف عنها في السنوات القليلة الماضية نشر
مجموعات من الامثال والحكم والوصايا من أدب العراق القديم في كلتا
اللغتين السومرية والبابلية^(٦) ، وجاء بعض الامثال مزدوج اللغة • ومما
يقال عن هذه الامثال بوجه عام انها ، مثل الامثال الاخرى في آداب
الشعوب ، يصعب فهم الكثير منها حتى لو كانت مفهومة من الناحية
اللغوية ، لانها مثل سائر الامثال ، جمل قصيرة مقتضبة ومركزة المعنى ، وتعبر
عن تجارب وحالات خاصة في حياة المجتمع ، كما ان الكثير منها نشأ من
وقائع او حوادث قيلت فيها تلك الامثال ، على نحو ما هو مألوف في الامثال
العربية وغيرها •

وعلى ضوء هذه الملاحظة سنقتصر من هذه الامثال على نماذج
واضحة مألوفة نختار منها الامثال الاتية :

(٦) حول موضوع الامثال انظر :
ANET., (1969); Kramer in Bulletin of the University Museum,
17, (1952), 39 ff.; Gordon, "A New Book of the wisdom of Sumer
and Akkad" in Bibliotheca Orientalis, 17. (1960), 122ff.; Lam-
bert, Babylonian Wisdom Literature, (1960).

- ١ - لذة الخمر (تذهب) وعشاء الطريق(*)
- ٢ - من لا يعرف الخمر لا يعرف الخير ، فالخمر يدخل السرور الى البيت
- ٣ - تملق انراء فيعطيك ما تريد
- ٤ - ارم كسرة للكلب فيهر لك ذيله
- ٥ - من لم يعمل زوجة أو طفلا سلم أنفه من الخشاش(**)
- ٦ - الاكثار من الزوجات أمر يخص المرء نفسه ، ولكن الاكثار من الاولاد أمر يخص الاله
- ٧ - قضيب الزاني مثل فرج الزانية
- ٨ - الفقراء هم الصامتون وحدهم في بلاد سومر
- ٩ - اطع كلام أمك كأنه أمر الهي
- ١٠ - لا تدع الغضب يظهر على وجهك في اثناء الخصام
- ١١ - اذا قال لك احد ما يفضبك فلا ترد عليه بالمثل تجنباً للعواقب
- ١٢ - اذا حكمت على شيء فلا تقرن ذلك باستهجانك الشخصي
- ١٣ - في المدينة المتهاونة المهمة يصبح الجابي تاجرا
- ١٤ - لا تطلب الحياة من « ننجشزيذا » (اله الموت)
- ١٥ - المال مثل الطير لا يعرف موطننا ثابتا
- ١٦ - اذا اباحت المدينة لكلاب الصيد ان تظل في داخلها تحكمت الثالب فيها
- ١٧ - لن يترك العدو بوابة مدينة ضعيفة السلاح

(*) في هذا المثل جناس في استعمال كلمة « كاش » (KASH) او « كاس » (Kais) السومرية التي تعني خمرة وكلمة « كسكل » (KASKAL) التي تعني الطريق .
 (**) الخشاش (Tether)

١٨- اولى بالفقير ان يموت ، فانه ان حصل على الخبز عدم المأوى ،
واذا كان عنده ملح عدم الخبز ، واذا كان له بيت عدم الفراش
١٩- لا كسب بدون تعب

٢٠- لقد ارخيت الشبكة ولكن الاصفاد محكمة

٢١- اذا لم تنضب بشرى فعطشى قليل

٢٢- لقد اوقف المعبد قبل ان يبدأ ببنائه

٢٣- النهر باتجاه الريح يجلب الماء الوفير

٢٤- اذا أحس بقرب أجله قال لآكل جميع ما عندي ، واذا تعافى

قال لاقتصد

٢٥- قد تدوم الصداقة يوما والعبودية دهرًا

٢٦- الرجل ظل الاله ، والعبد ظل الرجل ، ولكن الملك صورة

للاله

٢٧- اذا ضرب النحل عض يد الضارب

٢٨- يحصل القوى على عيشه بقوة ساعده ولكن الضعيف يبيع اولاده

٢٩- كما كانت الحياة بالامس ستكون هكذا كل يوم

٣٠- اذا كانت خميرة الجعة حامضة فهل تكون الجعة حلوة ؟

٣١- تلدغ العقرب انسانا فاي نفع لها من ذلك ؟ ويجلب الواشي

الموت على احد الناس فاي خير يناله من وراء ذلك ؟

٣٢- هل يحصل سرير القصب على ثمن قصبه او المرج ثمن

حشائشه ؟

٣٣- هل تضرب الثور اذا كان دابًا على السير ؟

٣٤- ثور الغريب يأكل الحشيش ولكن ثور صاحب الحقل نائم من

الجوع

٣٥- اذا خرجت تصطاد الطيور بدون شبكة فلن تصيد شيئًا

٣٦- ان تضرب الشابة في اثناء عناق زوجها لها أمر لم يحدث منذ

القديم

- ٣٧- من نجبه عليك ان تتحمل ثقل نيره
٣٨- عيني عينا أسد ، وجسمي جسم الملاك الحارس وشفتاي
تنطقان بالفتنة والسحر ، فمن سيكون قريني
٣٩- شد حزامك يكن الهك مطك
٤٠- اذا اسأت الى صديقك فما عساك ان تفعل مع عدوك ؟
٤١- الاله هو الذي يعينك صغيرا كنت أم كبيرا
٤٢- الناس بلا ملك مثل قطع الغنم بلا راع
٤٣- الناس بلا مشرف مثل الماء بلا مراقب
٤٤- العمال بلا مشرف مثل الحقل بلا حارث
٤٥- ان وصي هو الذي يجعلني أعد بين الرجال
٤٦- الصداقة تدوم يوما ولكن ارتباط المصالح يدوم الى الابد
٤٧- ساكن البلد الغريب مثل العبد
٤٨- فن الكتابة ابو العلماء وام الخطباء
٤٩- الزوجة المبذرة في البيت أشد ضررا من جميع الشياطين

صفة الحاكم العادل - نصائح الى الحاكمين :

ومن بين أدب الحكمة نذكر نصا أدبيا يعد على قدر كبير من الهمية في تأريخ نظام الحكم ، اذ انه من نوع النصائح الموجهة الى الحاكمين ان يلتزموا العدل بين الناس . ويرجع تأريخه الى العهد الآشوري الأخير ، حيث عثر على الألواح المدون عليها في مكتبة الملك الآشوري « آشوربانيال » الشهيرة في نينوى (القرن السابع ق م) ، ويبدو ان هذه النصائح وضعت لحماية حقوق المواطنين في بعض المدن البابلية وبوجه خاص « سبار » و « نفر » وبابل ازاء الضرائب الاعباطية وعمل السخرة الاجباري وسلب أموالها . أما الملك المخصوص بتلك النصائح فيرجح أن يكون ملك بابل مردوخ - بلادان « (مردوخ - ابلا - ادنا) المعاصر للملك سرجون

الآشوري الثاني (٧٢١-٧٠٥ م) ، وارتأى باحثون آخرون ان الملك الآشوري « سنحاريب » (٧٠٤-٦٨١ ق م) هو الملك المقصود . ومهما كان الامر فان الأدلة الداخلية ، من شكل الخط والاسلوب اللغوي ، تشير الى ان زمن النص يرقى الى ما بين ١٠٠٠ و ٧٠٠ ق م^(٧) .

ونورد فيما يلي مقتطفات من تلك النصوص :

« اذا لم بعأ الملك باقامة العدل ، فستعم الفوضى شعبه وتخرّب بلاده ،

« واذا لم يعمل على نشر العدل في مملكته فان الاله « ايا » ، سيد المصائر والاقدار ، سيبدل مصيره ، ولن ينفك عن مطاردته .
واذا لم يستمع الى نصيح أمرائه فستكون حياته قصيرة واذا لم يأخذ بنصح مستشاريه فستثور عليه بلاده . واذا اطاع الاشرار فستتبدل مصائر بلاده . واذا احتال على الاله « ايا » فان الآلهة العظام سيلاحقونه ويحاكمونه .

واذا حكم على مواطن من نفر ظلما من اجل الرشوة فان « انليل » ، سيد الاقطار ، سيسلط عليه جيوش الاعداء .
واذا سلب اموال اهل بابل واخترنها في خزائنه ، واذا نظر في قضية لاهل بابل ولكنه لم يقسط في حكمه فان « مردوخ » ، رب السماء والارض ، سيسلط عليه اعداءه ويسلم امواله وكنوزه اليهم .
واذا فرض الغرامات على اهل « نفر » او « سبار » او « بابل » او اذا اودعهم السجن اعتباطا ، فان المدينة التي فرضت على اهلها الغرامة ستخرّب . واذا جمع اهل سبار ونفر وبابل وفرض عليهم عمل السخرة ، فان مردوخ ، حكم الآلهة ، سيسلم بلاده الى اعدائه ، فيفرضون على جنده واتباعه عمل السخرة » .

(٧) انظر المصدر الاتي وفيه الإشارات الى الدراسات السابقة :
Lambert, Babylonian Wisdom Literature, (1960), 110 ff.

أَدَبُ الْمُنَازَرةِ وَالْمُفَاخَرَةِ

من المواضيع الأدبية التي كشف عنها البحث الحديث في مدونات حضارة وادي الرافدين نوع من الحوار ما بين متفافرين او متناظرين (disputation) وقد جاءت إلينا جملة قطع أدبية في اللغتين السومرية والبابلية ، والمرجح كثيرا ان اصل هذا الضرب من الأدب يرجع الى الأدباء السومريين ، وأنه حتى القطع التي الفت بالبابلية لم تكن سوى محاكاة لاصول سومرية ، وان المصطلح الذي وضع لمثل هذا النوع من الأدب العبارة السومرية التي سبق ان ذكرناها والتي تتركب من كلمتين هي « أدمن - دو - كا » (ADMAN-DU_{II}-GA) المؤلفة من : « أدمن » التي تكتب بعلامتين مسماريتين هما مكرر العلامة المسمارية الدالة على « رجل » وتكتبان الواحدة مقابل الأخرى ، والكلمة الثانية هي « دو كا » التي تعني « الكلام » ، فيكون المعنى العام « حوار ما بين رجلين او ما بين اثنين » او « مناظرة بين متكلمين » . وقد ذهب الباحثون في تفسير منشأ هذا النوع من الأدب الى ان مثل هذه المناظرات كانت تقلى ما بين متحاورين أو متفافرين في اثناء الاحتفالات والاعياد في بلاطات الحكام والملوك ولعل الحاكم او الملك نفسه كان يمثل الاله الحكم الذي كان يحتكم اليه المتناظرون على ما سنين فيما بعد . وتشابه الاساليب المتبعة في تأليف هذه المفاخرات في النصوص السومرية والبابلية . فهي تبدأ بمقدمة اسطورية عن اصل الموضوع المتنازع عليه ، وتقديم المتناظرين في بيان مكانة كل منهما وأهميته في نظام الكون والاشياء ، ثم موضوع المفاخرة بعرض أقوال كل من المتفافرين وجواب احدهما للآخر ، اذ يبين كل منهما فضائله ومنافعه

للناس مفندا أقوال منافسه ومعرضا بنقائصة • وتنتهي المناظرة بذهاب المتخاصمين الى أحد الآلهة للاحتكام اليه حيث يستمع الى ادعاء كل منهما ويصدر حكمه في صالح احدهما ، وهو حكم نهائي يتقبله المتناظران عن طيب خاطر ، فتتم المصالحة ما بينهما وإعادة الصفاء اليهما •

لقد تنوعت ماهيات المتناظرين فقد تكون المفاخرة ما بين معدنين او نوعين من الاشجار او الحيوانات او فصلين من الفصول او غلتين من الغلال او ما بين حرفتين او مهنتين • وان ما اكتشف من القطع الادبية الطريفة لحال التأريخ يتضمن ما يربو على سبع مناظرات باللغة السومرية ونحوها من هذا العدد في اللغة البابلية • وبالإضافة الى هذه القطع جاء إلينا ما يصح أن نسميه قصص الحيوان (Fables) التي قد يتضمن بعضها مناظرة او مفاخرة • وندرج فيما يلي عناوين هذه القطع الأدبية^(٨) •

١ - القطع السومرية :

١ - المناظرة ما بين الصيف والشتاء (ايمش وايتن)

٢ - المناظرة ما بين الراعي والفلاح (دموزي واينكمندو)

٣ - المناظرة ما بين الطير والسمك

٤ - المناظرة ما بين الفأس والمحراث

٥ - المناظرة ما بين الفضة والبرونز

(٨) حول هذه القطع الأدبية انظر المراجع الآتية :

1. S. N. Kramer, Sumerian Mythology
2. ———, From the Tablets of Sumer; The Sumerians, (1963)
3. ANET., (1969)
4. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, (1960).
5. Williams, "The Literary of Mesopotamian Fables" in Phonix, 12, (1956), 70 ff.
6. Van Dijik, La Sagesse Sumero-Accadienne.
7. R. J. Gordon in Journal of Cuneiform Studies (JCS, Vol. 12) 1 ff.

٦ - المناظرة ما بين الشجرة والقصة

٧ - المناظرة ما بين إلهة القمح والماشية

ب - القطع البابلية :

١ - المناظرة ما بين النخلة وشجرة الأثل

٢ - المناظرة ما بين الشعير والقمح

٣ - المناظرة ما بين الثور والحصان

٤ - المناظرة ما بين النسر والحية

٥ - المناظرة ما بين الكلب والذئب

نماذج من المناظرات :

١ - المناظرة ما بين الصيف والشتاء :

هذه القطعة السومرية تعرف بين الباحثين بعنوان
أسطورة « إيمش » (Emesh) و « إيتن » (Enten) والتي هي أطول
مناظرة وخلصتها إلهة « أنليل » قرر أن يؤسس الزراعة في البلاد فخلق لهذا
الغرض أخوين هما الصيف « إيمش » (Emesh) والشتاء « إيتن »
(Enten) وعين لكل منهما أعماله وواجباته ، فمن وظائف الشتاء مثلاً
أن يسبب ولادة الغنم والماعز والعجول ويكثر الألبان ويجلب الخضرة في
الحقول ، وينمي الغلال النخ . . أما الصيف فمن واجباته أن يملأ المزارع
بالغلال ، ويقدس « البيادر » والمخازن والأهراء ، ويسهل تشييد المعابد
والبيوت (*) . وهكذا اضطلع كل من الأخوين بواجباته التي خصصها له
الإله « أنليل » . وقصدا مرة مدينة نفر (**) يحمل كل منهما هدايا من

(*) الصيف في العراق فصل البناء في الغالب .

(**) المدينة الشهيرة القريبة من عفك ، حيث مركز عبادة الإله

« أنليل » .

تواجه الى الاله العظيم ، وعندئذ دبت الغيرة والتحاسد ما بينهما :
صار « ايمش » يتجنب « ايتن » كأنه عدوه ، ولما نفذ صبر اخيه
الشتاء « ايتن » بادل العدا ، وصار يفاخره ويعدد ميزاتة عليه مثل قوله :
« عندما يرتدي الملك « ابي - سين » (*) حلتة الاحتفالية وجبته الملكية
ليقوم بشعائر الآلهة ... وتعزف القيثارة في « بيت الحياة » (**) الذي
خلقه آنو ، فانا الذي يهيء لهذه الاحتفالات الزبد والدهن ، • فيجيبه
الصيف : « يا أخي الشتاء ، في زمناك تتجمع الغيوم الدكنا ، وتصطك
اسنان الناس وهم في داخل منازلهم في المدن ، ولا يجرؤ احدهم أن
يخرج الى الطريق حتى في منتصف النهار » • واخيرا يحتكم المتخاصمان
الى الاله « انليل » ويعرض عليه كل منهما مزاياه ومنافعه ، فيصدر
« انليل » حكمه على الوجه الاتي :

« اجاب انليل الصيف والشتاء قائلا : يسيطر الشتاء على المياه التي
تجلب الحياة الى الارض ، وهو فلاح الآلهة الذي يكس الغلال • فيا
بني الصيف كيف تقرن نفسك باخيك الشتاء ! » •
وهكذا يحكم انليل للشتاء ويتقبل المتناظران حكومته ويتصالحان
ويتصافيان فيخضع الصيف للشتاء ويقدم له الهدايا •

٢ - المناظرة ما بين النخلة وشجرة الاثل :

المثال الثاني الذي نختاره من أدب المناظرة ، المفاخرة ما بين النخلة

(*) الملك « ابي - سين » ، آخر ملوك سلالة أور الثالثة والاشارة
اليه في هذا النص يزودنا بزمان نظم القصيدة •

(**) بيت الحياة وبالسومرية « اى - نام تلا » (E-nam-ti-la)
من أسماء معبد الاله انليل في مدينة « نمر » •

وشجرة الائل^(٩) ، وقد الفت في اللغة البابلية ، وتبدأ ، مثل غيرها من المناظرات بمقدمة اسطورية (ميثولوجية) قصيرة عن الظروف التي نشأت فيها المنافسة ما بين الشجرتين ، وخلاصتها ان الملك غرس النخلة ومعه شجرة الائل في قصره . ولما ان نمت الشجرتان اقيمت مرة وليمة في ظل شجرة الائل ، واذ ذاك بدأت المفاخرة ما بين الشجرتين ، وكان مما جاء فيها ان النخلة قالت لشجرة الائل : « يا شجرة الائل انت من الاشجار التي لا نفع منها . فما فائدة اغصانك ؟ انها خشب لا يثمر . وها هو البستاني يجزل الثناء علي ، فان في الخير والنفع للعبد والسيد على السواء » . فاجابتها شجرة الائل معيرة اياها بعدم صلاح خشبها : « تأملي في أثاث القصر ، وعددي الاخشاب التي اخذت مني لصنعها ، فالملك يتناول طعامه من على منضدتي ، وتشرب الملكة من الكأس المصنوعة من خشبي » .

ومما يؤسف له ان القسم الاخير وهو الاحتكام الى احد الالهة مخروم . ولكن مما لا شك فيه ان النخلة ربحت المفاخرة ، لان هذه الشجرة نالت مكانة كبيرة في مآثر حضارة وادي الرافدين وفي حياة القوم الاقتصادية . والمرجح كثيرا ان قصائد شعرية نظمت في مدحها . ومع ان مثل هذه القصائد لم يكشف عنها بعد الا ان الجغرافي اليوناني المشهور « سترابو » (٦٤ ق م - ١٩ م) يشير في كتابه « الجغرافيا » الى قصيدة مطولة باللغة الفارسية القديمة تعدد (٣٦٠) فائدة ومنفعة للنخلة ، كما ذكرت النخلة والاساطير التي تدور حولها في اشعار الكاتب اليوناني « كليماخوس » (Callimachus) (اواخر القرن الرابع والقرن الثالث ق م) .

(٩) انظر نصها وترجمتها في :

Lambert, The Babylonian Wisdom Literature (1960), 151 ff.

وفي ختام هذه الملاحظات عن المفاخرة بين النخلة وشجرة الاثل
يجدر ان نذكر ان نسخة منها وجدت في كسرتين من لوحين عثر عليهما
في اثناء تنقيبات مديرية الأنار في تل حرمل ويرجعان في زمنهما الى العصر
البابلي القديم (مطلع الالف الثاني ق.م) (*) .

وهناك مناظرة بين شجرة الصفصاف والدفلي غير كاملة مع
الاسف (١٠) .

٣ - دموزي (تموز) و « اينكمو » (الراعي والفلاح) :
هذه القصيدة السومرية من النصوص الادبية التي تدور على الآلهة
« عشتار » وعشاقها ، وفي مقدمتهم « تموز » ، أو « دموزي » الملقب
بالراعي ، ولكننا آثرنا أن نصنفها في أدب المناظرة جسرياً وراء الكاتب
السومري الذي جمعها أو نظمها وذيلها بالعنوان الذي يطلق على هذا
الصنف من النصوص الادبية التي مر ذكرها وخصصها على انها مناظرة ما
بين الراعي والفلاح (**) ، على ان اقرب صنف تدخل فيه « أدب الحوار »
(دايلوگ) الذي مر بنا مثل الحوار ما بين السيد والعبد وما بين
المعذب وصديقه .

وقد سبق للاستاذ « كرامر » ان نشر نصها وترجمتها (١١) ورأى

(١٠) Lambert, IBID.

(*) مسجلتان في سجل المتحف العراقي بالرقمين :

IM 53946, IM 53975

(**) اي صنف ادب المفاخرة الذي يطلق عليه بالسومرية « آدم -
دوكا » وباللفظ السومري : ADAMAN-DU_{II}-GA SIPAD-ENGAR-DA
اي « المفاخرة ما بين الراعي والفلاح » و اضاف ايها الكاتب السومري انها
من نوع التراثيل المسماة بالسومرية « بلباله » (BALBALE)

S. N. Kramer in BASOR, (1945); Van Dijk, IBID., (١١)
31 ff.

فيها أن فكرتها نصاهي موضوع اسطورة « قايين وهابيل » التوراتية حيث تفضل الآلهة « انا » (عشتار) الراعي على الفلاح عكس الاسطورة التوراتية التي يفضل فيها الله الفلاح (قايين ، وفي المآثر العربية قابيل) على الراعي « هابيل » الذي قتله أخوه الفلاح ، ولكن الاسطورة السومرية لا تنتهي في خاتمتها بمأساة القتل .

موضوع الاسطورة الرئيسي الحوار ما بين الاله الشمس « اوتو » وبين اخته الآلهة « انا » (عشتار البابلية) التي هامت بحب الفلاح « اينكمندو » (Enkimdu) ولكن أخاها الاله « اوتو » ارادها ان تزوج الراعي حيث يحاورها حوارا مطولا يشغل ١٥٠ بيتا من القصيدة لاقناعها بقبول الراعي « دموزي » معزدا بالخيرات التي سيغدقها عليها ان هي قبلت الزواج به ، ويشترك « دموزي » نفسه في عرض خطوبته وتوسله الى الالهة ان تختاره عريسا لها مينا كذلك مزاياء وفضائله ، وبعد لأي لانت « انا » (عشتار) فغيرت رأيها وتزوجت من الراعي « دموزي » .

تبدأ القصيدة بخطاب الاله « اوتو » الى اخته « انا » بانه سيهدى اليها نبات الكتان ، وبعد استفسارات كثيرة منها عن سيمشطه ويغزله ويلفه ويحوكه ويصبغه اجابها بانه هو الذي سيفعل ذلك ، وعنيد سؤالها عن سيفرشه لها يظهر موضوع الحوار وغرضه وهو ان زوجها هو الذي سيفعل ذلك ، ويلمح لها عن هذا الزوج باوصاف ونعوت خاصة بالاله الراعي « دموزي » (ثموز) مثل « تين السماء » « اوشم - غال - انا » (Ushum-gal-anna) و « كولي - انليل » (Kuli Enlil) (اي صديق انليل) ، فترفض « انا » العرض رفضا قاطعا لان قلبها متعلق بحب الفلاح « اينكمندو » الذي « كدس لها المخازن بالقمح » ، ولكن اخاها « اوتو » يواصل الالاحاح ان تقبل بالراعي زوجا :
« يا اختي تزوجي الراعي »

يا انا العذراء ، علام انت لا ترتضيه زوجا ؟
ان سمنه دسم ولبنه طيب ، فيا « انا » تزوجي الراعي « دموزي » •
ولكن « انا » تجيبه :
« لن اتزوج الراعي ولن البس ثيابه الخشنه
انا العذراء صممت على الزواج من الفلاح الذي يزرع انواع النباتات
الكثيرة وضروبا مختلفة من الخبواب »
وبعد نقص في النص يظهر في المشهد الراعي نفسه وهو يعرض طلبه
ويعدد ميزاتة على الفلاح • وتورد فيما يلي بعض اقواله بشيء من التصرف
وحذف التكرار :
« باي شيء يكثرني الفلاح ؟
هل عند « اينكمدو » ، رجل السواقي والسدود والمحاريث ، اشياء
اكثر مني ؟
اذا قدم طحينه الاسود ، فسأقدم نعجتي السوداء
واذا قدم طحينه الابيض ، فسأقدم مقابل ذلك نعجتي البيضاء
واذا سقاني جعته الصافية ، سقيته لبنى الدسم
وان سقاني الجعة المعتقة ، سقيته لبنى الخائر »
وتستمر القصيدة في تعداد انواع المنتجات الزراعية التي ينتجها الفلاح
ومقابلها منتجات الراعي الحيوانية من انواع الالبان والجبن والزبد وغيرها •
وتنتهي المناظرة بغلبة الراعي على خصمه الفلاح بحيث ان الآلهة « انا »
غيرت قرارها ورغبت ان تتزوج منه • وبعد مناوشة ما بين الاثنين كادت
أن تؤدي الى الاقتال ، تنتهي المناظرة بالصلح وحلول الصفاء ما بينهما ويقبل
الفلاح دعوة الراعي الى حضور حفل عرسه بانانا ويقدم هدايا العرس •

٤ - المناظرة ما بين الحصان والثور :

النص الخاص بالمناظرة ما بين الحصان والثور اكتشف بين الواح مكتبة « آشور بانيبال » في نينوى (القرن السابع ق.م) ، وهو كثير الخروم وخلاصة ما بقي منه سالما على الوجه الآتي :

« في اثناء فصل فيضان الانهار نشأت مناظرة ما بين الحصان والثور ، حيث يعدد المتفاخران مناقبهما ومنافعهما ، على النحو المألوف في مثل هذه المناظرات ، فيفاخر الحصان بشجاعته وبطولته في الحرب والنزال • وكان مما اجاب به الثور من منفعه انه عدد الادوات والاشياء التي تصنع من جلده مما يستعمله المتحاربون •

ويبدو ان هذه القطعة من الادب البابلي ليس لها اصول سومرية ، على ما هو معروف في تاريخ العراق القديم عن تأخر استعمال الخيول في وادي الرافدين الى أواخر الالف الثاني ق.م •

الفصل الخامس

النُصوص الأدبيّة الخاصّة بالطوفان

كانت رواية الطوفان من الاحداث التي شغلت مكانا بارزا في أدب حضارة وادي الرافدين ومآثرها التاريخية . وبالمقابلة مع هذه الحقيقة لم يصل اليها من حضارة وادي النيل أية رواية عن الطوفان . وقد اكتشفت جملة نصوص أدبية عن الطوفان في سجلات العراق القديم المدونة ، منها نصوص سومرية ومنها نصوص بابلية (سامية) . ويكاد يكون من المؤكد ان هذا الطوفان المذكور في النصوص السامرية ، في كلتا اللغتين السومرية والبابلية ، كان حدثا تاريخيا واقعا يرقى في زمن حدوثه الى فترة ما من عصور ما قبل التاريخ ، وبوجه خاص ما بين اواخر هذه العصور وبداية العصور التاريخية في نهاية الالف الرابع ق.م . وان اوجه الشبه الكثيرة ما بين وقائع هذا الطوفان والطوفان المذكور في مآثر بعض الامم القديمة ، ولا سيما الطوفان الوارد في التوراة ، لا تدع مجالا للشك في انها كلها ترجع الى حدث واحد هو الطوفان الذي ذكرته قصص العراق القديم ، وان مكان ذلك الحدث كان السهول الرسوبية من وادي الرافدين التي كانت ولا تزال معرضة الى الفيضانات الكثيرة المتكررة ، وان احد هذه الفيضانات قد بلغ في عظم فداحته وما سببه من دمار درجة كبيرة بحيث انه ترك له آثارا عميقة في ذاكرة الاجيال واخذ مكانا بارزا في أدب حضارة وادي الرافدين ومآثرها^(١) ويمكن حصر هذه النصوص التي تناولت خبر الطوفان في القطع

(١) عن الطوفان ورواياته في أدب حضارة وادي الرافدين ومقارنتها

بمآثر الامم الاخرى راجع الدراسات الاساسية التالية :

1. A. Heidel, The Gilgamesh Epic and the Old Testament Parallels, (1949, 51).
2. M. David, "Le Re'cit du Deluge et l'Epopée de Gilgamesh" in Rencontre Assyriologique Internationale, (1958).

الآتية :

- ١ - اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش (في اللغة البابلية) •
 - ٢ - ملحمة « زيسودرا » (Ziusudra) (في اللغة السومرية) •
 - ٣ - ملحمة « اترا - حاسس » (Atra-Hasis) (في اللغة البابلية) •
- ولاننا ادرجنا ترجمة اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش ضمن هذه الملحمة التي سبق ان تكلمنا عنها ، فسيقتصر كلامنا على القطعتين الادبيتين الاخرين اى ملحمة « زيسودرا » و « اترا حاسس » •

١ - ملحمة « زيسودرا » :

من النصوص السومرية التي تروي خبر الطوفان قطعة ادبية تعرف بين الباحثين بعنوان ملحمة او اسطورة « زيسودرا » (Ziusudra) و « زيسودرا » اسم سومري يرجح ان يكون معناه « الخالد » او « ذو الحياة الطويلة » ، مثل معنى الاسم البابلي « اوتو - نبشتم » ، بطل الطوفان في ملحمة جلجامش • ومما يؤسف له ان نص هذه الرواية ناقص فلم يبق منه اجزاء كثيرة • وقد وجد اللوح الذي دون فيه في اثناء التنقيبات القديمة التي اجريت في مدينة « نفر » (في اواخر القرن التاسع عشر) ، وهو موجود الان في جامعة بنسلفانيا في اميركا^(٢) •

وخلاصة الملحمة ان « زيسودرا » كان ملكا صالحا ، يعبد الآلهة ويخافها وانه كان على مايرجح يحكم في مدينة « شروباك » (تل فاره الان بالقرب من الوركاء) ، التي كانت ايضا مدينة « اوتو - نبشتم » بحسب رواية الطوفان الواردة في ملحمة جلجامش ، ومن المدن الخمس التي

(٢) نشره الاستاذ « بوبل » (Poebel) في عام ١٩١٤ ضمن نشرات جامعة بنسلفانية المرموز لها بـ PBS, V. (1914) ، وترجمة الاستاذ « كرامر » في احدث ترجمة له في مجموعة « نصوص الشرق الادنى القديم » ANET., (1969), 42

حكمت فيها سلالة ما قبل الطوفان كما جاء في اثبات الملوك السومرية (*) .
يبدأ دور الملك « زيسودرا » في الرواية بعد مقدمة ناقصة تروى جانباً
من احداث الخليقة ، حيث الآلهة العظام : آنو ، وانليل وانكي و ننخرساك ،
خلقوا البشر والنباتات والحيوانات . وبعد ذلك انزلت الملوكية من السماء ،
وقدرت الاقدار والمصائر وأسست المدن الخمس وحلت فيها الملوكية وهي
« اريدو » و « بادتيبرا » و « لرك » ، و « سيار » و « شروباك » . ويلى بعد هذا
انخرام في النص منداره نحو من ٣٧ سطرا يرجح انه يتضمن وقوع
الطوفان ، وبعد وصوح النص نجد الاله « انكي » (ايا) ينبرى لتخليص
بعض البشر من ناء الطوفان ، فيخبر بطل الرواية « زيسودرا » من وراء
الجدار بقرار الآلهة في احداث الطوفان واقفاء البشر وأمره أن يبني له فلكا
ينجو به من الهلاك . ثم « هاجت الاعاصير وهطلت الامطار وجرف الطوفان
البلاد طوال سبعة ايام وسبع ليا ل . وتقلبت السفينة العظيمة فوق الامواج .
ثم خفت وطأة الطوفان ، وظهر الاله « اوتو » (الاله شمش) ناشرا ضوءه
في ارجاء الارض . فسجد امامه الملك « زيسودرا » وضحي الاضحى .
وبعد نقص من ٣٩ سطرا يظهر هذا البطل وهو يسجد امام الالهين « آنو »
و « انليل » حيث يمنحانه الحياة الخالدة ، فيصبح خالدا ويدخل مجمع
الآلهة ، وينقل الى ارض « دلون » ، « الموضع الذي تشرق منه الشمس
ويلى ذلك خاتمة الرواية وهي مخرومة كلها .

(*) Jacobsen, The Sumerian King-List; ANET., (1969).
نذكر هنا معنى اسم « زيسودرا » والصيغة الاكدية « اوتو - نبشتم » او
« اوتا - نبشتم » التي قد تكون ترجمة للسومرية ومعناها « رأيت أو وجدت
الحياة الطويلة » كما سبق ان ذكرنا في كلامنا على « اوتو - نبشتم » . وقد حفظ
اسم « زيسودرا » في المصادر الكلاسيكية بهيئة (Xisuthros) حيث يخبره
الاله « كرونوس » بقرب وقوع الطوفان .
E. Sollberger, The Babylonian Legend of the Flood, (1971), p. 17.

٢ - ملحمة « أترا - حاسس » :

الرواية الثالثة عن الطوفان ، بالاضافة الى ملحمة جلجامش وملحمة « زيسودرا » اللتين تكلمنا عنهما ، قصيدة بابلية مطولة نوعا ما اذ يبلغ عدد ابياتها نحو (١٣٠٠) بيت ، وقد عرفت لدى الباحثين باسم ملحمة « اترا - حاسس » (Atra-Hasis) ، وجاء الاسم نفسه في احدى نسخ الملحمة من العصر البابلي القديم بصيغة « اترام - حاسس » (Atram-hasis) . اما الكتبة البابليون فقد عنوانوها بعنوان : « حينما الاله مثل الانسان » او « حينما الاله والانسان » (وفي اللغة البابلية (enûma ilu awilum) . ويرجح ان يكون اسم « أترا - حاسس » صفة مركبة تعني « المتناهي في الحكمة » ، وانها صفة لبطل الطوفان « اوتو - نبشتم » أو « اوتا - نبشتم » في ملحمة جلجامش .

جاءت لنا القصيدة في عدة نسخ على الواح وكسر من الواح ، اقدمها ترجع في زمنها الى حكم الملك البابلي « عمي - صادوقا » (من سلالة بابل الاولى (١٦٤٦-١٦٢٦ ق.م) وبعضها من العهد الاشوري الحديث (في حدود ٧٠٠ - ٦٥٠ ق.م) ، وورد اسم الناسخ او الجامع بهيئة « كو - آيا » (Ku-Aya) ويرجح انها كانت تتشد أو تغني في بعض المناسبات^(٣) ، اما من حيث موضوع الطوفان فان هذه الملحمة اوفى وصفا وتفصيلا من اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش ، وانها اصل الرواية الواردة في هذا اللوح . والى هذا فانها تبدأ منذ الازمان التي لم يكن في

٣ - انظر ترجيحاتها المعتمدة في :

1. Speiser in ANET, (1969), 104 ff.
2. Grayson, in IBID., 512 ff.
3. Lambert and Millard, Atra-Hasis. The Babylonian Story of The Deluge (1969).

أثنائها سوى الآلهة في الوجود وتروى من بعد ذلك خلق الانسان وتسلط
الآلهة ولأسيما الاله « انليل » ، الطوفان لافناء « البشر لانهم اقلقوا الآلهة
بضوضائهم وصخبهم » على حد تعبير الملحمة • ونورد فيما يلي موجزا
وافيا عنها :

الآلهة وخلق الانسان :

تبدأ الرواية كما ذكرنا بمقدمة تصف الازمان القديمة التي لم يكن
موجودا في أثنائها في الكون سوى الآلهة ، فكان على الآلهة أن يضطلعوا
بأنفسهم في تهيئة ما يحتاجون اليه في شؤون الحياة المختلفة • وقد تم الاتفاق
بين ثلاثة من الآلهة العظام وهم « آنو » و « انليل » و « ايا » ، على تقسيم الكون
فيما بينهم ، وعهد الاله انليل الى الآلهة الصغرى الشأن أن يتولوا شؤون الارض
مثل حفر الجداول والانهار • ولكن بعد حين استثقل اولئك الآلهة عبء الاعمال
التي فرضت عليهم فتذمروا واحتجوا بل انهم أظهروا العصيان والثورة فتجمهروا
حول معبد « انليل » • ولما شاهد هذا الاله تجمع الآلهة الثائرين استشار
الآلهة العظام فأشاروا عليه ان يبعث برسوله المسمى « نسكو » (Nusku)
الى الثوار ويستلمع جليلة الامر فقالوا له ان الاعمال التي فرضت عليهم قد
ارهقتهم فلا قبل لهم بها • وعند ذاك اراد الاله انليل ان يوقع العقاب بهم
ولأسيما احد الآلهة الذي يبدو انه تزعم الثورة • ولكن « آنو » ينصح
انليل ان يعدل عن العقاب لانه رأى ان لثورة الآلهة ما يبررها • وهنا انبرى
الاله « ايا » (انكي) فاقترح لحل تلك المشكلة الكونية ان يخلق الانسان
ليقوم بدلا من الآلهة بعبء العمل ، فاستحسن جميع الآلهة هذا التدبير
السديد وعهدوا الى الالهة الخالقة « ماما » او « مامي » (وترد في النص
أيضا باسم « نتو » ، وبعلتة - ايلي ، أي سيدة الآلهة) ان تأخذ على
عاتقها خلق الانسان من الطين وخلطه بلحم ودم احد الآلهة فاختاروا
الضحية الها غير معروف في مجموعة الآلهة اسمه « وى » (Wê) او « وى

ايلا « (Ella) • وقد أسهم الاله « ايا » في عملية الخلق اذ صاحب الالهة الخالقة الى « بيت الاقدار » حيث ساعدتهما اربع عشرة الهة من الهسات الولادة ، وسحق الاله « ايا » الطين بقدميه ثم قسمت الالهات الطين الى اربع عشرة قطعة صنعن من كل منها سبع صور اناث وسبع صور ذكور ، وفصل ما بين المجموعتين بأجر اللبن • ومما يؤسف له ان ما يعقب ذلك مخروم من النص ، ولكن يبدو من البقية القليلة السالمة ان « الرحم الخالق انفتح فجاء الانسان » • ثم تعدد الاسطورة النصائح والارشادات عن الزواج والولادة لان من أعراض النص على ما يبدو انه كان يستعمل بمثابة تعويذة للولادة •

من بعد النقص الذي أشرنا اليه في النص تنتهي المقدمة التي خصصت لخلق الانسان كما بينا ، ويبدأ المشهد الثاني من الرواية حين كثر عدد البشر وصارت ضوضاؤهم وضجيجهم وصخبهم تزعج الاله « انليل » بحيث انه حرم من النوم والراحة ، فقرر ان يقلل من عددهم فسلط عليهم اولا الطاعون بان أمر اله الطاعون « نمتارا » (Namtara) (*) ان يتسولى تنفيذ الخطة فسلط على الناس الاوبئة والامراض المختلفة • ولكن سرعان ما تدخل الاله « ايا » في الامر ، وهو الاله الذي اشتهر في مآثر حضارة وادي الرافدين بالتزامه جانب الانسان في محنته ومصائبه • فحاول ان يخفف من شدة وطأة الطاعون • وهنا يظهر لأول مرة دور بطل الرواية « اترا - حاسس » ولا يعلم هل ورد اسمه في المواطن السابقة المخرومة من النص • ومهما كان الامر فان الاله « ايا » نصحه بأن يوعز لشيوخ المدينة أن يجمعوا الناس وبتضرعوا الى اله الطاعون ، فاستجاب لهم وخفف من حد الطاعون ، فلم يفن جميع الناس •

(*) الشائع عن « نمتارا » او « نمتار » انه احد آلهة العالم الاسفل ، اما اله الطاعون فهو « ايرا » و « نرجال » ايضا •

ولكن بعد فترة ازداد البشر مرة أخرى وعساودوا صخبهم الذي
ازعج « انليل » وحرمه من الراحة ، وهنا لجأ هذا الاله الى وسيلة أخرى
للقضاء على البشر أو التقليل من عددهم على الاقل ، فسلط القحط والمجاعة
بان امر اله الامطار « ادد » ان يحبس الامطار عن الارض فجفت الحقول
وسلطت على التربة العطشى الاملاح ومات كل نبات في الارض . وحلت
المجاعة وهلك الكثير من الخلق . ولكن « اترا - حاسس » يلجأ مرة أخرى
الى حامي البشر « ايا » فينصحه هذا ان يتوسل الى اله المطر . فاستجاب
« ادد » لتضرعه وانزل المطر بدون ان يحس الاله « انليل » بالامر . ولما
تكاثر البشر مرة أخرى وازعجوا الاله انليل بصخبهم ، أدرك هذا الاله
ان فشل الوسائل التي لجأ اليها لافناء البشر يرجع الى تدخل بعض الآلهة ،
فاصدر اوامره المشددة بان يستمر الجفاف والقحط ، وعين بعض الآلهة
ليراقبوا تنفيذ اوامره في انحباس الامطار عن الارض ، فعهد مثلاً الى الالهين
« آنو » و « أدد » حراسة منافذ السموات وتوثي بنفسه (*) حراسة الارض ،
واناط بالاله « ايا » مراقبة ينابيع المياه الجوفية . وهكذا أعيد الجفاف والقحط
والمجاعة ، وكانت الوطأة في هذه المرة شديدة ودامت بحسب الروايات
ست او سبع سنوات ، واضطر البشر الى اكل بعضهم البعض ، و « صار
الييت يأكل اطفاله » ، ولكن مع ذلك تدخل الاله « ايا » في الامر واستطاع
ان يخفف من وطأة الجفاف والمجاعة ، فلجأ الاله « انليل » الى وسيلة
أخرى للقضاء على البشر بأن سلط عليهم الطوفان . وهنا تسرد الرواية
خبر الطوفان وهو يضاهي بوجه اساسي قصة الطوفان الواردة في ملحمة
جلجامش .

ومما يجدر ذكره في ختام كلامنا على ملحمة « اترا - حاسس » ان
الرواية التي وصلت الينا عنها من العصر الآشوري الحديث (القرن السابع

(*) وفي رواية أخرى الاله « نرجال » .

ق.م) دونت على ثلاثة الواح ، يتضمن اللوح الاول منها مجرد اصوات
بهية مقاطع مسمارية ، وقد فسر بعض الباحثين دمجها باللمحة بانها تعبر
عن الاصوات الاولى التي نطق بها البشر من بعد خلقهم كما جاء في مقدمة
الرواية ، اي بعبارة اخرى انها تمثل « لغة الانسان الاولى » بحسب ما
ارتآه مؤلفو الاساطير في حضارة وادي الرافدين (*) .

أَدَبُ السَّخَرِيَّةِ وَالْغَزَلِ وَالتَّرَاتِيلِ

لعل صدفة الاكتشاف وبعد الزمن الذي يحول بيننا وبين ادراك
التعبير اللغوية الدقيقة التي تنطوي عليها الفكاهة والسخرية من الاسباب
التي جعلتنا لا نعرف لحد الان الا النزر اليسير من الجانب الفكاهي الساخر
في أدب حضارة وادي الرافدين بالمقارنة مع وفرة النصوص الخاصة
بالموضوعات الادبية الاخرى التي مرت بنا . على أن الدراسات والبحوث
التي تمت في السنوات القليلة الماضية تشير الى أن السخرية والهزل لم تكن
غير معروفة في أدب العراق القديم ، فقد نشرت بعض الاقوال والحكايات
القصيرة الساخرة ، بعضها يدور حول الحيوانات وهي ذات اوجه شبه
واضحة بما جاء من قصص الحيوان في كيلة ودمنة ، وقصص اخرى
تضاهي ما جاء في الف ليلة وليلة مثل قصة « فقير نفر » التي اكتشفت

(*) تبدأ هذه الاصوات بالمقاطع : مي - مي - با - با
(HU-HU) (me-me-pa-pa) راجع تحليل الاستاذ « كاد » (Gadd)
المشار اليه في بحث « كرايسون » (Grayson) المنشور في :
ANET., (1969), 512, n. 61.

وقد عثر مؤلف هذا البحث في اثناء اشرافه على التنقيبات الاثرية في تل
حرم (١٩٤٥ - ١٩٦٠) على اسطوانة من الطين المشوى وهي مدونة
بهذه الاصوات ويرجع زمنها الى العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني
ق.م) . انظر مجلة « سومر » المجلد الثاني (١٩٤٦) ، القسم الانجليزي ،
وقد فسرتها يومذاك بانها من قبيل « النوبة » الموسيقية .

نصوصها حديثا في الموضع الاثري المسمى « سلطان تبه » في منطقة حران ،
وسياتي ذكرها . ومما يقال عن قصص الحيوان بوجه عام انها لم تصر
جزءا مهما من الادب البابلي على غرار كلية ودمنة ومجموعات القصص
المنسوبة الى الكاتب اليوناني « ايسوب » (Aesop) (*) . وكان نصيب
مثل هذه القصص اكبر في النصوص السومرية بالمقارنة مع النصوص
البابلية (٤) . ونورد فيما يلي نماذج من هذه القصص الفكاهية القصيرة (٥) .

١ - الفار والنمس :

« طارد النمس (**) مرة فأرا فاراد الفأر أن يختفي منه فدخل غار حية
ولما الفى نفسه ازاء هذا الخطر الجديد ارتج عليه فقال للحية : « ارسلني
اليك الحاوي مع التحيات » .

٢ - الكلب والنمس :

« طارد الكلب مرة نمسا فهرب منه ودخل في « بربخ » (انبوب
تصريف المياه) فلاحقه الكلب ودخل خلفه في الفوهة ، فأنجس فيها
وافلت النمس منه » .

(*) تعزى المآثر اليونانية الى « ايسوب » انه كان مؤلف مجموعات
القصص الخاصة بالحيوان ، ويروى عنه « هيرودوتس » ، (القرن
الخامس ق م) انه عاش في زمن الفرعون « اماسس » (منتصف القرن
السادس ق م) ، وقد انتشرت هذه القصص بين الرومان وتتضمن ايضا
مواعظ وحكما وسخرية .

(**) النمس mongoose حيوان في حجم القط الليف قصير
اليدين والرجلين طويل الذنب مولع بصيد الفأر والحيات . والحاوي
snake charmer راقى الحية على ما هو معروف .
(٤) انظر :

Gordon in JCS, 12, 1 ff.

(٥) انظر المراجع الاساسية التالية :

1. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, (1960).
2. Gordon, IBID.; "Animals as Represented in the Sumerian Proverbs" in: The Ancient World (Moscow, 1962).
3. Saggs, The Greatness that was Babylon, (1962), 444 ff.

٣ - البعوضة والفيل :

وقفت مرة بعوضة فوق ظهر فيل وهو يمشي فقالت له : « هل اثقلت عليك يا اخي ؟ فان كنت فعلت ذلك فانتني سائرل عند بلوغنا مورد الماء فاجابها الفيل : « من انت ؟ لم احس انك كنت فوق ظهري ولن اعرف عندما ستنزلين » ♦

٤ - الثعلب والبحر :

« بال ثعلب مرة في البحر ، فنظر الى البحر وقال متمججا متباهيا :
أكل هذا البحر من بولي ؟ » ♦

٥ - الحصان والاتان :

« أسر الحصان في اذن الاتان(*) وهو يسفدها : عساك أن تلدي مهورا عداة مثلي ، فلا تجعليه كالحمار الذي ينوء بحمل الاثقال » ♦

٦ - الكاهن والاسد :

« ابصر احد الكهنة اسدا في البادية وهو في طريق عودته الى المدينة فملكه الرعب والهلع ، ولما نجا من الاسد وبلغ المدينة رأى عند بابها تمثال أسد رابض فهجم عليه ولطمه على وجهه قائلا « ماذا كان يفعل اخوك في البادية ؟ » ♦

٧ - رسالة من قرد الى امه :

من نصوص الفكاهة والتسلية رسالة قصيرة باللغة السومرية وضعت على لسان قرد الى امه^(٦) يشكو فيها ما قاساه من الجوع في المدينتين المشهورتين « اور » و « اريدو » اللتين اشتهرتا بالخيرات ، وقد اضطر الى اكل النفايات والفضلات :

(*) الاتان انثى الحمار ♦

(٦) انظر :

Falkenstein in ZA, Vol. 49, 327 ff.; Archiv für Orientforschung, Vol. 23, 529 ff.

ومجلة « سومر » المجلد ٢٦ ، ١٩٧٠ ، ص ٩٠ ♦

« الى أمي » لودي - لودي « قل : هكذا يقول « اوكو - دل - بي » :
اناور مدينة البهجة والمسرات و « اريدو » مدينة الرخاء ، ولكنني مع ذلك
اجلس وراء باب قاعة الموسيقى آكل الفضلات ، فعساني الا اهلك من
الجوع • لم اذق طعم الخبز والجة • فابعثي الي برسول منك على
عجل » !

٨ - قصة « جميل - نورتا » (فقير نفر) :

قصة « جميل - نورتا » (Gimil-Ninurta) او كما يدعوها بعض
الباحثين قصة « فقير نفر » ، اطول قصة هزلية تكتشف حديثا ، وقد عثر
على نصها بين الواح الطين التي وجدت في الموضع الاثري المسمى
« سلطان تبه » ، وهو احد التلول الاثرية المنتشرة في منطقة حران القديمة
في اعالي نهر البليخ (البليخ)^(٧) . وقد رويت القصة في قصيدة شعرية
قوامها ١٦٠ بيتا من الشعر عدا تذييلها البالغ ١٣ سطرا • وان حقيقة كون
بطل القصة من مدينة « نفر » في جنوبي العراق واكتشاف نصوصها في
حران وفي نينوى ايضا دليل على مدى انتشارها في العالم القديم باعتبارها
قصة جماهيرية ،
خلاصة القصة :

« كان أحد فقراء مدينة نفر المسمى « جميل - نورتا » قد بلغ به

(٧) دون النص في جملة نسخ على الواح الطين ، وجد منها لوحان في
« سلطان تبه » في الخمسينيات من هذا القرن في اثناء تنقيبات المدرسة
الاثرية البريطانية في تركيا ، كما وجد جزء من نصها في مكتبة الملك
« آشور بانيبال » في نينوى • وقد أرخ أحد الألواح بالعام ٧٠١ ق.م •

وكانت اول نشرة لها من جانب الاستاذ « كيرني » (Gurney) :
Gurney, The Sultan-Tepe Tablets, VI, (1956), 145 ff.

وانظر ترجمتها العربية للدكتور فاضل علي في مجلة « سومر » ،
٢٦ ، ١٩٧٠ ، ص ٩٠ فما بعد •

الاملاق درجة بحيث انه لم يجد من الخبز ما يسد به رمقه • وكثيرا ما كان يطوي الليالي وهو يتضور من الجوع ، ولما اشتد به البؤس فقد صوابه من اثر الجوع فباع ثيابه واشترى بئسها عنزة ليذبحها ويأكل لحمها ، ولكنه عدل عن ذلك ، لان ذبح العنزة واكلها وحده سيجلب عليه سخط الاصدقاء والاقرباء ، ولذلك اعتزم أمرا آخر أمل منه خيرا أكثر ، فاحذ العنزة الى بيت حاكم المدينة ليقدّمها هدية فينال منه الجائزة • وهكذا دخل على الحاكم مسرورا وهو يمسك برفة عنزته بيده اليسرى ، وحياء باليمنى ودعا له بالخير وقال : « عسى أن يبارك الاله » انليل « الحاكم ، ويندق عليه الاله » أدد « و « نسكو » الخيرات • ولكن بالخيفة فقير نفر اذ فاجأه الحاكم بالنهر والغضب وقال له : اتجرؤ يا هذا ان تقدم لي رشوة ! » وعبثا حاول الفقير شرح بؤس حاله للحاكم الذي اكتفى بطرده متهمكا بان نصيبه من العنزة « عظاما » وسقاء جعة رديئة ، وطرده من قصر الحاكم ، فقال وهو خارج من البوابة للبواب : « قل لسيدك مقابل ما فعلته بي ساوفيك ثلاث مرات » • ولما بلغ الحاكم قول « جميل - نورتا » ظل يضحك طوال نهاره • اما « جميل - نورتا » فانه قصد من بعد ذلك قصر الملك ، ولما مثل أمامه حياه وقال : « يا سيدي ، يا مصدر قوة الرعية ويا من تمجده الملائكة الحارسة ، استعطفك ان تأمر بان يعطوني عربة واحدة ، واثذن لي ان افعل ما امنى طوال يوم واحد ، وسادفع « منا » واحدا من الذهب مقابل ذلك » • وبدون ان يسأله الملك عن امنيته وعن الاجرة مقدما أمر بتجهيزه بعربة من الصنف الذي يستعمله الوجهاء والامراء كما أمر له بكسوة فاخرة • وركب « جميل - نورتا » في العربة وقصد حاكم نفر وخرج هذا الحاكم بنفسه يستقبله ويرحب به وسأله عن هويته فاجابه ان الملك سيده أرسله اليه وانه جلب معه ذهابا الى معبد الاله « انليل » فآكرمه

الحاكم وذبح له ذبيحة غالية ، وبعد الانتهاء من الطعام تعب الحاكم من السهر ، ولكن « جميل - نورتا » ظل يحادثه ولما غلبه النعاس قام في سكون الليل ومزق ثيابه وفتح الصندوق وصرخ بالحاكم ان يستيقظ فقد وجد الصندوق مفتوحا وسرق الذهب منه ، واتبع قوله بان هجم على الحاكم يكيل له الضربات فاستعطفه الا يقضي عليه ، وعوضه عن الذهب الذي ادعى انه سرق مرتين ، واعطاه بدلا من ثيابه الممزقة كسوة فاخرة • وعندما خرج من باب القصر قال للبواب : « قل لسيدك انني استوفيت منه حقي دفعة واحدة ، وبقي لي عنده قسطان » • ولما بلغ الحاكم ذلك ظل يضحك طوال النهار •

ثم تزيا « جميل - نورتا » بزي طبيب وحلق شعر رأسه واصطحب معه عدة الاطباء الخاصة وقصد قصر الحاكم واخبر البواب انه طبيب ماهر جاء من مدينة « ايسن » (*) ، وانه متمرس بشفاء جميع الامراض ، ولما احضر « جميل - نورتا » امام الحاكم كشف له هذا عن الكدمات في جسمه فقال له الطبيب الدعي انه لا يستطيع ان يطببه الا في مكان منزل مظلم ، وهكذا انفرد به في غرفة مظلمة واوثقه وربطه من خمسة اوتاد ثبتها في الارض ، وانهاى عليه بالضرب المبرح ، ثم تركه وخرج من باب القصر وقال للبواب : « ليبارك الله سيدك قل له انني استوفيت من ديني الان قسطين وبقي لي عنده قسط واحد » •

على ان « جميل - نورتا » خاف في المرة الثالثة ان يظهر بنفسه فاستأجر رجلا وأوصاه ان يقصد باب الحاكم وينادي بأعلى صوته : « أنا صاحب العنزة الذي طرد من باب الحاكم » • اما « جميل - نورتا » فانه

(*) « ايسن » وتعرف بقاياها الان باسم « ايشان بحريات » بالقرب من بقايا مدينة نفر ، كانت مشهورة باطبائها ، ولعل التحريات الالمانية التي بدأت فيها في هذا العام (١٩٧٣) ستكشف عن نتائج مهمة في هذا الموضوع •

اختبأ تحت قنطرة ، ولما سمع الحاكم صراخ الرجل خرج ومعه جميع
اتباعه وحتى نساء قصره يطاردون الرجل ، وتخلف الحاكم عن المطاردين
بسبب آلام جسمه ، وعندئذ فاجأه « جميل - نورتا » من مخبأه تحت
القنطرة وانقض عليه بالضرب المبرح وقال له « لقد استوفيت منك حقي
ثلاث مرات » ، ونقل الحاكم مغشياً عليه وهو بين الموت والحياة • وتنتهي
القصة بالتذييل الآتي وفيه اسم كاتب القصة وتأريخها : « كتب ودقق وفق
النسخة الاصلية بخط « نبو - رختو - اوصر » ، الناسخ المساعد وعضو
مجمع « نبو - أخوا - ادن » ، امين القصر ••• في ٢١ آذار « لمو » (*)
حاكم مدينة « تل - بارسب » (*) •

ولعل بعض القراء ممن قرأ قصص الف ليلة وليلة قد فطن الى الشبه
الواضح بين قصة « فقير نفر » والقصة الواردة في الف ليلة وليلة عن ذلك
الفتي الذي ارسلته امه لبيع لها عجلا في السوق فوقع في شرك جماعة من
المحتالين اوهموه بان ما يسوقه ليس عجلا بل عنزة فاشتروه منه بثمن
بخس ، وبعد ان وبخته امه على غفلته وبلاسته سمم على ان ينتقم من رئيس
اولئك المحتالين فترى بزي فتاة وقصد منزل المحتال ، ولما رآه افتن برؤيه
الفتاة وادخلها الى البيت وابصر الفتى المتزى بزي الفتاة حبلا معلقا في
الدار اخبره المحتال انه يعلق به من يريد ان يعذبهم من سجنائه • فطلب

(*) مدينة « تل بارسب » تسمى بقاياها الآن باسم « التل الاحمر »
تقع الى جنوب كركميش (جرابلس) في اعالي الفرات ، وقد صارت مركز
مملكة ارامية مهمة تدعى « بيت أديني » • اما كلمة « لمو » (Limmu)
فتشير الى طريقة التأريخ الاشورية حيث كانت الحوادث تؤرخ بعهد
الحكام والبارزين في الدولة اعتبارا من السنة الاولى من حكم الملك •

منه الفتى ان يريه كيف يفعل ذلك فجعله يعلقه من الجبل وعندئذ انهال عليه ضربا بسوط كان قد اخفاه تحت ملابسه • ولم يكتف الفتى بذلك وانما ترصد لرئيس المحتالين في الصباح التالي لما قصد الحمام ليغسل جراح جسمه ، وهنا انفرد به واوجعه ضربا • ثم انتقم منه مرة ثالثة وتكاد ان تكون هذه المرة مطابقة لما ورد في قصة « فقير نفر » ، اذ طلب رئيس العصاة من اتباعه ان يأخذوه الى البادية ويضعوه في خيمة ليتخلص من ملاحقات القبي ، ولكن لم يجده هذا التدبير نفعا فان الفتى تنكر واستأجر بدويا وأوصاه ان يذهب الى الخيمة وينادي بأعلى صوته بانه هو صاحب العجل • ولما فعل ذلك انطلق وراءه اتباع شيخ المحتالين يطاردونه تاركين رئيسهم وحده في الخيمة • وعندئذ بادره الفتى مرة ثالثة وكرر الضرب والانتقام منه • وعندئذ لجأ المحتال الى التخلص من الفتى فظاهر بالموت وحمل في النعش ، ولكن الحيلة لم تنطل على الفتى فرافق المشيعين واقترب من النعش ووخز الميت ، فقام المحتال من تابوته واطلق ساقيه للريح • وهكذا انتصر الفتى مرة اخرى •

شعر الغزل

تقتصر معرفتنا بأدب الحب والغزل في حضارة وادي الرافدين على بضعة نصوص سومرية ، حيث كشف الباحثون حديثا عن قصائد يدور معظمها على موضوع فسروه بأنه شعائر ما يسمى بالزواج الالهى أو الزواج

المقدس(*) ، أي الزواج بين الهة والهة الخصب وقيام الحاكم أو الملك
وكاهنة عليا لتمثيل الآله والآلهة في ذلك الاقتران المقدس الذي ينتج عنه
احلال الخصب والخير في البلاد . على أن الواقع انه باستثناء هذه القصائد
الغزلية التي سنتناولها لا توجد نصوص أخرى صريحة في وصف هذه
الشعائر الدينية المهمة التي يبدو انها كانت من بين الشعائر المهمة في حضارة
وادي الرافدين ، ولكن لا يعلم متى بدأت على وجه التأكيد ،
على انه يمكن الافتراض ان ممارستها بدأت منذ أقدم العصور
التاريخية ، ولعله منذ نهاية عصور ما قبل التاريخ ، في العصر الذي أطلق
عليه في تاريخ العراق القديم اسم « العصر الشبيبي بالتأريخي » أو

(*) (Sacred Marriage) وبالمصطلح الاغريقي (Hieros Gamos)

- وقد عالج هذا الموضوع عدة باحثين ، وندرج فيما يلي اهم البحوث عنه :
1. Kramer in Proceeding of the American Oriental Society, Vol. 107, No. 6, p. 480 ff.
 2. ———, in IRAQ, (1960), 59 ff.
 3. ———, in Rencontre Assyriologique Internationale (1969) (1970), 135 ff.
 4. Van Buren, "The Sacred Marriage in Early Times in Mesopotamia" in *Orientalia*, 3, (1944), 43 ff.
 5. Jestin, "Un Rite Sumeriene de Fecondite': Le Marriage du Dieu Ninginsu et la Desse Baba" in *Archiv Orientalni*, 17, (1949), 3 ff.
 6. Römer, *Sumerische Königshymnen der Isin-Zeit*, (1965)
 7. Saggs, *The Greatness that was Babylon*, (1962), 378 ff.
 8. G. Dossin, "Un rituel du Culte d'Ishtar" in *Revue d'Assyriologie*, XXXV, 1 ff.
 9. Kramer, "The Dumuzi-Inanna Sacred Marriage Rite" in *Rencontre Assyriologique Internationale*, XVII, (1970), 133 ff.

« الشبيه بالكتابي » (*) (٣٥٠٠-٣٠٠٠ ق م) • وكان في أصله النظري يقوم كما قلنا على الاتصال الجنسي ما بين الهة الخصب والحب والجنس التي عرفت بأسماء وصفات مختلفة أشهرها « انا » السومرية ، وهي عشتار عند الساميين ، وبين اله الخصب « دموزي » (تموز) ، وكلاهما عبدا في مدينة الوركاء (اوروك) ، حيث ذكر تموز من بين الملوك القدامى في تلك المدينة بحسب اثبات الملوك السومرية التي جعلته الملك الرابع في سلسلة الوركاء الاولى ، كما كان اله الخصب والرعي ، والمرجح أن دموزي الراعي والملك ودموزي الاله كانا شخصا واحدا في الاصل ، ولذلك فيرجح بعض الباحثين ان أقدم ممارسة لشعائر الزواج الالهي بدأت في هذه المدينة التي اشتهرت بكونها المركز الرئيسي لعبادة الالهة « انا » (عشتار) • ويستدل من النصوص التاريخية القليلة على انه لم يقتصر هذا الزواج الالهي لاحلال الخصب والبركة في البلاد على مدينة الوركاء ولا على الهيا « دموزي » (تموز) و « انا » (عشتار) بل كان يمكن لاي زوجين من الآلهة في المدن الاخرى ان يقوموا بشعائر العرس الالهي ، مثل الزواج بين الهة دولة « لجش » ، الاله « ننجرسو » والالهة « بابا » (**) • وسوجب ما توصل اليها البحث الحديث عن الموضوع كان

(*) حول هذا الموضوع وتفسير بعض المعابد المزدوجة التي اكتشفت في الوركاء في هذا العصر على انها خاصة بشعائر الزواج الالهي ، راجع كتابي « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة (١٩٧٣) •

(**) انظر :

Jestin, "Un Rite Sumerien de Fecordite: Le Mariage du Dieu Ningirsu et la desse Baba", in Archiv Orientalni, 17, (1949), 3 ff.

الزواج الالهي يتم على الصعيد البشري من الناحية العملية التطبيقية بأن يقوم الحاكم أو الملك بدور الاله « تموز » ، وتختار كاهنة من الطبقة العليا لتمثل الالهة عشتار • والجدير بالذكر بهذا الصدد ان بعض الباحثين فسروا المقبرة الملكية الشهيرة في « اور » ، ان ما وجد فيها من ضحايا بشرية ، من ملوك وامراء واتباع والنقائس التي دفنت معهم ، هي من بقايا ممارسة شعائر الزواج الالهي بين الملك أو الحاكم واحدى الكاهنات .

العليا ، وكانوا هم واتباعهم يضجون وهم احياء ويدفنون في مقبرة خاصة باعتبار ان الملك يمثل الاله تموز الذي ينزل الى العالم الاسفل ويحبس فيه طوال ستة أشهر ثم يقوم الى عالم الاحياء في النصف الآخر من السنة بعد أن تذهب أخته المسماة « كشتن - أنا » الى ذلك العالم لتكون بديلة عنه ، فان من سنن هذا العالم أن من يدخل اليه لا يقوم منه ولو كان الها الا بعد أن يقدم بديلا عنه • وستطرق الى هذا الموضوع مرة أخرى في كلامنا على الاساطير المتعلقة بالعالم الاسفل • واذا صح التفسير الذي أوردناه للمقبرة الملكية في اور على ضوء عادة ممارسة الزواج الالهي وان زمنها يرقى الى الاطوار الاولى من عصر السلالات الثالث قيل قيام سلالة « اور » الاولى - نقول اذا صح هذا التفسير فان بعض النصوص التي وصلت الينا من الفترة التالية من عصر السلالات الثالث وبوجه الخصوص نصوص سلالة لجش الاولى تشير الى ممارسة شعائر الزواج الالهي ولكن بدون التضحية البشرية التي وجدت معالمها وآثارها في المقبرة الملكية • فقد جاء في نصوص أحد ملوك سلالة لجش المسمى « ايانام » (Eannatum) انه « زوج الالهة انا المفضل » ، ويخبرنا الملك « اتمينا » من السلالة نفسها ان تلك الالهة قد احبته فمنحته الملوكية على كيش ولجش ، على أن هذه العبارة قد لا تعني الزواج المقدس وانما مجرد التنويه بحظوة ذلك

الملك لدى الالهة ، وكذلك يقال بالنسبة الى ما ورد في قصة سرجون الاكدي من أن الالهة عشتار احبته ومنحته الملوكية . وكانت أولى معالم واضحة لممارسة شعائر الزواج المقدسة من عهد الملك « شولكي » ثاني ملوك سلالة أور الثالثة(*) .

ويرجح ان هذا الزواج الالهي كان يحتفل به بصفته احد الاعياد العامة أو الرسمية المهمة ، وكان يقام على أغلب الظن في مطلع الربيع وكان عيداً مستقلاً قائماً بذاته ولكنه أدمج في العصور التاريخية المتأخرة ، لعلها منذ نهايه الالف الثاني ق.م بعيد رأس السنة المعروف باسم « أكيتو » أو « اكيتي » (Akittu. Akiti) الذي كان يحتفل به في أوائل شهر نيسان (بداية السنة البابلية) . ومن الامور المتعلقة بالزواج المقدس مما استنتجه الباحثون من النصوص الدينية والادبية انه كان يقام بوجه عام في المعبد الرئيسي من المدينه في جزء خاص منه خصص لهذا الغرض يسمى « اكيار » (Egipar) أو « كييار » (Gipar) و « كيباركو » على انه وردت أشارات الى العرس الالهي كان يمكن اجراؤه أيضا في قصر الملك مثل الزواج الذي قام به أحد ملوك سلالة « ايسن » المسمى « ادن - دكان » في قصره في ايسن ، وسيرد ذكر القصيدة الغزلية التي نظمت في تلك المناسبة . وكان الاحتفال يبدأ بوصول موكب الاله الممثل بالملك ، وهو في أبهى الملابس والحلل ، ويقدم كبير الكهنة الملك الى عروسه الالهية وهو يرتدي حلة خاصة وفي رأسه التساج ، الى المكان المخصص للعروس الالهية حيث الكاهنة العليا المثلة للالهة « انا » (عشتار) وهي في حجرة خاصة من المعبد كما قلنا وقد ارتدت أبهى الحلل وازينت بأفخر الحلى مما يجعلها لائقة لان تكون العروس الالهية

(*) انظر قصيدة الغزل المنشورة في ANET

Kramer, The Sacred Marriage Rite, (1960), p. 67-68.

وبعد التقديم تستقبل هذه العروس الالهية الملك بانشاد الترانيم والاغاني ،
مظهرة حبها وهيامها وشوقها الى الاتصال بالعريس الالهي حيث تدعوه
الى المضاجعة ، كما جاء في القصيدة الغزلية التي يعتقد انها نظمت بمناسبة
عرس رابع ملوك سلالة اور الثالثة المسمى « شو - سين » :

« أيها العريس الذي يعشقه قلبي ويهواه

ما الذ وصالك ، فهو حلو كالشهد

لقد اسرتني بحبك ، فيا ليتك دخلت الى غرفة الاضطجاع

دعني اقبلك يا عريسي ، فقبلاتي احلى من الشهد

وفي سرير الاضطجاع دعني اتمتع بجمالك

فهللم يا عريسي الى بيتنا ونم فيه الى الفجر

يا سيدي الاله ، وسيدي الحامي ، يا شو - سين ، يا من يسر

قلب انليل (*) »

وبعد مضاجعة الملك للعروس الالهية التي تمثلها الكاهنة العليا أو أية
كاهنة من الطبقات الممتازة ، تقدر هذه العروس ، بصفتها ممثلة للالهة
« انا » (عشتار) ، مصائر البلاد واقدارها ، واحلال الخصب والخير
والبركة فيها ، وهو الغرض الاساسي التي كانت تقام من أجله تلك
الشعائر . ويعقب ذلك على ما يرجح اقامة الاحتفالات والولائم وفي مقدمتها
الوليمة والاحتفال اللذين يقيمهما الملك تكريما لعروسه الالهية وكان
الملك وعروسه يجلسان على منصة خاصة (**).

(*) اراجع : Kramer, The Sumerians (1963), 254

—, The Sacred Marriage Rite (1969)

(**) اراجع المصدر الاتي حيث القصيدة السومرية الطريفة التي
سجلت الموضوع :

Falkenstein und Vin Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen
und Gebete (1956), 9-99.

ويجدر أن نذكر بهذا الصدد أن اسمين من أسماء الكاهنات اللواتي كن يقمن بدور العرائس الالهيات قد وردا منقوشين في قلادتين جميلتين وجدتتا في منطقة معبد « اي - أنا » في الوركاء (في المتحف العراقي الان) .
 فاسم الكاهنة الاولى نقش على احدى خرزات قلادتها في العبارة :
 « ابابششتي » (Abbabashiti) كاهنة ال « ناديتو » ، محبوبة
 « شو - سين » ملك اور ، واسم الثانية : « كوبانم » ، كاهنة ال « ناديتم » ،
 محبوبة شو - سين ، ملك اور (★) .

ويجدر ان نذكر ان اشارة مهمة الى شعائر « الزواج المقدس » وردت في ملحمة جلجامش ، ونعني بها المورد الذي يصف بدء نشوب الصراع ما بين جلجامش وانكيديو عند قدوم هذا الى الوركاء ، فقد صادف ان جلجامش كان على وشك الدخول على عروسه الالهية فتصدى له « انكيديو » ومنعه من الدخول :

ولما هيء الفراش للالهة « اشخارا » (★★)

واقترب جلجامش ليتصل بالالهة مساء

وقف « انكيديو » في الدرب يسد الطريق بوجهه

وفي ختام هذه الملاحظات عن الزواج الالهي يجدر ان ننوه بما أطلق

عليه الباحثون « البناء المقدس » (Sacred Prostitution)

فقد ارتوي ان بعض أصناف من الكاهنات كن يخصصن له ، هما الصنف

المسمى « قادششتو » (qâdishtu) وصنف ال « كلماشيتو »

(*) انظر :

Van Buren, "The Sacred Marriage in Mesopotamia" in *Orientalia*, 3, (1944). 43 ff.

(★★) « اشخارا » من الهات الحب وشكل من اشكال عشتار .

بوجه عام • والذي يقال عن هذا البغاء المقدس انه موضوع يكتنفه الغموض ، ولا يوجد في النصوص الاصلية معلومات وافية عنه ، فتقتصر معرفتنا باحتمال ممارسته على ما جاء في روايات الكتاب الكلاسيكيين ، وفي مقدمتهم المؤرخ المشهور « هيرودوتس » (القرن الخامس ق.م) الذي يربط ممارسة البغاء المقدس بعبادة الالهة عشتار ومعابدها ، ولكنه بالغ في التفسير والتفصيل • وورد في تأريخه أيضا اشارة الى ما يرجح ان يكون شعائر الزواج الالهي في وصفه لبرج بابل الشهير ، وكيف كان يرقى اليه بطبقاته الثماني بسلم حلزوني يدور حوله ، ويوجد في قمة البرج معبد فيه سرير فاخر وبجواره منضدة من الذهب ، وانه لم يكن يقيم في هذه الحجرة سوى امرأة روى البابليون لهيرودوتس ان الاله اصطفاها لنفسه ، وان الاله ينزل من السماء فيستريح في تلك الحجرة(*) .

ويجدر ان نذكر ان الباحثين حديثا وجدوا في قصائد الغزل السومرية الخاصة بالزواج الالهي مفتاحا لحل ما عرف بـ « نشيد الانشاد » المنسوب الى سليمان(**) فهي مجرد شعر غزلي مشبع بالحب والشهوة مما لا ينسجم مع الصفة العامة لاسفار التوراة على الرغم من التفسير الساذج الذي لجأ اليه احبار اليهود من ان المحب في تلك الاغاني هو الله وان العشيقة المتغزل بها « شعب اسرائيل » ، وكثرت التفسيرات والتوجيهات الاخرى من جانب المختصين بدراسات التوراتية ، حتى اهتدى الباحث المختص بالدراسات المسمارية والتوراتية « مييك » (Theophile Meek) الى ان تلك الاشعار الغزلية المنسوبة الى سليمان من تراث تلك القصائد

(*) انظر تاريخ هيرودوتس الكتاب الاول ١٨٠-١٨٢ .

(**) تؤلف هذه الاغاني احد اسفار التوراة القصيرة وهي تتألف من ١١٧ بيتا مقسمة الى ثماني قطع او فصول ، وتسمى بالعبرية « شير هشريم » (Song of Songs)

الغزلية السومرية الخاصة بالزواج الالهي ، اي انها من قيل « مجموعة أغاني الاعراس » (Epithalmium) التي اقتبسها الكنعانيون من بين ما اقتبسوه من أدب حضارة وادي الرافدين وعنهم اخذها العبرانيون(*) .

أشهر القصائد الغزلية

١ - حوار غرامي بين « انا » و « دموزي » :

واول ما نذكر من شعر الغزل^(٨) قصيدة سومرية تتألف من نحو ٤٨ بيتا نظمت على هيئة حوار ما بين الالهة « انا » (عشتار) وبين الاله « دموزي » (تموز) ، وفيه يتفاخر كل منهما بنسبه ، وقد اتسمت اجابة « دموزي » على تبجح « انا » باللفظ والتودد ، مما أثار هيام كل منهما بالآخر وتم الوصال ما بين الاثنين .

٢ - الاتصال بين « انا » و « دموزي » :

وهذه قصيدة سومرية غزلية ثانية تتألف أيضا من نحو ٤٨ بيتا وتدور على الاتصال الجنسي بين « انا » و « دموزي » ، وهو ما اطلقنا عليه مصطلح « الزواج الالهي » ، فبعد ان ازينت « انا » بأفخر حلاها وجواهرها تم باللقاء بين الالهين في معبد مدينة « ارروك » ، « أي - أنا » ، مركز عبادة هذه الالهة والاله « آنو » ، وكان الاتصال الجنسي في الموضع المخصص لذلك الزواج الالهي الذي قلنا انه يطلق عليه « **گيپار** » (GIPAR) او « **گيپاركو** » (Giparku)

Kramer, ANET (1969), 63 ff.

(٨)

Kramer, The Sacred Marriage Rite, (1960), 89.

(*)

٣ - اللقاء بين الالهين العاشقين :

القصيدة الغزلية السومرية الثالثة جاء معظمها على لسان الالهة « انا »
(عشتار) التي اظهرت هيامها وافتتانها بحبيبها « دموزي » (تموز) ثم
جرى حوار ما بين هذين الالهين العاشقين ، اذ طلب تموز من عشتار لقاء
عاجلا وان تتحل لامها « ننگال » (Ningal) عذرا بانها امضت الليل مع
احدى صاحباتها ، ليستطيع العاشقان ان ينعما باللقاء والحب على ضوء
القمر . وتنتهي القصيدة بذهاب العاشقين الى منزل أم عشتار وطلب «دموزي»
يد ابنتها وتم العرس الالهي والاتصال الجنسي ما بينهما . ونقتطف نماذج
من هذه القصيدة بعد حذف الايات المكررة فيها :

« بينما كنت بالامس ، انا ملكة السماء ، ازهو واتألق

« حين كنت اتلألأ وامرح وحدي

« حين كنت أغني مع شروق نور الشفق

« التقى بي « كولي - أنا » (*) ، التقى بي سيدي « دموزي »

« أمسك بيدي « اوشم - كال - انا » (*) وعانقني »

وحاولت « انا » ان تغلت منه اذ خاطبته :

« ما هذا ايها الثور الوحشي (*) ، عليّ ان اعود الى البيت فخل

سبيلي ماذا عسى ان اقول لامي . باي عذر ساتذرع الى امي « ننگال » (**).

فأجابها دموزي : « يا « انا » ، يا ادهى النساء ساعلمك ما تقولين

« تولي لها : اصطحبتي احدي صويجباتي الى ميدان المدينة العام

« فلهونا بالالحن والرقص ، وغنت لي اغنية عذبة

(*) « كولي - أنا » (Kuli-anna) من نعوت الاله دموزي ، ويعني

صديق « آنو » . وكذلك يقال في الاسم « اوشم - كال - أنا »

(Ushum-gal-anna) الذي يعني « تنين السماء العظيم » ، ومن نعوته

ايضا « الثور الوحشي » .

(**) الالهة « ننگال » (Ningal) (السيدة العظيمة) اسم زوجة

الاله القمر « نانا » (سين) ، وتنسب المآثر عشتار ايضا الى انها ابنة

الاله « آنو » ، وفي بعض الاحايين زوجته .

« ففاتني الوقت وانا في غمرة فرحي وجوري »

٤ - العرس الالهي بين « انا » وبين الملك « ادن - دكان » :

ومن القصائد السومرية الخاصة بالحب الالهي اغنية او ترتيلة عرس نظمت بمناسبة الزواج المقدس بين الالهة « انا » والملك « ادن - دكان » (Iddin-Dagan) (١٩٧٤-١٩٥٤ ق م) ثالث ملوك سلالة « ايسن » وهي احدى السلالات التي قامت من بعد سقوط سلالة اور الثالثة في مطلع ما يسمى بالعصر البابلي القديم (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق م) • ومما لا شك فيه ان كاهنة عليا قامت بدور الالهة « انا » في ذلك العرس الالهي •

تبدأ القصيدة^(٩) ب خطاب موجه الى الالهة بان مضجعا في معبدها المقدس « اى - انا » (في مدينة اوروك - الوركاء) قد هيء وطهر من جانب اله النار « كبل » (GIBIL) ، وان الملك اقام لها مذبحا واجرى الشعائر المقدسة ، ويعقب ذلك صلوة وتضرع الى الالهة ان تنهى لاستقبال الملك مساء وان تلاطفه وتغazole في « حجرة الاضطجاع المقدسة ، وان تمنحه الحياة السعيدة الطويلة وتهبه شارات الملوكية : « العصا » و « الصولجان » و « المحجن » • ويتغنى الشاعر في جلال حجرة العرس الالهي الخاصة بالملوكية • وبعد ان خرام في النص مخاطبه الالهة « انا » وتباركه وتمنحه العمر الطويل ، ويعقب ذلك ان رسول الالهة المسمى « نشوبر » (Ninshubur) يقود الملك من يده اليمنى ويجلسه في حضن « انا » ، ويسألها أن تكررمنحه البركة والخير له ولشعبه: « الحكم الصالح السعيد ، والعرش الوطيد وشارات الملوكية الصالحة وحكم بلاد سومر واكد والاقاليم البعيدة ، وان تمكن الملك ، كالفلاح لصالح السعيد ، من اعمار

(٩) نشر النص المسماري الذي يتضمن هذه القصيدة ضمن مجموعة النصوص المسمارية في المتحف البريطاني (CT., XII, No. 4) ونشرها الاستاذ « كرامر » في مجلة :

Proceeding of the American Philosophical Society, Vol. 107, No. 6, p. 501 ff.: ANET., (1969), 640.

المزارع والحقول وتوفير الغلات ، وكالراعي الأمين ان يضاعف الماشية في حظائرها • وان تنال البلاد في عهده كل ما تحتاج اليه من الخضار والغلات ووفرة المياه في الانهار وكثرة الاسماك والطيور في الاهوار ، وحيوان الصيد في البادية ، وازدهار البساتين وان تفيض مياه دجلة بالماء الوفير فتسقي ضفافها وحقولها وبساتينها • ويختتم « نشوبر » صلوته وتضرعه الى الالهة ان تدع الملك يمضي وقتا طويلا سعيدا في حضنها ، فينعم بوصالها الجالب للخير والبركة والسعادة •

• - قصيدة غزل في الملك « شو - سين » :

من قصائد الغزل المكتشفة بين النصوص السومرية حديثا ، جملة قصائد واغان كانت تنشد بمناسبة « العرس الالهي » الخاص بالملك « شو - سين » ، رابع ملوك سلالة « أور » الثالثة^(١٠) • وكانت مثل هذه الاغاني ترتلها احدى الكاهنات اللواتي تسمى الواحدة منهن في اللغة البابلية « ناطيتو » (ناديتو) وبالسومرية « لوكر » (LUKUR) وكن من بين اصناف الكاهنات اللواتي كن يقمن بدور الالهة « انا » (عشتار) في العرس الالهي ، حيث الملك يمثل الاله تموز كما قلنا :

١ - ففي القصيدة الاولى يبدأ غناء الكاهنة بتمجيد الملكة التي ولدت الملك « شو - سين »^(*) ، وان هذا الملك جزاء تمجيدها له وغزلها فيه قدم لها هدايا نفيسة من القلائد واختام الذهب وانه غازلها وعانقها ، وتصف جمالها وحلاوة عناقها وان لذة « فرجها » مثل لذة خمرة التمر •

(١٠) آخر ترجمات هذه القصائد في المرجع الذي أشرنا اليه مرارا والمرموز له بـ ANET., (1969).

(*) ورد اسمها بهيئة « أبيسمتي » (Abisimti) وان « شو - سين » ابن الملك « شولكي » (ثاني ملوك سلالة أور الثالثة) وهذا يخالف ما جاء في (اثبات الملوك السومرية) من انه ابن « بور - سين » • وبموجب هذه الدلالة الجديدة يكون « بور - سين » و « شو - سين » اخوين وان اباهما « شولكي » •

٢ - والقصيدة الثانية مثل الاولى شعر غزل بمناسبة « الزواج المقدس » بين الملك « شو سين » نفسه بصفته ممثلاً للاله تموز وبين الالهة « انا » (عشتار) وتمثلها الكاهنة التي وردت على لسانها هذه القصيدة الغزلية .

وتبدأ القصيدة بتغني الكاهنة بجمال شعر رأسها الذي تشبّهه بالخس(*) ، وانها زيتته لمناسبة العرس الملكي المقدس ، ثم تغزل باقترانها بالملك « شو - سين » ، وهو موطن ناقص في القصيدة التي تنتهي باظهار الكاهنة نشوة الحب واللذة من الاتصال بالملك وبالدهاء والبركات لحياته وازدهار عهد حكمه .

٣ - والقصيدة الغزلية الثالثة الخاصة بالملك « شو - سين » كانت تغنى وتنشد من جانب طبقة من كاهنات المعبد ، ارتوي اطلاق مصطلح « بغايا المعبد المقدسات » عليهن . وتبدأ القصيدة بتعداد جملة نعوت للملك واظهار الفرح ودعوة الملك ان يتصل بعروسه الالهية من اجل احلال الخير والبركة في البلاد .

٤ - اما القصيدة الرابعة من هذا الصنف من الغزل فلم يذكر فيها اسم الملك الذي كان يقوم بدور الاله تموز في شعائر الزواج الالهي بيد انه وصف بصفات جنسية رمزية تتسم بالشهوة والشبق والحصب الجنسي وانه « الخس النابت في المياه » و « البستان المزدهرة » و « شجرة التفاح المثمرة الشهية » وان « اعضاءه الشهد الذي يحلي جسدها » فهو يحلي سرتها وما بين فخذيها . . . » .

٥ - والقصيدة الخامسة تتسم باقصى درجات الانغماس والافراط في

(*) وقد عنون المترجم الاستاذ كرامر 641, (ANLT, 1969) القصيدة بعنوان « شعر رأسي خس » ، ولعل تشبيبه شعرها بالخس ينطوي على مدلول خصبي ، والخس في الحضارات القديمة ، ولاسيما حضارة وادي النيل ، من النباتات التي اشتهرت باستعمالها لتقوية الباه .

الاتصال الجنسي حيث تروى الالهة « انا » الشوة واللدة اللتين جنتهما من اتصالها بحيبيها الذي تصفه بأنه اخوها ، وان الجماع المفرد معه قد انهمك فواه فتضرع لها ان تحرره من وبضتها ، وانه سيأخذ بها الى ابيه لتكون عروسه . والمرجح ان الاله « تموز » هو الذي ذكر في القصيدة بأنه اخوها ، والاله « انكي » (ايا) ابوه .

أَدَبُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّرَاتِيلِ وَالْأَدْعِيَةِ

لعلنا في غنى عن القول بأن الديانة بمختلف أوجهها ومقوماتها شغلت مكانا بارزا في حياة اقوام حضارة وادي الرافدين على ما هو معروف لدارسي هذه الحضارة ، يدل على ذلك وفرة المدونات والنصوص الدينية التي خلفتها سواء كان منها اخبار الملوك الطافحة بنشاطهم في تشييد المعابد المختلفة واقامة الشعائر الدينية المتنوعة ، وما جاء إلينا من النصوص المسمارية الكثيرة ، في اللغتين السومرية والبابلية ، عن الحياة الدينية المتشعبة الأوجه والجوانب ، مما لا يمكن شرحه والاسهاب فيه ، فهي تؤلف موضوعات بحث خاصة في ديانة حضارة وادي الرافدين خارجة عن الموضوع الذي بين ايدينا ، فيكفي من ناحية هذا الموضوع ان نقول ان هناك نصوصا مهمة تتضمن انواع الصلوات والادعية والتراويل الدينية المختلفة ، يعد البعض منها بحق من أروع انواع النتاج الادبي الشعري مما وصل إلينا من ادباء العراق القديم فيحسن ان نفردها لموضوعا خاصا في بحثنا ، نخص بالذكر منها نوعا من الصلوة يمكن ان نعنونها بصلوة « رفع اليد » ، ترجمة للمصطلح البابلي (Nish-qâti) وبالمصطلح السومري « شو - ايلا » (SHU-ILA)

وهي ذات طراز أدبي خاص تبدأ عادة في الابتهاالات الى اله معين وتمجيد ثم يعقب ذلك القسم الاوسط من القصيدة الذي يخصص لتوسلات المصلي وشكواه ، وتنتهي بازجاء المديح والثناء للاله استباقا لتحقيقه دعوات المصلي .

ولعل أشهر النصوص التي يجدر وضعها في عداد القطع الأدبية
الرفيعة التراتيل المخصصة لتمجيد الإله الشمس « شمش » ، وأشهرها
ترتيلة مطولة تتألف من نحو (٢٠٠) بيت من الشعر لا تقل في روعتها عن
صلوة الفرعون المصري الشهير « اخناتون » (القرن الرابع عشر ق م)
إلى الإله الشمس « أتور » . وهناك أنواع أخرى من الصلوات والتراتيل
نذكر منها ما يسمى صلوة « الشكوى » (بالبابلية شِگُو shigû) وصلوة
النعمة والبركة « اكريبو » (Ikribu) ^(١١) ، ونورد فيما يلي أشهر هذه
التراتيل .

١ - تراتيل للإله « شمش » :

وجد بين النصوص الدينية جملة تراتيل ومدائح نظمت لتمجيد الإله
« شمش » ، الإله الموكل بشؤون الحق والعدل والصدق بصفته قاضي
السماوات والأرض ، ومن بينها ترتيلة على لسان الملك الآشوري الشهير
« آشور بانيال » (٦٦٨-٦٢٦ ق م) ^(١٢) تقتطف منها الماذج التالية :

يا نور الآلهة العظام ، يا نور الأرض ، يا مضيء أقاليم العالم .
« ايها القاضي الأعظم ، المبجل في السماء والأرض .
« يا من لا تنفك عن الوحي ، فتقرر أقدار السماء والأرض كل يوم .

(١١) عن «القصائد السومرية والبابلية الخاصة بموضوع التراتيل
والصلوات انظر المراجع الأساسية الآتية :

Falkenstein und Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen
und Gebete, (1956).

ومجموعة النصوص القديمة الخاصة بالشرق الأدنى المرموز لها بـ
ANET.

(١٢) عثر على النص المسماري في أثناء التنقيبات الألمانية في آشور
(١٩٠٤ - ١٩١٢) ، انظر :

Ebeling, KAR, Nos. 105, 361.

وترجماته في :

Ebeling, Quellen Zur Kenntnis der Babylonischen Religion, 1918;
Stephen in ANET., (1969), 386.

« شروقك نار وهاجة تحتجب بسناها نجوم السماء •
 « انت منمرد بسناك فلا يضارعك فيه اله من الالهة •
 انت وابوك « سين » تعقدان « محكمة العدل » وتصدران الاقضية •
 « لا يعقد « آنو » و « انليل » قرارا من دون رضاك
 « انت معتمد « ايا » ، مقرر الاحكام في الاعماق •
 « الكهنة المعوذون يسجدون اليك ليدروا نذر الشر
 « واليك يتوجه كهنة التنبؤ ليتسلموا النبوءات •
 « أنا عبدك « اشور بانيبال » الذي قدرت له الملوكية في الرؤى •
 « انا الذي يلهج بعظمتك وبمجدك امام الخلق » •
 وهناك ترتيلة للاله شمش يخاطب فيها بصفته اله العالم والقاضي
 السماوى الاعظم الذى يعاقب الاشرار ويظهر الحق • وقد جمعت القصيدة
 من جملة كسر من الألواح وجدت في مكتبة « آشور بانيبال » (القرن
 السابع ق م) (١٣) نورد منها الايات التالية :
 « يا منير الظلمات ، ويا من يمحو الشر في العلى وفي الدنى •
 « تنشر اشعتك كانشبكة على البسيطة والجبال والبحار
 « انت تمسك باطراف الارض المعلقة من وسط السماء
 « وتحرس كل ما خلقه « ايا » ، فانت راعيهم في العلى وفي الدنى
 « انت راعي العالم الاسفل ، وحامي العالم الاعلى
 « انت يا شمش دليل كل شىء ونوره
 « لا احد من الآلهة من يجهد نفسه مثلك على الدوام
 « تجتمع آلهة البلاد عند شروقك
 « ويطغي سنا نورك على الارض
 « من ذا الذي بوسعه ان يتغلغل الى اعماق البحار غيرك

« انت الذى تحاكم الاشرار وتختبر الاخيار ♦
« واحكامك عادلة لا ترد ولا تبدل
« انت الذى تأخذ بيدك سالك البحر الذى يخاف الموج
« وتقود خطى الصياد في الطرقات التي لا يعرف مسالكها
« ان شبكتك منشورة لتمسك بمن يشتهي زوجة رفيقه
« انت تحكم في مصير من يغشون في الوزن والحساب
« وتعاقب القاضى الذى لا ينهج محبة العدل ،
« والمرتشى الذي يضل طريق العدل
اما من ينصف الفقراء ويدافع عنهم والذى لا يرتشى فانك يا شمش
تجزيه خيرا على صنيعه
ما عسى أن يحصل المرابي الذي يشتط في فائضه ؟ ان هو الا كذاب
غشاش ♦ اما من يقرض بفائض عادل (شيقل واحد لكل ثلاثة ؟) فانه
يبعث السرور في شمش ويكسب المال الوفير ♦
ومن قسط في الكيل والوزن فانه يرضى شمش ويحصل على المال
والذرية الدائمة » ♦

٢ - ترتيلة لالاهة عشتار :

ومن التراتيل التي نظمت في تمجيد الالهة « عشتار » نختار القصيدة
التالية التي نظمت في أواخر سلالة بابل الاولى في حدود ١٦٠٠ ق م ، من
زمن الملك « عمي - ديتانا »^(١٤) ، ونقتطف منها الايات التالية :

(١٤) نشر نص القصيدة في مجلة RA., XXII, 170-1 وترجمتها في
المجلة نفسها وفي مجلة ZA., XXXVII, 19 ff. واخر ترجمة لها في :
Stephens in ANET., (1969), 383.

« حمدا لك يا اروع الالهات واشدهن رهبة
« ليقدر الكل سيدة الخلق ، واعظم الآلهة
« حمدا لك يا اروع الالهات واشدهن رهبة
« وليقدس الكل سيدة الخلق واعظم الآلهة
« الالهة التي ترتدى اللذة والحب
« المفعمة بالحياة والسحر والشهوة واللذة
« حلوة في شفقتها ، ويكن سر الحياة في فمها
« ذات مجد وسناء ، تلف رأسها بالعصابة
« رشقة القد ، جميلة العينين مشرقتهما
« الالهة الحكيمة التي تمسك بيديها الاقدار
« ينبعث العزم والمجد والحبور بمجرد نظرة من عينيها
« انها الالهة الحامية والروح للحارسة
« عشتار ! من ذا الذي يضاهيها في العظمة ؟
« ارادتها قوية ، ممجدة ، وكلمتها مبعجة مطاعة بين الآلهة
« انها ملكتهم ، ينفذون اوامرها على الدوام • انها تسندهم امام ملكهم
« آنو » •
« تشارك الآلهة في مجلس شوراها ، في حجرتها المقدسة ، بيت
المسرات والافراح •
« يجلس قدامها الآلهة كل في مجلسه الخاص ويصفون لما تفوه به •
« والملك ، محبوبهم وعزيزهم » عمي - ديتانا « يقدم لهم الاضاحي
والقرايين الطاهرة من البقر والغزلان •
« لقد تشفعت له عند زوجها « آنو » ان يمنحه العمر الطويل •
« لقد قدرت لعمي ديتانا العمر الطويل

« وجعلت جهات العالم الاربع تخضع تحت قدميه ، وربطت جميع
الناس الى نيره » •

نماذج من التراتيل السومرية :

بعد ان اوردنا امثلة من التراتيل التي نظمت باللغة البابلية نقدم امثلة
أخرى من التراتيل السومرية ، وهي قصائد شعرية ترقى في ازمانها الى
العصر البابلي القديم (النصف الاول من الالف الثاني ق.م) ، اهمها
التراتيل التي خصصت للاله « انليل » والاله « نورتا » (اله الحرب وابن
الاله انليل) بصفته اله الخضار ، وترتيلة اخرى بصفته اله الحرب ، والاله
« أدد » (يشكر) والالهة « انا » (عشتار) ، احداها على لسان ابنة الملك
الأكدي سرجون المسماة « اينخيدو أنا » (Enhedu anna) التي خصصها
أبوها كاهنة عليا (ايتم) في معبد الاله القمر « نانا » (سين) في اور •
ونورد فيما يلي نماذج من هذه التراتيل^(١٥) :

١ - ترتيلة للاله « انليل » :

نختار منها الايات التالية :

« انليل ذو السلطان الشامل المطلق والكلمة السامية المقدسة
« يقدر المصائر والاقدار الى الابد ، فلا تبديل لاوامره
« الذي ترى عيناه خفايا البلاد وتسبر اغوار الارضين
« حين يجلس الاب « انليل » على المنصة المقدسة ويتحلى بالسيادة
والملوكية ، تسجد له آلهة الارض طائعين
« الرب العظيم ، ذو السيادة والقدرة ، المتسامي في السماء والارض
« العليم بكل شيء ، والمتمرس بالاحكام

(١٥) عن هذه التراتيل السومرية انظر :

Kramer, in ANET., (1969), 573 ff.

« لقد أقام بيته في « دور - آنكي » (*)
في نفر أقام « كبش المقدمة » المبجل مسكنه
« المدينة التي تبعت الرعب والهلع
« فلا يجروء ان يقترب منها اله (بدون اذنه) •
ويستمر ناظم القصيدة في سرد فضائل « نفر » ، مدينة « انليل » ،
مشيدا بدورها في القضاء على الشرور والبغضاء والسوء ، وانها موضع
الاستقامة والعدل النخ •

٢ - صلوة « اينخيد وأنا » للالهة « انا » (عشتار) :

وهي ترتيلة طريفة نظمت بالسومرية على لسان الكاهنة العليا
« انخيدو أنا » التي قلنا ان اباه سرجون الاكدي الشهير قد خصصها كاهنة
عليا في معبد اله اور (نانا ، او نار ، وسين) • وخلاصتها ولاسيما القسم
الثاني ، منها ، تأكيد ناظم القصيدة ان صلوة هذه الكاهنة قد حظيت بقبول
الالهة « انا » •

٣ - ترتيلة للملك « اور - نمو » :

وترتيلة سومرية ثالثة للملك السومري « اور - نمو » ، مؤسس
سلالة أور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤ م) بمناسبة تجديد بنائه
معبد الاله « انليل » المسمى « اى - كور » في نفر ، وتعدد البركات التي
نالها الملك من هذا الاله الذي اختاره للملكية بلاد سومر • وقد اطلق ناظم
القصيدة عليها العنوان الادبي السومري « تيغي - انليل » ، ومصطلح
« تيغي » (Tige) ، كما بينا في مقدمة هذا البحث ، يطلق على نوع خاص
من التراثيل التي كانت تنشأ وتغنى على القيثاره بلحن خاص •

(*) « دور - آنكي » (DUR-AN-KI)، مدينة نفر الشهيرة ، مركز
عبادة الاله « انليل » ، ومعنى اسمها السومري « رباط الكون » (السماء
والارض) •

٤ - ترتيلة للملك « شولكي » :

والقصيدة السومرية الرابعة التي نختم بها هذه الامثلة ترتيلة سومرية للملك « شولكي » ، ثاني ملوك سلالة اور الثالثة ، وهي اقرب ما تكون الى المديح الذاتي حيث يعدد الملك مزاياه ومواهبه التي اسبغتها عليه الآلهة العظيمة ، ويذكر ناحية طريفة في سرد اعماله ، تلك هي ولعه في تسييد الطرق وجعلها صالحة آمنة للسفر على الدوام ، وانه شيد فيها عند مسافات معينة منازل لاستراحة المسافرين^(*) ، ويطلب في ولعه بالجري السريع في السفر فيصف قدرته وكأنه بطل العدو في البلاد ، فهو قد قطع في جريه المسافة من مدينة « نفر » الى عاصمته « أور » في ساعة مضاعفة واحدة ، في حين ان المسافة ما بين المدينتين لا تقطع الا في خمس عشرة ساعة مضاعفة (زهاء ١٥٠-١٦٠ كم) ، ووصل الى « اور » فاستقبله الناس بالهتافات والتهليل ، وقدم القرابين الكثيرة الى معبد الاله « نانا » (اله القمر) في أور واقام حفلا صدحت فيه الموسيقى وتعالق الاغاني ، وانه بعد ان استحم واستراح في قصره لم يعبأ بما عناه من سرعة السفر فركض في اليوم نفسه عائدا الى مدينة « نفر » ليشارك في عيد اقيم في كلتا المدينتين في اليوم نفسه ♦

٥ - التعاويذ :

ونتهي هذا الموجز عن موضوع اتراتيل والبرانيم بذكر ما يطلق عليه في النصوص المسمارية مصطلح الرقي (ج . رقية) او التعاويذ (incantation) وهي نصوص مع كونها تدخل في باب السحر الا أن بعضها يتضمن نصوصا أدبية في تمجيد الآلهة المستعاذ بها ، كما ان بعضها

(*) ورد ذكرها في النص باسم « البيوت الكبيرة » . وهذه اقدم اشارة الى اقامة المراحل او المنازل اي « الخانات » للمسافرين في تاريخ الشرق الادنى .

يبدىء بمقدمات ميثولوجية عن أصل الاشياء والخلقة (راجع امثلة منها في موضوع اساطير الخلية) كل ذلك يجعلها جديرة بالتنويه ضمن الموضوعات الادبية •

يطلق على الرقى والتعاويذ المصطلح السومرى (EN) وتسمى في اللغة الاكدية « شيتو » (shiptu) ، وكانت توضع لطرد الارواح الشريرة المؤذية والشياطين التي تسبب الامراض الجسدية والعقلية للأفراد ، كما كان يقصد منها ابطال اثر سحر السحرة • والغالب ان تكون الاستعاذة بأساء مشاهير الآلهة المعروفة بالتزامها جانب الانسان وخيره مثل الاله « شمش » و « ايا » وابنه « مردوخ » • وجرت العادة في التعاويذ انها كانت تتلى في أثناء اجراء بعض العمليات السحرية أى مصاحبة لمثل هذه العمليات مثل التبخير وسكب الماء ورشه كما ان نصوص الكثير منها كان ينقش بهيئة عوذ او حروز من الحجر تعلق بهيئة دلايات في رقاب الافراد ، وخصصت طائفة منها للأطفال درءا لخطر اضرار بعض الشياطين ، مثل الجنية الخبيثة « لماشتو » (Lamashtu) ، والآلهة او الارواح السبع الشريرة • وكان بعض التعاويذ يتلى في بعض المناسبات الخاصة مثل حدوث ظواهر طبيعية مخيفة ككسوف الشمس وخسوف القمر ، لطرد الشياطين او الآلهة السبعة (Sebetti) التي كانت تتغلب مؤقتا على الشمس والقمر فتأسرهما •

وقد اشتهر صنفان من الكهنة في التعاويذ والاعمال السحرية المتعلقة بهما هما صنف ال « آشيرو » (Ashipu) وال « مشماشو » (Mashmáshu) والمحتمل ان الغالبية من نصوص التعاويذ الاصلية ترجع الى عهد سلالة « أور » الثالثة (٢١٢٢ - ٢٠٠٤ ق م) ثم استمرت في الاستساخ والاستعمال في العهود التالية • وقد اشتهرت من نصوص التعاويذ ثلاث

مجموعات بالعناوين التالية :

١ - شربو (Shurpu)

٢ - مقلو (Maqlu)

٣ - اوتوكي لموتي (utukki. limuti)

ويعني الصنفان الاولان « الحرق » ، حيث يكون الحرق أساس العمليات السحرية فيهما ، وكان ال « شربو » بالدرجة الاولى للتطهير من المعاصي والذنوب، وال «مقلو» لابطال عمل السحرة • والصنف الثاني لدرء اخطار الارواح الشريرة الخبيثة • وهناك اصناف اخرى من التعاويذ تعنون عادة بالحالات التي وضعت لها مثل تعويذة وجع الرأس وتعويذة وجع الاسنان وتعويذة التطهر وتعويذة ابطال اللعنة وتعويذة لوجع العيون ولسع الحية وغيرها ، وتعاويذ عامة لحفظ المباني والحقول والمدن •

الفصل السادس

أوب كرناء
وأساطير العالم الأسفل

أدب الرثاء

نقتصر معرفتنا بهذا النوع من الأدب الخاص بالرثاء على بضعة نصوص لقصائد سومرية ،^١ وانه بحسب معرفتنا الراهنة تنحصر هذه القصائد في موضوع رثاء تدمير المدن والقضاء على السلالات الحاكمة من جانب الأعداء مثل القصيدة المطولة التي سنوجزها في ندب تدمير مدينة « أور » على أيدي العيلاميين والسوباريين الذين أسهموا مع الآموريين في القضاء على سلالتها الثالثة الشهيرة (٢٠٠٢ ق م) ورثاء تدمير مدن بلاد سومر وأكد على أيدي أولئك الأقوام .

ونوجز في ما يلي أشهر النصوص الأدبية في موضوع الرثاء :

١ - رثاء تدمير « أور » :

يرجع زمن نظم القصيدة الخاصة برثاء « أور » إلى العصر البابلي القديم في مطلع الألف الثاني ق م ، ويرقى زمن أقدم نسخ لنصوصها التي وصلت إلينا إلى عهد حكم الملك السابع من سلالة بابل الأولى المسمى « سمسو - ايلونا » (١٧٤٩-١٧١٢ ق م) . وقد جمع نصها الكامل من نحو ٢٢ لوحا وكسر من الواح وتتضمن القصيدة زهاء ٤٣٦ بيتا تنظم في إحدى عشرة قطعة أو دور (Stanza) غير متساوية في عدد أبياتها . وتبدأ القصيدة^(١) بذكر الآلهة الذين هجروا مراكز عبادتهم في المدن الشهيرة

(١) آخر ترجمة لها في المرجع الآتي وفيه الإشارات إلى الدراسات

الأخرى :

Kramer in ANET, (1969), 455 ff.

ابتداء من كبير الآلهة « انليل » فتركوا « فطعان رعيتهم تتبعثر مع الريح » ،
فذاك انليل :

« هجر حظيرة قطيعه فتبعثرت مع الريح
« هجر » الثور الوحشى » حظيرة اغنامه فذهبت مع الريح
هجر انليل حظيرة غنمه فتبعثرت مع الريح •
وفعل الاله القمر « نانا » (سين) في اور الشئ نفسه :
« هجر » نانا » اور فتشتت حظائر غنمه مع الريح
هجر « سين » لى - كشنوكال (*) وهجرت زوجته « نكال »
حظيرة غنمها فذهبت مع الريح •
وتستمر القصيدة في تعداد الآلهة الاخرى الذين هجروا مدنهم • وفي
السطر الاربعين منها بداية رثاء أور الخاص ، نختار منه الامثلة الآتية
بعد حذف التكرار :

« رثاؤك مر اليم ايتها المدينة
مدينة أور التي خربت رثاؤها مر اليم
كم سيظل رثاؤك الاليم يحزن سيدك الباكي !
« الرب الذي دمر بيته يشارك مدينته البكاء والندب
« ناحت » أور » وشاركت الرثاء سيدها التي خربت بلاده
« وشاركته » نكال » البكاء والنوح من اجل مدينته •
وكان تدمير مدينة « أور » وقتل اهلها قد اراده الالهان العظيمان
« آ نو » و « انليل » ، ورغم توسلات الهة المدينة « نكال »
ليسابة عن زوجها « نانا » لم يخفف هذان الالهان من
شدة غضبهما • ولكن الهة المدينة لم تتخل عن مدينتها فواصلت التوسل الى

(*) « اى - كشنوكال » او « اى - كشركال » اسم المعبد المقدس في
اور المخصص لعبادة الاله القمر •

الآلهة العظام « بيد ان التدمير استمر واطبق على المدينة الاعداء كالأعاصير العاتية ، وامتألت الطرقات والابواب بجثث الموتى وتكدست بها مواضع الأعياد ، وتعالى أنين الجرحى وصراخهم ولا من يغيثهم ويسعفهم . لقد هلك الأقوياء والضعفاء جوعاً ، ومات كثير من الناس في حرائق بيوتهم ، وجرفت المياه الأطفال والرضع . انكرت الأم طفلها وتخلت عنه . هجرت الزوجة ونبتذ الطفل . والتهمت النيران المخازن والأهراء ، وعملت الفؤوس الضخمة في معبد « اى - كشر كال » ، ذلك الطود الشامخ المنيع . لقد امتلأ ودنسه العيلاميون والسوباريون الذين أحلوا الدمار والخراب في المدينة .

وتنتهي القصيدة من بعد الرثاء والندب بالتتويه ان مدينة « أور » المنكودة قد رفع عنها الهلاك والدمار وأعيدت الى سابق عهدها وعاد اليها اهلها والها « نانا » الذى خصص له التمجيد والتعظيم .

٢ - رثاء تدمير بلاد سومر و أكد :

اما القصيدة السومرية الثانية التي نوهنا بها فقد نظمت في رثاء تدمير بلاد سومر و أكد ومعها العاصمة « أور » ، وسقوط سلالتها الثالثة على ايدي العيلاميين والسوباريين على ما هو معروف في تأريخ العراق القديم، حيث اخذ اخر ملوكها المسمى « ابي - سين » اسيراً الى بلاد عيلام . وبالإضافة الى ما لهذه القصيدة من اهمية ادبية شعرية في تاريخ ادب حضارة وادي الرافدين فانها كذلك على قدر كبير من الاهمية في تاريخ هذه الحضارة من حيث معتقداتها الدينية ونظمها الاجتماعية والسياسية . وقد استطاع الباحثون في السنوات القليلة الماضية جمع النصوص الخاصة بهذه القصيدة من نحو ثلاثين لوحاً غير كاملة^(٢) وقد تم ذلك ما بين عام ١٩١٤

(٢) انظر آخر ترجمة للقصيدة في المرجع الآتي :

Kramer in ANET, (1969), 611 ff.

و ١٩٤٤ ، وكان الباحثون الى عهد قريب يقسمون نصوص هذه الألواح الى موضوعين : (١) اطلقوا على الموضوع الاول عنوان « رثاء » الملك « ابي - سين » (٢) والموضوع الثاني رثاء تدمير بلاد سومر واكد ، ولكن اكتشاف نصوص جديدة عن هذا الموضوع اظهر ان هذه القطع الادبية تؤلف موضوعا واحدا متكاملا هو كما ذكرنا رثاء جميع بلاد سومر واكد ومعها العاصمة « أور » .

تألف القصيدة بشكلها المتكامل الان من اكثر من ٥٠٠ بيت من الشعر منها نحو ٤٠٠ بيت في حالة سليمة من الحفظ ، وتنقسم الى خمس قطع او خمسة ادوار (Stanza) (*) غير متساوية في عدد ابياتها على النحو الآتي :

١ - القطعة الاولى ومقدارها ١١٥ بيتا تبتدىء بنذب المصير المحزن الذي قدره على بلاد سومر الآلهة الاربعة العظام : « آنو » و « انليل » و « انكي » (ايا) والالهة « ننخرساك » ، حيث عطلوا النواميس الالهية (بالسومرية ME) التي تدار بموجبها شؤون الكون والبشر ، واعقب ذلك تدمير مراكز العمران وتخریب ضفاف الانهار واجذاب الحقول والمراعي ، ونقل نظام الملوكية الى ارض غريبة . وتكر الاله « نانا » نفسه لمدينته « أور » ومعابدها ، فلم يأبه لتدميرها وتشريد أهلها ، وادخل الغزاة اليها عبادات وشعائر غريبة ، وكان هؤلاء الغزاة من العيلاميين والاموريين قد اسروا ملكها « ابي - سين » ونقلوه الى بلاد بلاد عيلام التي لم يعد منها ، كما ان الكوتيين قاموا بغزوات مدمرة كالطوفان (**) فتضاعف الدمار

(*) بالسومرية « كريكو » (Kirigu)

(**) المعروف ان حدث غزو الكوتيين قد وقع في نهاية السلسلة الاكدية حيث قضى الكوتيون على هذه السلسلة أي قبل سلاله أور الثالثة بأكثر من مائة عام ، كما سيمر بنا في « لعنة اكد » .

• والبؤس •

٣ - وفي القطعة الثانية أسماء مدن بلاد سومر و أكد التي دمرت وعددها ١٤ مدينة ابتداء من كيش في بلاد أكد الى « أور » و « اريدو » في بلاد سومر في اقصى الجنوب •

٣ - ويخصص الشاعر في القسم الثالث من القصيدة رثاءه لتدمير العاصمة « أور » فيندب شقاء اهلها ، ملكا وكهنة وعامة الناس وما اصابهم من قحط ومجاعة ، فقد اجرقت ابنتها ومعابدها ونهبت مخازنها واهراؤها وجفت أنهارها ، فعز ذلك على الهما « نانا » (سين) فتضرع الى الاله « انليل » ان يعطف على مدينته واهلها ويعيدها الى سابق عهدها •

٤ - اما القسم الرابع من القصيدة فيبتدىء برفض « انليل » استغاثة اله المدينة وانه لم يكتف بذلك بل انه وبخه على تشفعه لمدينة « أور » التي كتب عليها الدمار في مجمع الآلهة ، وهو قرار لا يبدل ولا يرد ، فان « أور » استوفت نصيبها من الملوكية ، فينبغي نقلها الى موضع آخر ، لانه لم يقدر ان تدوم الملوكية في بلد واحد • وأمر « انليل » اله المدينة ان يتخلى عن مدينة (أور) • فهجرها على عجل ومعه زوجته « نكال » ، وبقية آلهة المدينة • وعندئذ اسلمت المدينة الى اعدائها فاعملوا في اهلها القتل والتدمير والنهب ، وسلط على من بقي منهم حيا القحط والمجاعة ، واستسلم المدافعون عن المدينة وفتحوا ابوابها الى العيلاميين •

وتنتهي القصيدة باستئناف اله المدينة التضرع والتوسل الى ابيه « انليل » ان يبدل سخطه وبطشه الى الرحمة بالمدينة واهلها ، وفي هذه المرة رق قلب « انليل » فبدل مصير المدينة وباركها وان تعاد الى سابق عهدها ، فعاد اليها سكانها المشردون في كل مكان ، وعاد اليها الهما وزوجته

الى بيتهما المقدس • ويختتم الشاعر رثاءه بالدعاء الى الآلهة العظام ان يحولوا
« الصاعقة المدمرة » من بلاد سومر الى بلاد الاعداء ، بلاد « تدنم »
(الاموريون) والكوتيون وانشان (عيلام) •
٣ - لعنة مدينة « أكاده » (اكد) :

النص الادبي الثالث قصيدة سومرية مطولة مثل القصيدتين اللتين سبق
ذكرهما • ومع ان هذه القصيدة ليست رثاء صرفا بيد انها قريبة من هذا
الباب فهي لعنة الهية تتج عنها حدث تاريخي مهم هو تدمير مدينة « أكاده »
اي اكد^(*) • وكما سيمر بنا من تلخيص القصيدة عزا ذلك الشاعر المؤرخ
« تدمير المدينة الى غضب كبير الآلهة « انليل » ، اله مدينة « نفر » بسبب
تحدي احد ملوك السلالة الاكدية له ، هو « نرام - سين » ، حفيد سرجون
مؤسس السلالة ، فسلط « انليل » قبائل الكوتيين البرابرة من جبال
« زاجروس » فدمروا البلاد وخرّبوا المدن ، وفي مقدمتها العاصمة « اكد » •
ويرجع زمن النسخ التي وصلت الينا من القصيدة الى مطلع الالف
الثاني ق • م ، لعله في حدود القرن الثامن عشر • ق م ، والمرجح ان ناظم
القصيدة كان من الكتبة المتضلعين من مدرسة الكتبة في مدينة نفر وانه عاش
في زمن « اور » الثالثة • وقد بدأ الباحثون بجمع النسخ الخاصة بنص
هذه القصيدة ما بين عامي ١٩١٤ و ١٩٤٤ ، وحسبوا موضوعها انه رثاء لتدمير
مدينة « اكد » ، بيد ان اكتشاف نسخ اخرى من نصها في عام ١٩٥٦ من
جانب الاستاذ « كرامر » واعادة ترجمة نصوصها^(٣) سهّل أمر تعيين
(٣) انظر :

Falkenstein in ZA, LVII, 43 ff.

Kramer in ANET, (1969), 646 ff.

(*) لا يعلم لحد الان موضع بقايا العاصمة « اكد » التي اسسها
سرجون مؤسس السلالة الاكدية المشهور والتي ينسب اليها السكان
الساميون في العراق ، ولكنها تقع في مكان ما بين منطقة « بغداد -
المحمودية » وبين بابل •

موضوعها الصحيح بانه لعنة الهية على « اكد » احلت بها الدمار .

تتألف القصيدة من زهاء ٢٨٠ بيتا ، تبدأ الابيات الاولى منها بمقدمة تذكر كيف حصل الملك سرجون الاكدي على الملكية اذ منحه اياها « انليل » ، ومكنه من القضاء على سلالتي كيش والوركاء ، وكيف ان الالهة « عشتار » اقامت في « اكاده » بيتها المقدس « اي - اولماش » (E-Ulmash) وانها لم تأل جهدا في اعلاء شأن المدينة وتعميم الازدهار فيها ، وكيف خضعت لها البلاد وتواردت عليها الخيرات من جميع اقاليم الارض فامتلا ميناؤها بالبضائع المقدسة التي حوت كنوز الاقطار وغرائب نتاجها . وقد تحقق ذلك الازدهار بفضل رضا الاله « انليل » ، وسكنى الالهة « انا » (عشتار) فيها . ولكن بعد زمن وبوجه خاص في عهد ملكها الرابع « نرام - سين » ، حفيد سرجون ، تخلت الالهة « انا » عن اكاده وهجرتها بايعاز من الاله « انليل » ، وتركت معبدها فيها وتحولت من حمايتها الى مناصبتها العدا ، وفي الوقت نفسه تخلى الآلهة الآخرون الساكنون فيها مثل « نورتا » (ابن انليل) و « اوتو » (شمش) و « انكي » (آيا) ، فعمها التدهور والضعف . أما الملك « نرام - سين » فانه رضخ لاقدار الآلهة وصبر على تلك البلوى طوال سبع سنين ، ولما أوشك أن ينفذ صبره من بعد ذلك قصد معبد الاله « انليل » في نفر وسأل فيه عن الفأل والنبوة . ولكن لم يستجب اليه الاله العظيم ، وعندئذ جمع حشوده ودمر مدينة « نفر » ونهبها وانتهك حرمت معابدها ، فثار « انليل » لمدينته بأن سلط على المدينة المعتدية « اكاده » وملكها « نرام - سين » جموع الكوتيين الذين انحدروا من جبالهم مثل ارجال الجراد ، فسدوا الطرق في البر والبحر ودمروا المدن وحولوها انقاضا ، واقفرت الحقول والبساتين وحل القحط

على أن بعض الآلهة اثارتهم الفاجعة فتوجهوا الى انليل واستعطفوه ليخفف من وطأة ضربته لبلاد سومر وأن يحصر غضبه وتدميره على المدينة الآثمة «أكادة»، التي كرروا اللعنة عليها فقاست اضعافا مضاعفة مما قاسته مدينة «نفر» على يد «نرام - سين» * ونقتطف الايات الآتية الخاصة بهذا المورد من النص :

« مثل الآلهة : سين وانكي وانا و ننورتا ويشكر (أدد) و « اوتو » (شمس) في حضرة انليل وواسوه ولطفوا من غضبه وتضرعوا له قائلين :

« يا انليل البطل عسى ان يكون مصير المدينة التي احلت الدمار بمدينتك مثلها الى الدمار »

« وعسى ان تمتلئ الآبار بجماجم اهلها وعسى ان لا يعرف الاخ أخاه » * ثم وجه اولئك الآلهة اللعنة على أكادة :

« ايتها المدينة التي تجرأت على تدمير « اى - كور » * الا تعلمين انك اهنت انليل ووجهت هجومك عليه ؟ »

فبعسى ان يته الى النذب والبكاء في ارجائك فتردد اصداؤه اسوارك * فاسقطي وانطرحي مترنحة مثل السكارى من ضخم الرجال » *

« وليطد طينك الى اصله الى « ايسو » * وليلع طينك « انكي »

« وعسى أن يعود قمحك الى اخايدده وعسى أن تلغنه « أشنان » (*)

« وعسى ان تعود اشجارك الى غاباتها ، وتحل بها لعنة الإله

« نندو » (**) *

(*) الالهة « اشنان » (Ashnan) الهة الغلات *

(**) « نندو » إله النجارة *

« وعسى ان يذبح جزار البقر فيك امرأته بدلا من الابقار
 « ويذبح جزار الضأن طفله بدلا من الضأن •
 « وعسى ان يرمي الفقراء ابناءهم في الماء
 « وعسى ان تتمدد البغي المومس عند باب أخيها
 « يا اكادة عسى ان تفارق اقوياءك قونهم فيحل بهم الوهن
 « وان يهلك القحط والجوع اهلك
 « وان تسرح في خرائبك الثعالب وبنات آوى وتنشق فيها الغربان
 والبوم
 « يا اكادة عسى أن يجري في انهارك الماء الاجاج بدلا من مائك
 العذب الصافي » •

وهكذا تحققت لعنة الآلهة على أكادة فعمها الدمار والخراب • ومما
 يجدر التنويه به ان نبوءة هذه القصيدة تصور لنا حفيظة تاريخية بالنسبة الى
 مصير « اكد » من بعد سقوط السلالة الاكدية ، بحيث انقطع اى ذكر
 للمدينة في الالوف الكثيرة من النصوص والوثائق المتنوعة التي وصلت الينا
 من عهد سلالة اور الثالثة •

نصوص أدبية عن أساطير عالم ما بعد الموت

ملحة عن عقائد القوم في عالم ما بعد الموت :

لعله من المستحسن ان نمهد لما سنعرضه من نصوص ادبية عن الاساطير المتعلقة بعالم الارواح او عالم ما بعد الموت او كما يسميه الباحثون الغربيون العالم الاسفل ، بايجاز معتقدات القوم في هذا العالم ، وهي مستقاة من الاساطير والنصوص الادبية والدينية المختلفة ومن اساليب الدفن والشعائر والطقوس المتعلقة بالموت والاموات ، بحيث يستطيع الدارس لها ان يستخلص الملامح العامة لتصورات القوم عن ذلك العالم ، مما سنوجزه في الفقرات التالية :

من البديهيات التي ادركوها فسلموا بها حتمية الموت على الانسان واستحالة نيله الخلود ، فكانت هذه البديهية الخلقية موضوعا رئيسا لطائفة من اساطيرهم وآدابهم وفي مقدمتها ملحمة جلجامش الشهيرة^(٥) ، فقد جعل الآلهة الموت من طبيعة الانسان حيث قدرته عليه منذ الخليفة واستأثرت هي بالحياة الخالدة (كما جاء في ملحمة جلجامش) ، وان الموت واله الموت كان موجودا قبل خلق الانسان ومجيء الآلهة الى الوجود ، وقد اطلقوا على اله الموت عدة أسماء منها الصفة السومرية « اوكا » (Ugga) (اي الموت) وكان الموت ناموس الكون والحياة العام ، وبلغت حتميته درجة بحيث

(٥) انظر ملخص الملحمة في هذه الدراسة وترجمتها والتعليقات الوافية عنها في نشرة المؤلف وطبعاتها الثلاث من جانب وزارة الاعلام ، ١٩٦٢ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٥ .

انه حتى بعض الآلهة الذين من ميزاتهم الرئيسة الخلود ، لم يسلم من الموت عن طريق العنف اى القتل مثل الآلهة القديمة في اسطورة الخليقة البابلية التي سبق ان اخصصناها ، ومتسل الاله « كوكال آنا » (Gugal-anna) زوج « ايريشكيغال » ، الهة العالم الاسفل قبل أن يتزوج بها « نرجال » ، وآلهة اخرى ورد ذكرهم في بعض النصوص المتعلقة باصل الآلهة (*) التي عرضناها ، والاله تموز الذي يبقى في عالم ما بعد الموت نصف عام ، وكان اعتقاد الباحثين سابقا انه يظل في ذلك العالم الى الابد ، وبعض الآلهة الاخرى التي تؤسر في العالم الاسفل فترات أيام قليلة ولاسيما أبان عيد رأس السنة البابلي مثل الاله « مردوخ » . ولا يعرف احد من البشر نال الخلود الا فرد واحد كان هو الاستثناء الوحيد عن ناموس تعذر الخلود على البشر ، ونعني بذلك بطل الطوفان البابلي « اوتو - بشتم » ، كما جاء في ملحمة جلجامش ، الذي اخفق في الحصول على الخلود بالرغم ان ثلثيه كانا من مادة الآلهة وثلثه الاخر من البشر .

على انهم لم يروا الموت على انه الفناء المطلق بل كان انفصالا ما بين الجسم والروح التي كانت ملازمة له في الحياة ، ولكنها عند الموت تتحول من شكل من الوجود الى شكل اخر حيث تذهب عند الدفن الى عالم خاص بالارواح الذي سنورد خلاصة معتقداتهم فيه ، وانها تبقى سجيئة في ذلك العالم لا تقوم منه الى الابد حيث لا قيامة ولا بعث . وان حالة وجودها في هذا العالم من الراحة أو الشقاء والبؤس تتوقف على الدفن واتباع الشعائر المقررة عندهم وتقديم القرابين من جانب الاحياء . ويعني هذا ان الانفصال بين الروح والجسد لم يكن مطلقا بل ان راحة الروح في عالمها الجديد تتوقف كما قلنا على العناية بالجسم في القبر ، والا فان الارواح لا تجد الاستقرار في العالم الاسفل ، بل انها تخرج هائمة وتسبب الاذى والضرر

(*) انظر الاسطورة في ص ٩٢ وما بعدها .

للأحياء ، وقد دعوا مثل هذه الأرواح أو الأشباح « اطمو » (Etinamu) (وبالسومرية كدم (GIDIM)) ، ويكون خروج مثل هذه الأرواح من عالمها السفلى إما في حالة عدم الدفن أو نبشه وتعرض الجثة أو عدم تقديم القرابين إليها في القبر ، وقد طفحت أخبار حضارة وادي الرافدين بهذا الأمر ، فقد عمد بعض الملوك الآشوريين مثل آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق م) إلى بشش قبور الملوك العيلاميين ونقل رفاتهم إلى بلاد آشور لتخرج أرواحهم وتحدث الضرر والأذى بالأحياء من أهل عيلام .

وسيمر بنا مما سنعرضه من أساطير العالم الأسفل طرف من تصوراتهم لذلك العالم وقبل أن نوجز تلك الصورة القاتمة المخيفة التي تصوروها عنه نذكر هنا أن الفكرة العامة عن حالة الأرواح فيه انتقاء وجود القيامة والعقاب والثواب في عالم آخر ، فهم بذلك أشبه ما يكونون بالبرانيين واليونان في معتقداتهم بالعالم الآخر . على أنهم كانوا يلطفون في بعض الأحيان من هذه الصورة القاتمة حيث جاء في بعض مآثرهم وأساطيرهم مثل اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش ، أن بعض الموتى ولاسيما من خلف المآثر الصالحة وذريرة من البنين ومن واضب أفرأؤه على تقديم القرابين له كانت روحه تنال بعض الراحة في ذلك العالم حيث تحصل على الطعام والشراب والراحة نوعاً ما . وخلاصة ما يمكن قوله أن عقائدهم في عالم ما بعد الموت ومصير الإنسان بعد الموت لم تكن واضحة الوضوح التام الذي تجده في بعض الأديان مثل الزرادشتية والمسيحية والإسلام حيث وجود دار للعقاب والثواب أي النار والجنة من المعتقدات الأساسية فيها .

أما ما يمكن استخلاصه عن عالم الأرواح من أساطيرهم ونصوصهم المختلفة فخلاصته أن عالم الأرواح أو العالم العالم الأسفل يقع تحت هذه الأرض وأنه يبعد ٣٦٠٠ ساعة مضاعفة ويبدو أنهم تصوروا مدخله في أقصى الغرب عند موضع مغرب الشمس ، وقد يكون له مداخل أخرى ثانوية

ومنها حفرة القبر ، وقد تخرج بعض الارواح من خلال ثقب او حفرة تؤدي اليه كما فعل شبح انكيدو • ويجتاز فيه الاله شمش عند الغروب فينيره في الليل ، ويحدد بداية ذلك العالم نهر محيط هو نهر العالم الاسفل الذي ورد اسمه بالسومرية بهيئة (I₇-lú-rú-gú) وبالاكديّة « خبر » (Hubur) • وبعد أن يوضع الميت في القبر تذهب روحه الى ذلك العالم ويتولى نقل الارواح من ذلك النهر ملاحه المسمى بالاكديّة « خمط - تبال » (ومعنى اسمه خذ على عجل) ، وهو مخلوق له اربعة رؤوس ووجهه مثل طير الصاعقة « زو » ، واخيرا من خلال بوابة ذلك العالم الى مفر الارواح ، ويقوم على حراسة الابواب كبير الحجاب المسمى « نيتي » (Neti) وبالاكديّة (Nedu) ، وهو أيضا وزير ملكة العالم الاسفل الذي كان من اسمائه « المدينة العظمى » (اوروكال) ، وهي مدينة مسورة بسبعة اسوار ولها سبع بوابات ، يحرسها عفاريت مخيفة ، ودعي ذلك العالم المخيف باسماء وصفات اخرى تذكر منها نعتة بارض اللاعودة » (بالسومرية كر - نو - كي (KUR-NU-GI) وبالاكديّة « ارضة لاتاري » ، وسمي ايضا الارض العظمى (بالسومرية كي - كال (KI-GAL)) ، « وصدر العالم » (ارات كيغال Irat-Kugal) ، وباسم « كر » (بالسومرية (KUR و « ارالو » (aralu. arali) و « كسوئي » (وهو اسم المدينة الشهيرة التي كانت مركز عبادة « نرجال » اله العالم الاسفل) ومن اسمائه بالسومرية (E-Dumuzi) وبالاكديّة بيت تموز وغيرها من النعوت والاسماء •

وتحكم هذا العالم ملكته الالهة « ابريشكيغال » ، الاخت الكبرى للالهة عشتار ، ويشاركها في مملكتها السفلية زوجها نرجال (انظر الاسطورة التي تروى صيرورته اله ذلك العالم) ، ويساعدهما في حكم هذا العالم وزراء وقضاة وخدم ، حيث « نمتار » (Namtar) وزير الالهة

« ايريشكجال » ، وحاجبها « نيتي » ، وبعض الآلهة التي ظلت رهينة ذلك ذلك العالم مثل الآلهة « كشتن أنا » اخت إلاله تموز ، الذي ظلت رهينة العالم بديلة عنه ، وهي تتولى وظيفة كاتبة العالم الاسفل وتلقب « بعله صيري » (Belit Seri) ومعها زوجها Ningizzida ، وصار جلجامش أحد قضاته كما عين الملك « اورنمو » مرشدا فيه ، وغير ذلك من الملوك والابطال والآلهة .

ونورد فيما يلي اشهر الاساطير والنصوص الادبية المتعلقة بالعالم الاسفل .

١ - اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش :

اللوحة الثاني عشر من مجموعة اللوح المعنونة « سلسلة جلجامش » التي اوردناها في موضع سابق من هذه الدراسة لا يمت بصلة في حوادثه الى موضوع الملحمة العام ، ولكن الجامعين القدماء ادمجوه في ملحمة جلجامش دمجا اصطناعيا ، ولعل الصلة أو المناسبة التي حملت الجامعين على هذا الدمج ناشئة من ان موضوع هذا اللوح يدور على وصف عالم ما بعد الموت او العالم الاسفل ، وان هذا الوصف جاء على لسان « انكيدو » صديق جلجامش بعد ان نزل الى ذلك العالم ، اذ ظهر شبيهه واخبر جلجامش بحال الموتى كما سيأتي .

ولعل أوضح دليل على كون اللوح الثاني عشر لا صلة له بموضوع الملحمة التي تنتهي بخاتمة اللوح الحادي عشر ان خاتمة الرواية انتهت باخفاق بطل الملحمة جلجامش في نيل الحياة الخالدة ، كما ان الاسطر الاخيرة من اللوح الحادي عشر تكاد تطابق الاسطر الاخيرة من مقدمة الرواية في اللوح الاول . وقد اظهرت التحريات الحديثة ان هذا اللوح

الثاني عشر في نصه البابلي الملحق بالملحمة ترجمة مطابقة لاصل سومري^(٦) ويتألف من قسمين، يتناول القسم الاول اسطورة تتعلق بجلجامش وشجرة اسمها شجرة الـ « خلبو » (Huluppu)^(*) ولم ترد ترجمة هذا القسم في البابلية في اللوح الثاني عشر . اما القسم الثاني فيروي اسطورة نزول « انكيدو » الى العالم الاسفل وظهور شبحه من بعد ذلك الى صديقه جلجامش وان هذا القسم هو الذي ترجم الى البابلية في اللوح الثاني عشر ولكن بما أن القسم الاول من النص السومري الذي لم يترجم في اللوح الثاني عشر ملازم لفهم القسم الثاني منه فيستحسن ان نورد خلاصة له ضمن ايجازنا للوح الثاني عشر :

تبدأ احداث اسطورة « جلجامش وشجرة الخلبو »^(**) من زمن الخليفة من بعد انفصال السماء عن الارض وخلق الانسان وتقسيم الكون بين الآلهة العظام واختصاص كل منهم بواجبات ومسؤوليات خاصة. فحدث في تلك الازمان ان شجرة « الخلبو » قد اقتلعتها الرياح الجنوبية وجرفها نهر الفرات حتى اوصلها التيار الى مدينة « اوروك » وصادف ان رأتها الالهة « انانا » (عشتار) حين كانت تمشي على ضفة النهر فأتشلتها وحملتها الى بستانها المقدسة في المدينة وتعهدها بالرعاية حتى نمت وازدهرت وقررت ان تصنع من خشبها بعض الاثاث ولا سيما سرير وكرسي لها . وان « انانا » لم تستطع ان تحقق ذلك لان ثعبانا اتخذ جزءها السفلى مأوى له ، كما ابتنى فيها طير الصاعقة « زو » عشا لصغاره ، واتخذت الشيطانة « ليلث »

(٦) حول هذا الموضوع انظر البحوث الآتية :

1. Gadd in RA. XXXI, (1931), 126 ff.
2. Kramer in JAOS, LXIV (1944), 7 ff.
3. ———, Gilgamesh and The Huluppu-Tree. (1938).
4. Speiser in ANET, (1969), 97 ff.

(*) انظر المصدر رقم ٣ من الهامش ٦ .

(**) لا تعلم ماهية شجرة الخلبو، ولعله يمكن مضاهاتها بشجرة =

وسطها مأوى لها(*) • فحزنت « انا » لما حل بشجرتها ، ولما ان سمع
جلجامش بمحنتها خف لنجدتها فبادر الى ذبح الثعبان وطرده طير الصاعقة
والجنية « ليلث » منها • ثم جمع بعض رجال اوروك وقطع الشجرة وسلمها
الى « انا » فصنعت منها السرير والكرسي ، كما صنعت من قسمها الاسفل
آلتين خاصتين لا تعلم ماهيتهما اسمهما « بكو » (Pukku) و « مكو »
(Mukku) في السومرية وقد ترجمهما بعض الباحثين بالطبل ومدق الطبل
واهدتهما الى جلجامش^(٧) ، ولكن حدث لسوء الحظ ان هاتين الآلتين
سقطتا في احد الايام في العالم الاسفل ولم يستطع جلجامش استعادتهما
وحزن وصار يندب خسارته لهما •

والى هنا ينتهي القسم الاول من النص السومري ، ولكن يبدأ اللوح
الثاني عشر من ملحمة جلجامش الذي قلنا انه ترجمة للقسم الثاني من هذا
النص السومري • ونورد ترجمة هذا اللوح كما يأتي (**):

يبدأ هذا اللوح بحزن جلجامش على فقدان تينك الآلتين ، فيتطوع
صديقه « انكيدو » لنجدته بان ينزل الى العالم الاسفل لاسترجاع الآلتين ،
فاخذ جلجامش يحاوره ويرشده الى ما ينبغي له ان يسلك عند نزوله الى
ذلك العالم :

« اذا اعتزمت النزول الى العالم الاسفل

« فساقل لك كلمة فاتبع كلمتي • سارشدك فسر وفق ارشادي :

« لا تكتس بالحلة الزاهية والاهب بوجهك الموتى لانك تبدو نزيلا

= الخلف ، وهي الصفصاف •

(*) قارن ما ورد في التوراة (سفر اشعيا ٣٤ : ١٤) والاحبار العربية

عن اتخاذ الشياطين بعض الاشجار مأوى ومساكن لها •

(٧) انظر :

A. Heidel, The Gilgamesh Epic.

(**) انظر ترجمة المؤلف للملحمة (الطبعة الثانية ١٩٧١ ص ١٤٩

فما بعد والطبعة الثالثة ١٩٧٥) •

غريباً عنهم •

« لا تمسح جسديك بالزيت الفاخر لئلا يجتمعوا حولك بسبب عطره

» لا ترم عصا في العالم الاسفل مخافة ان تصيب بعضهم فيحيطوا بك

» لا تتعل نعلا ولا تحدث صوتا في العالم الاسفل

» واذا وجدت الزوجة التي تحب فلا تقبلها

» واذا صادفت الزوجة التي تبغض فلا تضربها

» ولا تقبل الابن الذي تحب ولا تضرب الابن الذي تكره

» والا فان صراخ العالم الاسفل سيتمكن منك •

ولكن انكيدو لم يلتزم بنصح صديقه جلعامش بل انه سار على

عكس وصاياه ، فلبس الحلة الفاخرة ومسح جسده بالزيت الطيب فتجمع

حوله سكان العالم الاسفل وقذف بالعصا فاحاط به من اصابهم واتعمل

الخف بقدميه واحداث صوتا وقبل المرأة التي أحب وضرب المرأة التي كره

وقبل الابن الذي أحب وضرب الابن الذي ابغض ، فغلبه صراخ العالم

الاسفل ، كما ان ملكة هذا العالم قررت الا يخرج انكيدو منه لان من

سنن ذلك العالم ان من دخله لا يرجع منه (*) ، فصار جلعامش يندبه ويبكيه

وقصد معبد الاله « انليل » في نفر وتضرع الى هذا الاله ان يعيد اليه صديقه

الذي امسك به العالم الاسفل ، ولما لم يسعفه « انليل » ذهب الى مدينة

« أور » الى معبد الهها « سين » وشكا اليه حاله والتمس منه العون ، فلم

يستجب اليه هذا الاله ، وعندئذ التجأ الى معبد الاله « ايا » (اي - ايسو)

في اريدو (ابو شهرين الان) ، وكرر الاستغاثة ان يسمح له العالم الاسفل

« نرجال » ان يحدث فتحة صغيرة من ذلك العالم حتى تخرج منها روح

انكيدو فتخبره عن احوال ذلك العالم . فاستجاب له الاله نرجال وخرجت

(*) ولذلك اطلقوا على عالم ما بعد الموت « ارض اللاعمودة » ، وفي

اللغة السومرية « كور - نو - كي » (KUR-NU-GI) وباللغة البابلية

ارصة لاتاري •

روح « انكبدو » او شبحه كانها الريح فتعانق الصديقان واخذ جلعامش
يسأل شبح صديقه قائلاً :

« اخبرني يا صديقي عن احوال العالم الاسفل الذي رأيت •
فاجابه صديقه : لن اقص عليك اخبار العالم الاسفل يا صديقي ،
واذا كان لا بد من اخبارك فعليك ان تجلس وتبكي •
فاجابه جلعامش : ساجلس وابكي » •
واخذ شبح انكيدو ينقل اليه الصور القاتمة المخيفة التي شاهدها في
العالم الاسفل :

« ان جسمي الذي كنت تلمسه يوم كانت الافراح تغمر قلبك يلتهمه
الدود الان واضحي كأنه اللباس الخلق
« فصرخ جلعامش : يا ويلتاه وتمرغ في التراب واستمر يخاطب
شبح انكيدو :

« هل رأيت الذي مات فجأة ؟
« اجل لقد رأيت ، انه يرقد على سرير النوم ويشرب الماء الصافي •
« هل رأيت التي قتل في المعركة ؟
« اجل! رأيت • ان امه واباه يرفعان رأسه وتبكي عليه زوجه •
« وهل شاهدت الذي رميت جثته في البرية (بدون دفن) ؟
« اجل شاهدت ، وان روحه لا تجد الاستقرار والراحة في عالم
الأموات •

« وهل رأيت الذي لا يعني بروحه احد ؟
« اجل لقد رأيت • انه يشرب من الحثالة ويأكل كبر الخبز من

• فضلات المدينة •

- « هل رأيت الذي لم يخلف ولدا ؟
« اجل رأيت و (طعامه التراب)
« هل رأيت الذي خلف وراءه ابنا واحدا ؟
« اجل رأيت وهو ممدد بحذاء الجدار يبكي
« هل رأيت الذي خلف ابنين ؟
« اجل رأيت ، وهو فرح القلب ويأكل الخبز
« هل رأيت الذي خلف ثلاثة ابناء ؟
« نعم رأيت وهو يسقي الماء من قرب ماء العمق
« وهل رأيت الذي خلف اربعة ابناء ؟
« اجل رأيت وهو فرح القلب ، يضطجع في بناء من الاجر
« وهل رأيت الذي خلف خمسة ابناء ؟
« نعم رأيت وهو كالكاظم الطيب ويده مبسوطة ويسمح له بدخول
القصر •

ثم يسأله عن الذي خلف ستة وسبعة وثمانية ابناء ولكن النص ينحرم
فلا تعرف حالهم في عالم ما بعد الموت •
وينتهي اللوح بالتذييل الاتي : « اللوح الثاني عشر من سلسلة » هو
الذي رأى كل شيء ، من مجموعة جلعامش وقد تمت •
٢ - حلم أمير آشوري عن عالم ما بعد الموت :

النص الادبي الثاني الذي يتعلق موضوعه بتصور العراقيين الاقدمين
لعالم ما بعد الموت مدون في رقيم طين وجد في مدينة « آشور » (قلعة
الشرقاط الان) ويرقى زمنه الى منتصف القرن السابع ق.م ، وهو نشر

أدبي أو شعري^(٨) وخلاصته ان اميرا آشوريا اسمه « كوما » ، وهو اسم يرجح أن يكون مستعاراً ، استبدت الرغبة به أن يقف على احوال عالم ما بعد الموت الذي يحكمه اله الموت « نرجال » وزوجته « ايريشكيكال » (Erishkigal) ، وصار يدعو الى الآلهة ان يحققوا امنيته • فتم له ذلك عن طريق رؤيا جاء وصفها في قفا لوح الطين الخاص بهذا النص ، نوجزه فيما يأتي :

كان أول ما شاهدته الامير « كوما » وزير العالم الاسفل المسمى « نمتار » (Namtar) الذي يعني اسمه باللغة السومرية « مقدر الاقدار » وكان يقف قدامه رجل يمسك بيده اليسرى شعر رأسه ، وباليمنى يمسك سيفاً ، ورأى كذلك « نمتارتو » ، زوجة « نمتار » أو سريته التي رأسها رأس ال « كريبو »^(*) ، ولكن يديها ورجليها يدا انسان ورجلا انسان ، كما شاهد اله الموت الذي له رأس ثعبان ويداه يدا انسان وقدماء ••• (النص مخروم هنا) ورأى شياطين وآلهة متنوعة معظمها ذات أجسام مركبة ، منها ما له خمسة رؤوس ، احدها رأس أسد والباقى رؤوس بشر مثل الاله أو الشيطان « الموكل بالشر » (وبالبابية موكل - ريش - ليموتي mukil-resh-lemuti) وله رأس وجناحا طائر والملاك الملاح المناط به تعبير الموتى من نهر العالم الاسفل ، وقد عرف هذا الملاح باسم « خمط - نبال » (Humut Tabal) الذي يعني بالبابية « خذ على عجل »^(**) ورأسه رأس الطائر « زو » ، وله اربع ايد واربع

(٨) انظر :

1. Ebeling, Tod und Leben, (1931), No. 1.

(*) « كريبو » (Kuribu) من الشياطين وقد صور في المنحوتات بجسم مركب على هيئة « أبي الهول » (Sphinx) •

(**) ويضاهي معبر الموتى « شارون » أو « خارون » (Charon) في الاساطير اليونانية •

ارجل *** وشيطان آخر من شياطين الشر ورد اسمه بهيئة « اتوكو »
 (utukku) وله رأس أسد ويدها ورجلاه مثل الطائر « زو » ، و « شلاك »
 (Shulak) على هيئة اسد يقف على قائمتيه الخلفيتين ، و « ماميتو »
 (Mamitu) لها رأس عنزة ويدها وقدمها انسان ، وحارس بوابة العالم
 الاسفل « نيدو » (Nedu) له رأس أسد ويدها انسان ورجلا طائر . وهكذا
 تستمر الاسطورة في تعداد الشياطين والمخلوقات الغريبة الاخرى ، وهي
 كذلك ذات اجسام مركبة ، من بينها مخلوق على هيئة رجل اسود كالقير
 ووجهه وجه الطائر « زو » ويرتدى جبة حمراء ويده اليسرى فوس
 وباليمين سيف مشهر ويضع قدمه اليسرى على ثعبان . أما اله العالم الاسفل
 ومملكه « نرجال » فقد رآه الامير وهو جالس على عرشه الملكي وعلى رأسه
 تاج الملوكية ويمسك في كلتا يديه بـ « دبوسين » ضخمين انبعث منهما برق
 وهاج حين رماهما ، ويقف على يمينه ويساره آلهة ال « انوناكي » وهم
 منحور الرؤوس . وقد أمسك بالامير من ضفائره وجره اليه ، وما كاد
 ينظر اليه حتى طغى عليه مجده وسناه المرعبان فارتجف خوفاً وسجد له
 وقبل قدميه ، ولما نهض نظر اليه وصرخ بصوت يبعث الرعب والهلاك ،
 وقرب منه دبوسه ليقضي عليه ، ولكن مستشاره « اشوم » (Ishum)
 تنفع له بان يبقيه حيا لسمع منه الاحياء عن مجده ومجد العالم الاسفل .
 وبعد الوعيد والتهديد سمح للامير بالخروج من ذلك العالم ، حيث قاده
 جلاده من البوابة المسماة « عشتار - آي » ، والزمه الا ينساه في عبادته
 وتمجيده . وعندها استيقظ الامير وه وأشد حالات الهلع والرعب وهام
 على وجهه باكيا ناديا : « يا ويلي ! يا ويلي ! » . ولم ينقطع عن الصلوة
 والترتيل بين رعايا « آشور » وهو يمجّد الاله « نرجال » وزوجه الالهة

• « ايريشكيكال » •

٣ - اسطورة « نرجال » و « ايريشكيكال » :

الاسطورة الثالثة التي تدور على وصف عالم ما بعد الموت تروى كيف صار الاله « نرجال » ملكا والها على ذلك العالم وزوجا للملكة والهة « ايريشكيكال » •

وتنحصر معرفتنا بهذه الاسطورة فيما جاء اليها مدونا على كسرتين من لوحين طينيين عشر عليهما في مصر ، في الموضع المسمى « تل العمارنة » (عاصمة الفرعون اخاتون في مصر الوسطى) ، من العصر الذي يسمى في تأريخ وادي النيل بعصر العمارنة (القرن الرابع عشر ق.م) ، وقد سبق ان ذكرنا ان بعض النصوص الادبية الاخرى من حضارة وادي الرافدين عنر عليهما في مصر ، حيث يرجع كثيرا ان مدرسة خاصة انشئت هناك لتعلم الكتابة المصريين مبادئ الكتابة السومارية بلغتها البابلية ، يوم اصبح الخط السوماري واللغة البابلية لغة الدبلوماسية والمراسلات الدولية في اقطار الشرق الادنى والاقاليم المجاورة • ووجد من الاسطورة كسر من الواح من العصر الاشوري الاخير (القرن السابع ق.م)^(٩) •

ملخص الاسطورة :

وخلاصة هذه الاسطورة ان الآلهة هيأوا في احد الايام وليمة كبرى فارسلوا رسولا الى اختهم « ايريشكيكال » ، الهة العالم الاسفل ، واوصوه ان يقول لها : « لما كنا لا نستطيع ان ننزل اليك وانت لا تستطيعين ان تصعدي

(٩) عن نص الاسطورة السوماري وترجماتها راجع :

1. E. A. W. Budge, The Tell El-Amarna Tablets in the British Museum (1892), No. 82.
2. Knudtzon, Die El-Amarna Tafeln (1915), 969 ff.
3. A. Heidel, The Gilgamesh Epic, 129 ff.
4. Speiser in ANET, (1969), 103-104.

الينا(*) فابعثي الينا من يحمل اليك حصتك من الوليمة » ، فبعثت « ايريشكيكال » وزيرها المسمى « نمتار » (Namtar) وصعد هذا الى السماء العالية الى حيث اجتمع الآلهة العظام في وليمتهم ، فرحبوا به ونهضوا اجلالا له وتكريما لاختهم ولكن الاله « نرجال » لم يفعل ذلك . فعاد الرسول الى ملكته وقص عليها هذا الحدث ، وعندئذ بعثت به مرة اخرى الى مجمع الآلهة ليحضر اليها ذلك الاله الذي لم يقم اجلالا لمقام رسولها لكي تودعه في عالم الاموات . وبعد انخرام جملة سطور في النص نجد الآلهة يكرهون « نرجال » على الرضوخ الى طلب « ايريشكيكال » فيأخذ به رسولها الى عالم ما بعد الموت ، وبعد ان اجتاز ابوابه السبعة ووصل الى قصر « ايريشكيكال » حدث ما لم يكن متوقعا ، اذ ان « نرجال » بدلا من ان يعتذر لها ويستعطفها هجم عليها وامسك بها من شعرها وانزلها من عرشها وجرها على الارض وهم بان يقطع رأسها ، فتخاذلت « ايريشكيكال » واستعطفتها قائلة : « لا تقتلني يا أخي ، ودعني أقول لك كلمة : كن زوجي واكون زوجك ، وساجعلك ملكا على مملكة العالم الاسفل الواسعة » . وهنا لان « نرجال » وتبدل غضبه الى هيام بها فقبلها وجفف دموعها ، وهكذا صار زوجها وحكم معها ملكا والها في عالم ما بعد الموت .

٣ - نزول عشتار الى العالم الاسفل واسطورة تموز في هذا العالم :

من الاساطير المهمة عن عالم ما بعد الموت بوجه خاص والمعتقدات الدينية بوجه عام نصوص ادبية تروى اسطورة نزول الالهة الشهيرة « انا » (عشتار) الى ذلك العالم الذي مر بنا ايجاز معتقداتهم فيه وتصورهم

(*) نعتقد ان ترجمة هذه العبارة بالشكل الذي اثبتناه والذي اوردته الاستاذ « كرايسون » (Grayson) في ANET, (1969), 507 ومعجم جامعة شيكاغو الآشوري (انظر تحت مادة aradu ص ٢١٦) اصح من ترجمة الاستاذ « سيايزر » : « اذا كنا نستطيع النزول اليك ولكنك لا تستطيعين الصعود الينا ... الخ » لان ذلك يخالف النص المسماري وعقائدهم في سنن العالم الاسفل .

له ، ومن ذلك ان اخت عشتار الكبرى « ايريشكيكال » هي ملكته ومعها زوجها الاله « نرجال » الذي ذكرنا اسطورة صيرورته زوجا لها وملكاً معها في ذلك العالم . وسيتضح من ايجاز هذه الاسطورة علاقة الالهة عشتار بزوجها الاله « تموز » (دموزي) الشهير . وقد اكتشف لهذه الاسطورة المهمة روايتان ، رواية سومرية ورواية بابلية . فالرواية السومرية ، وهي الاقدم واصل الرواية البابلية ، قد وجد لها عدة الواح اكتشفت في اثناء التنقيبات التي اجريت في مدينتي « نمر » و « أور » وترقى في زمنها الى اوائل ما سميناه بالعصر البابلي القديم (المنتصف الاول من الالف الثاني ق م) . أما الرواية البابلية فيرجح ان زمن وضعها يرقى الى نهاية الالف الثاني ق م وقد اكتشفت نصوصها في مدينة آشور (قلعة الشرقاط) ، ووجد نسخ لها في مكتبة الملك آشور بانينال (القرن السابع ق م) ، وسيتبين من الموجز الذي سنورده عن هاتين الروايتين مبلغ المضاهاة والشبه في النصين البابلي والسومري . على ان الرواية السومرية تتميز عن الاشورية بانها اطول واكثر تفصيلاً ، كما ان الروايتين تختلفان الواحدة عن الاخرى في خاتمة الاسطورة التي أعقبت نزول عشتار الى عالم الاموات . فحين تكتفي الرواية الآشورية في هذه الخاتمة بموافقة الهة العالم الاسفل « ايريشكيكال » على اخلاء سبيل اختها « عشتار » من قبضة ذاك العالم مقابل وضع بديل عنها فيه بموجب قانون ذلك العالم بأن من دخله ، آلهة أو بشر ، لا يخرج منه الا مقابل وضع بديل عنه يحتج فيه . نقول حين تكتفي الرواية الآشورية بهذه الخاتمة فان في خاتمة الرواية السومرية تفصيلات أخرى عن خروج الآلهة عشتار من ذلك العالم وصلة الاله « تموز » بهذا الحدث .

لم يزل الباحث الذي حدا بالالهة عشتار الى النزول الى العالم الاسفل

غامضا غير واضح ، وقد قيلت في ذلك جملة آراء منها الرأي الذي درج عليه قدماء الباحثين بان عشتار ذهبت الى ذلك العالم من اجل استعادة زوجها « تموز » من اسر عالم الموت ، ولكن لا يوجد ما يؤيد هذا الرأي فيما وصل الينا من نصوص مسمارية ومنها هذه الاسطورة موضوع بحثنا بروايتها السومرية والآشورية ، فليس فيهما ما يشير الى ان « تموز » كان موجودا في ذلك العالم قبل نزول عشتار اليه ، لكي تسترجعه منه . وفوق هذا سنجد في الرواية السومرية عن الاسطورة ما يشير الى تقيض ذلك فان « انا » (عشتار) نفسها كانت السبب في حبس تموز في ذلك العالم وانها هي التي قدمته بديلا عنها مقابل قيامتها منه . وارتأى باحثون آخرون احتمال ان الباعث الذي من اجله نزلت عشتار الى عالم ما بعد الموت انما كان لاطلاق ارواح الموتى فيه ، وستررد بعض الاشارات في النص الآشوري الى هذا الغرض وهو غرض لا يعلم تفسيره كذلك . على ان الرواية السومرية تتضمن اشارة قد توضح الغرض من نزول عشتار (انا) ، ففي الاسطر ٧٥-٨٨ من نص هذه الاسطورة تجيب هذه الآلهة بواب العالم الاسفل بعد استجوابه لها عن سبب نزولها انها جاءت من اجل الاشتراك في شعائر ادفن الخاصة بزواج الآلهة « ايريشكيكال » المسمى « كو - كال - أنا » (Gugalanna) والذي قتل(*) ، ولكن هذا المورد غامض بدوره ولا يوجد ما يوضحه في سياق الاسطورة ولا ينسجم مع الاحداث التي استتبع نزول عشتار وما لاقته من اختها « ايريشكيكال » من تعذيب وعزمها على ابقائها في ذلك العالم ولم تتحقق قيامتها من عالم الاموات الا من بعد تقديم

(*) يبدو ان هذا الزوج كان قبل مجيء نرجال الى العالم الاسفل وزواجه بالآلهة .

بديل عنها هو زوجها « تموز » كما المينا الى ذلك .
وبعد هذه المقدمة التوضيحية نقدم موجزا وافيا عن كل من الروايتين
السومرية والآشورية عن نزول عشتار الى عالم ما بعد الموت مبتدئين بالرواية
السومرية التي قلنا انها هي الاصل والاقدم .

١ - الرواية السومرية :

خلاصة الرواية السومرية^(١٠) عن اسطورة نزول الالهة « انا »
(عشتار) الى العالم الاسفل ان « انا » ، ملكة السماء صممت ، وهي
مدفوعة ببواعث غير معروفة ، الى النزول الى ذلك العالم :

« من السموات العلى الى الارض السفلى

« صممت « انا » على النزول الى العالم الاسفل

« هجرت « انا » السماء وتركنا الارض وهبطت الى العالم الاسفل

(ارض اللاعودة)

« تخلت عن الآلهة ، ونبتت السيادة ونزلت الى العالم الاسفل

« هجرت « اى - انا »^(*) في أوروك واتحدت الى العالم الاسفل

« وهجرت في « باد - تيرا » « اى - مش - كلاما »^(**) ونزلت

(١٠) جاء نص الرواية السومرية في نحو ثلاثة عشر لوحا وكسر من
الواح وجد معظمها في اثناء التنقيبات القديمة في مدينة « نقر » (اواخر
القرن التاسع عشر) ، وهي موزعة ما بين متحف الشرق في استانبول
ومتحف جامعة فيلادلفيا في امريكا . وقد سبق ان ذكرنا ان زمن تدوينها
يرقى الى النصف الاول من الالف الثاني قم . اما زمن تأليفها فلا يعلم
على وجه التأكيد . ويرجع الفضل في جمع نصوصها الى الاستاذ « كرامر »
ونحيل القارئ الى آخر ترجمة ودراسة عنها في المرجع الآتي وفيه الاشارات
الى الدراسات السابقة :

Kramer in ANET, (1969), 52 ff.

(*) « اى - انا » (E-Anna) اسم معبد عشتار وآنوز في الوركاء .

(**) معبد « اى - مش - كلاما » (E-mush-kalam-ma) اسم معبد

الالهة « انا » والاله « دموزى » في مدينة « باد - تيرا » التي عين موضعها

الآن في التلول المسماة « المدينة » في منطقة لجش . انظر :

Crawford in IRAQ, XXII, 197 ff.

الى العالم الاسفل

« وهجرت معبد « كي - كونا » (Giguna) في « زبلام » (*)
ونزلت الى العالم الاسفل

ثم يعدد النص معابد الالهة الاخرى التي هجرتها الالهة مثل معبدها
في « أدب » ومعبدها المسمى « اى - شرا » (E-Sharra) ، وفي مدينة
نفر حيث المعبد المخصص لعبادتها واسمعه « برساك كلاما »
(Bursagkalamma) وفي مدينة « أكادة » (أكد) حيث معبدها المسمى
(اى - اولماش) (Eulmash) وقبل ان تهبط الى عالم الارواح تزودت
بالنواميس الالهية السبعة (**) وازينت بأجمل حلالها وجواهرها الخاصة
بأعضاء جسمها واستعدت للتزول الى « أرض اللاعودة » • وخشية ان
تجسها أختها « ايريشكيكال » في مملكتها فلا تقوم منها الى عالم الاحياء ،
أوصت رسولها الامين « نيشوبر » (Ninshubur) بانها ان لم تصعد من
ذلك العالم في مدى ثلاثة أيام عليه أن يلبس ثياب الحداد ويخف الى نجدها
عن طريق توسط الالهة العظام ، وفي مقدمتهم الاله « انليل » في نفر فيذهب
للاستغاثة به :

« انتحب امام انليل وقل له ، ايها الرب لا تدع ابتك يقضى عليها
بالموت في العالم الاسفل » • واذا لم يستجب « انليل » الى استغاثته عليه ان
يقصد الاله القمر « نانا » (نار او سين) في مدينة « أور » ويكرر طلب
النجدة فاذا لم يهب لنجدها عليه ان يذهب الى « اريدو » ويكرر الاستغاثة

(*) « زبلام » (Zabalam) احدى المدن الشهيرة في جنوبي العراق
وتعرف بقاياها الآن باسم تل بزيخ ، في منطقة لجش •
(**) مر بنا ذكر مصطلح النواميس الالهية (في الاسومرية مي ME
وفي الاكدية « برصو » (فرض) التي يسير بموجبها نظام الكون (راجع
الاسطورة الخاصة بسرقة الالهة « انانا » هذه النواميس من اله اريسو
« انكي » ونقلها الى مدينتها الوركاء) •

بآلهها « انكي » (ايا) الذي لاشك في انه سيستجيب للاغائة ، وهو الحكيم العارف بسر طعام الحياة وشراب الحياة * .

وعندما اقتربت « انا » من قصر اختها في العالم الاسفل المشيد من حجر اللازورد ، وعند مدخل ذلك العالم لاحقها حاجبه المسمى « نيني » (Neti) فصرخت به ان يفتح لها الباب ، ولما سألها عن تكون وعسلام نزلت الى العالم الاسفل ، اجابته بانها « انا » ، من الموضع الذي تشرق منه الشمس ، وانها حضرت لتشارك في دفن زوج أختها المسمى « كوكال أنا » ، فاجابها ان تنتظر ريشما يبلغ ملكته « ايريشكيكال » بالامر ، ولما بلغ الخبر هذه الالهة أمرت رسولها أن يقود « انا » من أبواب العالم الاسفل السبعة ويجردها من ملابسها وحلاها الكثيرة عند اجتيازها من كل بوابة من أبوابه التي وردت اسمائها في الاسطورة ، وهكذا قادها من بعد اجتيازها الباب السابع عارية امام اختها « ايريشكيكال » التي كانت تجلس على عرشها ، وفي حضرتها قضاة العالم الاسفل السبعة من آلهة الانوناكي * فأصدر هؤلاء القضاة حكمهم على « أنا » بالموت بأن صوبوا عليها نظرات الموت ، وبكلمتهم التي تزهق الارواح استحالت « انا » جثة هامدة فعلمت من عمود * وبعد مضي ثلاثة أيام ، وهو الاجل الذي حددته « انا » لرسولها « نيشوبر » ولما لم تقم هذه الالهة من العالم الاسفل خف رسولها لتنفيذ امرها وقصد الالهة الثلاثة وهو لابس ثياب الحداد واستغاث بهم ، وفد وقع ما تنبأت به « انا » من تقاعس الالهين « انليل » و « نانا » عن نجدتها ، ولكن الاله « انكي » استجاب لاستغاثة رسولها ودبر خطة لانقاذها : خلق مخلوقين لا جنس لهما اسمهما « كركرو » (Kurgarru) و « كلاترو » (Kalaturru) وزودهما بطعام الحياة وماء الحياة ، وبعث بهما الى العالم الاسفل لينثرا هذين الاكسيرين عدة مرات على جثة « انا » المعلقة ، وارشداهما بأمر أخرى لا تعرف ماهيتها لانخرام النص * ففعلا

ذلك وعادت « انا » الى الحياة ، وقادها حارس العالم الاسفل من ابوابه السبعة وكان يعيد اليها حلاها التي سلبها منها ، وقامت « انا » من عالم الاموات ، ولكن تبعها جمع من شياطين ذلك العالم وهي تتجول من مدينة الى اخرى •

أخذ تموز الى العالم الاسفل :

ومع ان نص الاسطورة المنشور لم يذكر الغرض من ملاحقة اولئك الشياطين لانا ، فانه وجدت اضافات تعود الى الاسطورة وهي مدونة في لوح يحتوى على نحو ٩١ سطرا وهو موجود ضمن مجموعات جامعة « ييل » الامريكية^(١١) ، وفيها ايضا حات مهمة عن فحوى الاسطورة وخاتمها ، من ذلك ان سبب ملاحقة الشياطين لانا كان من اجل ان تسلمهم بديلا عنها ليحل محلها في العالم الاسفل • فكان اول من لاقى عند صعودها من ذلك العالم رسولها « نشوبر » الذى حالما رآها تمرغ في التراب وهو يلبس ثياب الحداد • فلما هم اولئك الشياطين أن يقبضوا عليه ويأخذوه على انه البديل المبحوث عنه تدخلت « انا » وحالت دون ذلك • ثم قصدت الالهة ومعهما جمع الشياطين الى مدينة « اوما » وهنا رمى الهما المسمى « شارا » بنفسه أمامها على الارض وتمرغ في التراب في ثياب الحداد ، فحالت انا دون اخذ الشياطين له بديلا عنها ، وقصد الجمع من بعد « اوما » الى مدينة « باد - تيرا » الى معبد الهما « لتراك » (Latarak) الذى اظهر عند رؤيته « انا » الحزن كما فعل الالهان الاولان ، فحالت كذلك دون اخذ الشياطين له بديلا عنها • واخيرا انتهى المطاف بانا ومعهما جمع الشياطين الى مدينة يكاد من المؤكد ان تكون مدينة « انا » نفسها اي « اوروك » حيث يرد في النص اسم معبدها « اى - انا » ، وهنا وجدوا الاله « تموز » ، زوج « انا » • وبدلا من أن يظهر الحزن كما فعل الآلهة

(١١) راجع دراسة الاستاذ « كرامر » في المرجع المرموز له ب : ANET, (1969), p. 52.

الآخرون كانت مظاهر الفرح بادية عليه ولم يكثر، بحضورها • فكان عقابه أن صوبت عليه نظرات الموت واسلمته الى شياطين العالم الاسفل ليأخذوه بديلا عنها الى ذلك العالم • وكان قبض الشياطين على تموز عنيقا اذ انهم اوثقوه بالحبال وانهالوا عليه ضربا بالسياط والفؤوس ولم يראفوا بصراخه واستعطافه ، فاستجار بالاله « شمش » (اوتو) وهو اخو « انا » زوجة تموز فحواله هذا بهيئة ثعبان ، وجعل روحه لطيفة الجوهر ، فاستطاع ان يفلت من الشياطين ولجأ الى اخته المسماة « كشتن - أنا » التي دعت من هيئته فبكت وصرخت وخبأته في حظيرة الماشية ، ولكن الشياطين لاحقوه الى بيت أخته واكرهوها على أن تبوح بموضع مخبئه ، فكررروا ضربه وتعذيبه واخذوه الى عالم الاموات •

وهنا تتوارد الى الذهن بعض التساؤلات المهمة عن قضية بقاء الاله « تموز » في عالم الاموات • فهل ظل رهينة الى الابد ؟ اي هل اختفى من عالم الاحياء وبقى في العالم الذي « لا رجعة منه » كما سماه العرافيون القدماء ؟ وكانت الاجابة على هذا السؤال الى عهد قريب موضع خلاف بين الباحثين ، فذهب البعض الى ان تموز يمكث في عالم الاموات بضعة ايام (ثلاثة الى ثلاثين يوما) ، ورأى البعض الاخر انه يظل ميتا الى الابد^(١٢) ولعل أصوب الآراء ما وصل اليه الباحث المشهور « فلكنشتاين »^(١٣) من فحصه للنصوص المختلفة ولاسيما ما نشره الاستاذ « كرامر » في عام ١٩٦٤ ومن بينها لوح يتضمن قفاه الخمسة عشر سطرا الاخيرة من اسطورة نزول « انا » الى العالم الاسفل وفيها نص واضح ان تموز يظل في عالم

(١٢) انظر :

Kramer in Mythologies of The Ancient World (1960), p. 10

(١٣) نشرت هذه الدراسة في :

Falkenstein in Bibliotheca Orientalis, XXII, (1965), 279 ff.

ما بعد الموت طوال نصف عام واخته « كشتن - أنا » النصف الثاني من العام بديلا عنه^(١٤) ، وهو رأي أصبح الآن مقبولا لدى جميع الباحثين تقريبا ، وهو ينسجم مع ما جاء إلينا من اشارات في اساطير أخرى عن الموضوع ، ومنها الحلم الذي رآه « تموز » أن اخته ، وهي مدفوعة بحبها له ، تبعته إلى العالم الأسفل وقدمت نفسها بديلا عنه في ذلك العالم . كما انه يتفق مع العقائد العامة عن اله الخصب (الذي يمثله الاله تموز) وضرورة قيامته إلى الحياة في مطلع الربيع لتعود بعودته حياة الخصب والخضرة إلى الطبيعة ، ومنها الاساطير الكنعانية واسطورة « ادونيس » المشهورة في المآثر اليونانية التي تشبه اسطورة تموز العراقية إلى درجة لا تدع مجالا للشك في انها مأخوذة منها^(*) .

(١٤) انظر النص في :

Kramer, Ur Excavations. Texts, VI part I, No. 10.

(*) نذكر بوجه خاص اسطورة الاله « بعل » والالهة « عانات » في الاساطير الكنعانية - الفينيقية انظر :

Kramer, (ed.), Mythologies of the Ancient World, (1961).

اما اسطورة « ادونيس » اليونانية واصل اسمه الكنعاني - الفينيقي « ادون » اي « الرب » ، والسيد فيمكن ايجازها بان زوجة ملك قبرص المسمى « كينراس » (Cinyras) كانت تتباهى بجمال ابنتها المسماة « سميرنا » (Smyrna) وانها تفوق في جمالها حتى الالهة « افروديت » (فينوس الرومانية والمضاهية لعشتار) فعمدت هذه الالهة إلى الانتقام لهذا التطاول ، فجعلت الابنة تتدله بحب ابيها فتسللت ليلا إلى مخدعه وكان ثملا فواقعها ، ولما اكتشف فعلته الشنيعة جرد سيفه لقتلها فهربت ولكنه لاحقها فادركها ولما اوشك ان يقضي عليها اسرعت افروديت فحولتها إلى شجرة المر ، ففلق السيف الشجرة إلى نصفين ، خرج من احدهما الطفل « ادونيس » فأخذته افروديت واخفته في صندوق سلمته إلى الهة العالم الأسفل « برسيفونه » (Persephone) ، ولما اكتشفت هذه الالهة الطفل مخبأ في الصندوق اسرها جماله فربته في قصرها ، ولما بلغ النبا « افروديت » هبطت إلى العالم الأسفل وطلبت من ملكته ان ترد الطفل إليها فرفضت ، وعند ذلك شكت افروديت إلى كبير الآلهة « زيوس » =

حلم الاله « تموز » عن قرب نهايته :

قبل ان نأني على ذكر النسخة الآشورية عن نزول عشتار الى عالم الارواح يجدر ان نضيف الى الرواية السومرية التي اوجزناها قصيدة سومرية ترجع في تأريخها الى مطلع الالف الثاني ق.م^(١٥) . تتضمن حلما رآه « دموزي » (تموز) بعد أن كثرت عليه الهواجس عن قرب نهايته ، فتملكه الحزن والاسى وهام على وجهه في البوادي باكيا مصيره ، ومناشدا المروج والاشجار ان تشاركه الحزن والبكاء . وبينما هو في تجواله جلس مرة يستريح فغلبه الكرى ورأى حلما محزنا فحلف الى اختسه « كشن - أنا » المتمرسه بتعبير الرؤى وقص رؤياه عليها وخلصتها : ان تموز رأى فيما يراه النائم ان سيقانا طويلا من القصب تحيط به ، وان قصبة منها كانت معزولة منحنية الرأس . وبينما كانت انصان القصب مجتمعة بعضها الى بعض على هيئة زوجين ابتعد احد الانصان عن زوجه الملاصق له . ورأى أشجارا سامقة وهي ذات هيئات مخيفة وشاهد صقرا أو نسرا يمسك حملا بمخالبه ، وابصر اناة وقد سقط من على وتد في حظيرة الماشية فتحطم على الارض ، وكانت ماشيته في وضع بائس تضع رؤوسها في التراب وقد نضبت البانها ، واختفت عصاه الذى يهش بها على غنمه ، وهاجت عاصفة على حظيرته فشتتها .

= فحكم بين الالهتين المتنازعتين في حب « ادونس » ان يكون نصيب كل منهما منه نصف عام ، وهكذا صار « ادونيس » مثل تموز يمكث في عالم الاموات نصف عام ، ويقوم الى عالم الاحياء في النصف الثانى ليكون من حصاة افروديت . انظر :

R. Graves, The Greek Myths, (Penguin), I, (1964), p. 69.

(١٥) انظر :

1. Kramer, The Sacred Marriage Rite (1960), 127 ff.
2. Th. Jacobsen, "The Myth of Inanna and Bilulu", in JNES, 12, (1957), 16 ff.

وبعد ان قص تموز رؤياه على اخته ادوكت ما ينطوى عليه حلمه من نذر الشر فواسته وعبرت عن رؤياه أن سيقان القصب التي شاهدها معناها ان اشرا را عتاة سيهاجمونه ، وان القصبة الوحيدة التي انحنت تعني أمه التي تحاول درء الشر عنه • وأما عن ابتعاد أحد ازواج القصب عن زوجه الآخر فقالت : « اننا الاثنان سيفترق أحدهما عن الآخر » • وحذرت « كشتن - أنا » في ختام تفسيرها ان الجنة هم شياطين مردة من شياطين العالم الاسفل الذين يطلق عليهم اسم « كلا » (Galla) • ثم تذكر القصيدة ان رؤيا تموز قد تحققت حين جاء اولئك الشياطين الى بيت أخت « تموز » وهددوها ان تدلهم على مخبأه ، حيث كان قد هرب الى خارج المدينة واختبأ في الغابات ولكن خوفه من أن اولئك الشياطين سيعذبون اخته بسية جعله يعود الى المدينة فأمسك به الشياطين واوثقوه رغم استغاثته بالاله « اوتو » ، أخي زوجته « انا » (عشتار) ، اذ حاول هذا انقاذه بان حوله مرة الى ظبي ونقل روحه الى بيت الآلهة العجوز « بيليلو » او « بيليلي » التي قدمت له الطعام والشراب ، ولكن الشياطين لاحقوه الى هنا ، فحوله الاله « اوتو » الى غزال مرة ثانية وهرب الى بيت اخته واختبأ في حظيرة الماشية ، حيث وجده الشياطين فانهالوا عليه بالضرب والطعن وامسكوا به وانزلوه الى العالم الاسفل •

الرواية الاشورية عن نزول عشتار الى العالم الاسفل :

بعد ان اجزنا الرواية السومرية عن نزول « انا » (عشتار) الى عالم ما بعد الموت نورد الان خلاصة الرواية الثانية عن هذه الاسطورة

أي الرواية الآشورية التي نوهنا بها^(١٦) ، وقلنا انها تستند الى الرواية السومرية ، ولكن توجد عدة اختلافات بين الروايتين • ولان الرواية الآشورية أوضح لغة وفيها وصف واضح لعالم ما بعد الموت كما تصوره القوم فيستحسن ان نورد ترجمة المواطن المهمة فيها على انها امثلة على هذا النوع من أدب العراق القديم •

« الى ارض « الالعودة »^(*) ، الى مملكة « ايريشكيكال »

« عقدت العزم عشتار ، ابنة الاله « سين »

« اجل ! عقدت العزم ابنة « سين » الى موطن الظلمة ، مسكن

« اركلا »^(*)

« الى البيت الذي لا يرجع منه من دخله

« الى الطريق الذي لا عودة منه

« الى البيت الذي حرم ساكنوه من النور

« حيث التراب والطين طعامهم وقوتهم

(١٦) جاءنا نص الرواية الاشورية في نسختين ، نسخة قديمة وجدت في مدينة « آشور » ترجع في تاريخها الى مطلع الالف الاول ق.م • وقد نشر نصها المسماري في KAR, No. I Pls. 1-4 ، والنسخة الثانية احدث عهدا وقد عثر عليها بين الواح مكتبة « آشور بانيبال » في نينوى (القرن السابع ق.م •) ونشر نصها المسماري ضمن مجموعة النصوص المسمارية في المتحف البريطاني :

CT, 15, pls. 45-48.

واشهر ترجمات لها في :

1. A. Heidel, The Gilgamesh Epic.

2. Speiser in ANET, (1969), 106 ff.

(*) مر بنا المصطلح الذي اطلقه العراقيون القدماء على عالم الاموات بانه « ارض الالعودة » او الارض التي لارجعة منها ، وباللغة السومرية « كور - نو - كي » (KUR-NU-GI) وبالبابلية « ارضة لاتاري » • و « اركلا » من اسماء ملكة العالم الاسفل « ايريشكيكال » •

(**) لا تعرف ماهية هذا النوع من القصب • ويستخدم الشاعر القديم في هذا البيت نوعا من الجناس اللفظي في الكلمتين البابليتين : « شبط » ، ومعناها مرضوض و « شفة » ومعناها شفة •

« ويقيمون في ظلام دامس فلا يرون نورا
« وهم مكسوون بأجنحة كالطيور بدلا من الثياب(*)
« لما وصلت عشتار الى باب « ارض الالعودة » قالت الى حارس الباب:

« افتح بابك يا حارس لكي ادخل منه
« واذا لم تفتح الباب فساحطمه واكسر المزلاج
« وسأقيم الاموات ، وسيأكلون كالأحياء(**)
« فيكون الموتى اكثر عددا من الأحياء
فاجاب حاجب الباب عشتار الجليلة :

« مهلا يا سيدتي لا تقلعي الباب
« ساسرع فاعلن اسمك الى الملكة « ايريشكيكال »
« فدخل البواب على « ايريشكيكال » وقال لها :
« ها هي اختك عشتار عند الباب »

« ولما سمعت « ايريشكيكال » ذلك سحب وجهها وصار كالطرقاء
المقطوعة ، واسودت شفتاه وصارت مثل قصبة ال « كينينو » المرضوضة
وقالت ما الذي حمل قلبها ان تأتي الي ؟ وما الذي قاد روحها الى هنا ؟
فياليت شعري هل سأشرب الماء مع الانوناكي ، وآكل الطين خبزا واشرب
عكر الماء جعة ؟

« وهل سيقع على أن اندب الرجال الذين تركوا زوجاتهم خلفهم ؟

(*) تصور ارواح الموتى بهيئة الطيور شاع في معتقدات أخرى مثل
حضارة وادي النيل ، راجع موجز ملحمة جلجامش .
(**) الترجمة الحرفية المجازية يأكلون الأحياء أي طعام الأحياء .

« وهل سأنوح على العناري اللاتي انتزعن من احضان احبائهن؟ »
« ثم قالت لحاجبها اذهب وافتح لها الباب
وعاملها وفق القواعد القديمة »

فتفتح الحاجب الباب لها وقال :

« ادخلي يا سيدتي ، وعسى أن ترحب بمقدمك كوئي »
« وعسى ان يفرح بحضورك قصر ارض « اللاعودة »

ولما ادخلها الحاجب من الباب الاول نزع عن رأسها تاجها العظيم
فقلت له : « علام يا بواب اخذت التاج العظيم من رأسي ؟

فاجابها : « ادخلي يا سيدتي ، ان هذه نواميس سيادة العالم الاسفل »
ولما دخلت من الباب الثاني انتزع قرطي اذنيها ، وهكذا صار يجردها
من حلاها التي زينت بها مختلف اعضائها عند اجنيازها من بقية ابواب
العالم الاسفل السبعة حتى اجتاز بها الباب السابع وهي مجردة عارية ،
وهمت بالهجوم على ملكة ذلك العالم اي اختها « ايريشكيكال » ولكن وزيرها
« نمتار » اسرع فامسك بها وسحبها • وسلط على عشتار ، بأمر من
« ايريشكيكال » ستين نوعا من الامراض والآلام ، فغلبها الموت •

وتستمر القصيدة في وصف ما حل بعالم الاحياء عند غياب عشتار وهي
الالهة الخاصة بالخصب والحب والزواج :

(*) فحوى قول ملكة العالم الاسفل انها احست ان قصد عشتار
من مجيئها الى ذلك العالم كان لاطلاق الموتى من ذلك العالم ، وبذلك تحرم
« ايريشكيكال » من الطعام والشراب اذ ستنقطع القرابين التي تقدم الى
الموتى وستضطرب الى اكل التراب وشرب الماء العكر وتندب الموتى • قارن
ذلك بما جاء في ملحمة جلجامش •

(**) كوئي من اسماء العالم الاسفل ، وهو اسم المدينة البابلية
الشهيرة « كوئي » (كوتو) ، مركز عبادة الاله نرجال (اله الموت واله
العالم الاسفل) وتعرف بقاياها الان باسم « تل ابراهيم » ، جنوبي بغداد
بنحو ٥٠ ميلا •

« من بعد ان هبطت السيدة عشتار الى العالم الاسفل

« لم ينز ثور على بقرة ، ولم يلحق الحمار الاثان

« ولم يلحق الرجل العذراء

« صار الرجل يضطجع في حجرته والمرأة في حجرتها » *

ويتضمن قفا اللوح ما قام به وزير عشتار المسمى « پاپسكال » (*)

حيث لبس ثياب الحداد وقصد الاله « سين » ثم الاله « ايا » ، وكرر عليه ما حل بعالم الاحياء من انقطاع الاتصال الجنسي بين الاحياء على أثر غياب عشتار في العالم الاسفل ، فدبر الاله « ايا » وسيلة لانقاذ عشتار بان خلق انسانا جميل الصورة اسمه « آسوشونامر » ، وهو خصي وامره ان ينزل الى العالم الاسفل ويمثل امام ملكته « ايريشكيكال » ، وحالما تنجذب الى جماله المفرط عليه ان يطلب منها ان تقسم « بقسم الآلهة العظيم » ، وهو القسم الذي يلزم صاحبه ان يعطي ما يطلب منه مهما كان ، ولما فعلت « ايريشكيكال » ذلك طلب منها « آسوشونامر » ان تعطيه قربة ماء الحياة ، ورغم ان الالهة أحست بالخدعة ولكنها وفت بقسمها فسلمته القربة ، فرش من مائها على جثة عشتار واعادها الى الحياة ، وخرجت من العالم الاسفل وكان يصحبها « نمتار » الذي ارجع اليها حلالها عند كل باب من ابواب ذلك العالم السبعة ، ولم يطلق سراحه الا بعد ان ضمن انها ستقدم بديلا عنها ليحل محلها في عالم الموتى •

وتنتهي الرواية الآشورية بنحو ١٢ سطرا غير واضحة المعنى ، اذ

انها لا تتسجم مع سياق احداث القصيدة ، فهي تدخل وبدون تمهيد سابق اسم الاله « تموز » في عبارات غير مفهومة وتخللها الخروم •

(*) في الرواية السومرية اسم وزير الالهة « انا » « ننشوبر » •

فهرست الاماكن والاعلام

— أ —

- أبا بشتي : ١٩٣
أبسو : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٢١ ، ٢١٨
ابن النديم (فهرست) : ١١٢
أبي - سين : ١٦ ، ٢٤ ، ١٦٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤
أبو الهول : ٢٣٠
أبيسمتي : ١٨٩
أبيفيلي : ١٩
أتراحاسس : ٥٤ ، ١٢٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩
أثينه : ٣ ، ٣٢
أجا ، أكا : ١٥ ، ٩٩ ، ١٢٦
الاخمينيوس (الفرس) : ١٨ ، ٤٦
اخناتون : ٢٣٢
الارشاقيون (الفرثيون) : ٨ ، ٢٥ ، ٤٦
أدايا : ١٣٥ ، ١٣٦
أدب : ٢٣٧
أدد (الاله) : ١٥ ، ١٢١ ، ١٧٩ ، ٢١٨
أدد - نيراري : ٢٦
آدم : ٨٩ ، ٩٠ ، ١٢٥
أدمن - دوگما : ١٢٧ ، ١٦٢
إدن - دگمان : ٩١ ، ١٩٧
ارات - كيچال : ٢٢٣
اراتا : ١٤٣ ، ١٤٤
اراراط : ١٢٢
أرالو ، أراي : ٢٢٣
الاربجية : ٢٢

- اورورا : ١٠٩
- اڤيدو : ٢٢ ، ٨٦ ، ٩١ ، ١٣٦ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧
- اوسطو : ١٣٤
- ارصة لاتاري (كورنومي) : ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤
- ارمينية : ١٢٢
- اريني (عشتار) : ١١٠
- الازتيك : ١٠
- آزوفرائي (الزعفران) : ١٤٠
- اسرائيل : ١٩٤
- اسرحلون : ٢٦ ، ٤٦
- الاسكندر (الكبير) : ١٨ ، ٢٥
- اسوشونامر : ٢٤٧
- السومريون : ٣٧
- اشخارا (الالهة) : ١٠٨ ، ١٩٣
- اشعيا (سفر) : ٢٢٦
- آشور : ٧٢ ، ٨٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤
- آشور (بلاد) : ١٦ ، ٢٤ ، ١٤٢ ، ٢٠١
- آشور بانيبال : ١٥ ، ١٧ ، ٢٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ١٧٠
- ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤
- آشور اوبالط : ٢٦
- آشور ناصربال : ٢٦
- اشنان (الالهة) : ٩١ ، ٢١٨
- اشنونا : ١٦ ، ٢٤
- الاشولي (النور) : ٢٠
- اشوم : ٢٣١

الاغريق (اليونان) : ١٠ ، ١٥
 افريقية : ١٩
 افروديت : ٢٤١
 الافستا (ابستاق) : ٣٤
 اكده ، اكاده : ١٤٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٧
 الاكديون : ٣٧ ، ٣٨
 اكيتو ، اكيتي (عيد) : ٧٢ ، ١٩١
 اكلام دوكة : ٢٣
 اكسي : ١٤٠
 الف ليلة وليلة : ٥٣ ، ١٨٦
 الالياذة : ٣٤ ، ٤٦
 امار - سين (بور - سين) : ٢٤ ، ١٩٨
 اماسيس : ١٨١
 اماكنسو : ٩٤
 الاموريون : ١٦ ، ٢١١
 امريكة : ١٠
 انام : ١٠٢
 انا (عشتار) : ١٥ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
 ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٦٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ،
 ١٧٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
 انتمينا : ١٩٠
 آنزو (انظر زو) :
 انشار (الاله) : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧
 انشان (بلاد) : ٢١٦
 آنكي (ايا) : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٣٨

انکیلو : ۵۹ ، ۹۹ ، ۱۰۵ ، ۱۰۶ ، ۱۰۷ ، ۱۰۹ ، ۱۱۰ ، ۱۱۳ ، ۱۱۴ ، ۱۱۷ ، ۱۹۶ ، ۲۲۴ ، ۲۲۵ ، ۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۲۸ ، ۲۳۷ -

الاناضول : ۹ ، ۴۰

انلیل : ۸۰ ، ۸۷ ، ۹۴ ، ۹۵ ، ۱۰۸ ، ۱۱۵ ، ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۲۳ ، ۱۲۹ ، ۱۳۰ ، ۱۳۳ ، ۱۳۹ ، ۱۴۳ ، ۱۶۱ ، ۱۶۴ ، ۱۷۵ ، ۱۷۷ ، ۱۸۴ ، ۲۰۲ ، ۲۰۵ ، ۲۱۲ ، ۲۱۴ ، ۲۱۶ ، ۲۱۷ ، ۲۲۷ ، ۲۳۷

انبیللو : ۹۱

آنو : ۴۸ ، ۷۵ ، ۷۸ ، ۸۴ ، ۱۰۵ ، ۱۰۶ ، ۱۱۲ ، ۱۱۵ ، ۱۲۰ ، ۱۳۳ ، ۱۳۶ ، ۱۳۷ ، ۱۴۸ ، ۱۹۵ ، ۱۹۶ ، ۲۰۲ ، ۲۰۴ ، ۲۱۴

آنو - بانینی : ۱۴۲

آنو ناکي (آلهة) : ۸ ، ۷۸ ، ۱۱۹ ، ۲۳۸

اودیپ : ۸۳

الاوديسة : ۳۴ ، ۴۶

اوتو کو : ۲۳۱

اوتو (شمش) : ۱۲۸ ، ۱۶۸ ، ۱۷۵ ، ۲۱۸

اوتو - نبشتم : ۱۵ ، ۱۱۶ ، ۱۱۸ ، ۱۱۹ ، ۱۲۰ ، ۱۲۴ ، ۱۳۵ ، ۱۷۴ ، ۲۲۱

اور : ۱۵ ، ۵۰ ، ۴۶ ، ۹۱ ، ۱۳۰ ، ۱۳۹ ، ۱۸۲ ، ۲۱۱ ، ۲۱۳ ، ۲۳۴ ، ۲۳۷

اوما : ۲۲۰

اوکو - دل - بی : ۱۸۳

اورغیشی : ۲۱

اوروک (الوركاء) : ۸۳ ، ۸۶ ، ۹۱ ، ۱۱۳ ، ۱۲۵ ،

اور - نمو : ۲۴ ، ۱۰۲

اور - نانشه : ۲۳

اورو - کمال : ۲۲۳

اوزوموآ : ۸۷

اورانوس : ۸۳ ، ۹۳

اوغاريت (رأس الشمر) : ۳۳

اولا (نهر) : ۱۱۴

اوليگرا : ۸۸

اوما : ۲۴ ، ۲۳۹

ايا (انكي) : ۷۴ ، ۷۶ ، ۷۷ ، ۸۴ ، ۸۷ ، ۸۸ ، ۹۰ ، ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۲۳ ، ۱۷۷ ، ۱۷۸ ، ۲۰۸ ، ۲۱۴ ، ۲۱۸ ، ۲۲۷ ، ۲۴۷

آي : ۱۰۹

ايبلنغ : ۱۳۵

اير ۱ : ۵۳ ، ۹۹ ، ۱۳۸ ، ۱۷۸

ايران : ۹ ، ۳۴

ايريشم : ۲۶

اي - آنا : ۸۶ ، ۱۴۴ ، ۱۹۵ ، ۲۳۶ ، ۲۳۹

اي - ايسو : ۷۴ ، ۸۶ ، ۲۲۷

اي - اولاش : ۲۱۷ ، ۲۳۷

اي - دبا : ۵۰

اي - زيدا : ۸۶

اي - ساگلا : ۸۰ ، ۸۶

اي - شرا : ۲۳۷

اي - مشركال : ۲۱۲ ، ۲۱۳

اي - مشنوكال : ۲۱۲ ، ۲۱۳

اي - كور : ۸۶ ، ۲۰۶ ، ۲۱۸

اي - مش - كلاما : ۲۳۶

اي - نام تلا : ۱۶۵

ايا (انكي) : ۸۸ ، ۱۳۶

ايرا كلا : ۱۱۵

- ایاناتم : ۱۹۰
- ایریشکبکال : ۹۹ ، ۱۱۵ ، ۲۲۴ ، ۲۳۰ ، ۲۳۲ ، ۲۳۳ ، ۲۳۵
- ایریشکیجال : ۲۳۸ ، ۲۴۵ ، ۲۴۷
- ایلا برات : ۱۳۶
- آی - عبر - شابو : ۴۲ ، ۴۴
- ایتانا : ۹۹ ، ۱۳۲ ، ۱۳۴ ، ۱۳۵
- ایسن (ایشان بحریات) : ۱۶ ، ۲۴ ، ۱۸۵ ، ۱۹۶
- ایسمود : ۹۱ ، ۹۲
- اینشاک : ۸۹
- اینخیدو انا : ۲۰۵ ، ۲۰۶
- اینکمدو : ۹۱ ، ۱۶۶ ، ۱۶۸
- اینمرکار : ۱۴۳ ، ۱۴۴
- ایمش : ۱۶۳ ، ۱۶۴ ، ۱۶۵
- اینتن : ۱۶۶ ، ۱۶۴ ، ۱۶۵
- ایوب (البابلی) : ۱۰۹
- اوتو (شمش) : ۲۴۰ ، ۲۴۳
- اودنیس (ادون) : ۲۴۱ ، ۲۴۲
- ایوس : ۱۰۹
- اورورو : ۱۰۵
- اور - شنابی : ۱۲۴
- اوبار - توتو : ۱۲۰
- اوغاریت (راس الشمر) : ۳۳
- الاهرام : ۳۳
- الاهواز (الاحواز) : ۹

- ب -

- بابا (باو) : ۱۸۹
بابل : ۱۶ ، ۲۴ ، ۴۴ ، ۵۲ ، ۸۶ ، ۱۶۱
پاپسكال : ۲۴۷
باب عشتار : ۴۴
باد - تيرا (تل المدينة) : ۱۷۵ ، ۲۳۶ ، ۲۳۹
باريس : ۴۷
البليخ (البليخ) : ۱۸۳
بالي كورا : ۲۱
ببليوس (جبيل) : ۵۱
البحر المتوسط : ۴۰
بدرة : ۶۵
برده بلكا : ۱۲
برساكن كلاما : ۲۳۷
يرسيفونه : ۲۴۱
بريخ (زبلام) : ۲۳۸
بعل : ۲۴۱
بعله ضيري : ۱۷۷ ، ۲۲۴
البغاء (المقدس) : ۱۹۳ ، ۱۹۴ ، ۱۹۹
پكو : ۲۲۶
بلاگك : ۴۹
بلباله : ۴۹ ، ۱۶۷
بلايستوسين : ۱۹
بور - سبا (برس نمرود) : ۸۶
بور - سين (امار - سين) : ۲۴ ، ۱۹۸
بوغاز كوي (حاتوشاش) : ۱۴۱
بوليهستر (الاسكندر) : ۸۰

بوبل : ١٧٤
بور - شخندا : ١٤١
بيت - اديني : ١٨٦
بيتر - ينسن : ٧٣
بيرة مگرون : ١٢٢
پروسس : ٨٠
بيليلي ، بيليلو : ٢٤٢ ، ٢٤٣

- ت -

تريگوس : ١٣٤
تجلاتبليزر : ٢٦
تدتم : ٢١٦
تل بارسب (التل الاحمر) : ١٨٦
تموز (دموزي) : ٢٢٤
التوراة : ٣٤ ، ٣ ، ٤ ، ٥٤ ، ٨١ ، ١٥٥ ، ٢٢٦
توكلتي - نورتا : ٢٦
تيامة : ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢
تيگي : ٤٩
توينبي : ١٠

- ج -

الجامعة (سفر) : ١٥١
جبيل (بيليوس) : ٥١
جرمو : ١٣ ، ٢٢
جلجامش (گلگامش) : ١٥ ، ٢٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٤ ،
١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٩٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
٢٢٩ ، ٢٤٦

جمدة نصر : ١٤
جمجمال : ١٣ ، ٢١
جميل - ثورتا : ١٨٣
جودية ، جودية : ١٥ ، ٢٤ ، ٥١
الجودي (جبل) : ١٢٢
جورج سمث : ٧٣

- ح -

حاج محمد (تل ، فخار) : ٢٣
حاتو شاش (بوغاز كوي) : ١٤١
حاتو شيليش : ١٤١
الحثيون : ٩
حران : ١١٢ ، ١٤٢ ، ١٨٠
حرمل (تل) : ١٨٠
حز قيال : ١٢٠
حسونة (تل) : ١٣ ، ٢٢
حمورابي : ١٦ ، ٢٤ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢
حواء : ٨٩ ، ٩٠ ، ١٢٥

- خ -

خارون (شارون) : ٢٣٠
خانيش : ١٢١
خاين (هاين) : ٩٤
خبر (نهر) : ١٥٢ ، ٢٢٢
خرسباد (دور - شروكين) : ٤٤
الخليج العربي : ١٤٢
خلبو (شجرة) : ٢٢٥
الخليقة (اساطير) : ٤٨ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣
خمت تبال : ٢٢٣ ، ٢٣٠
خسو تروس : ١٧٥
خواوا ، خمبابا ، هواوا : ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

- د -

- دادوشا : ٢٤
 دام - كنا : ٧٦
 داود : ١٥١
 دجلة : ٤٢ ، ٨٧
 دلمون (قلمون ، البحرین) : ٨٨ ، ٨٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥
 الدمشقي : ٨٠
 دموذي (تموز) : ٥٠ ، ٩١ ، ١١١ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ١٩٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
 دنو (مدينة) : ٩٣ ، ٩٤
 دور - انكي (نفر) : ٩٥
 دور - شروكين (خرسباد) : ٤٤
 دور - گشمار (نفر) : ٩٥
 دير (دور - ايلو) : ٦٥

- ر ، ز -

- راس الشمر (اوغاريت) : ٣٣
 رتي - مردوخ : ٦٥
 رگك فيدا : ٣٤
 رومة : ٣١ ، ٣٢ ، ١٤١
 الزاب : ١٢
 زاوي چمي : ٢٢
 زبلام (بزنيخ) : ٢٣٧
 زردی (كهف) : ١٢ ، ٢١
 زلگرا : ٨٨
 زو (انزو) : ٩٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
 زيوس (زوس) : ٨٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٤١
 زيوسلرا : ١٥ ، ١٧٤ ، ١٧٥

- س -

- سابور : ٢٥
الساساسيون (الفرس) : ١٨ ، ٢٥
ساگل - كينام - اوبب : ٥٤ ، ١٥١
سامراء : ١٣ ، ٢٢
الساميون : ١٦ ، ٣٧
سبار (ابو حبه) : ١٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٥
سبيازر : ٢٢٣
سترابو : ١٦٦
سنوري : ١١٧
سرجون (الاكدي) : ١٥ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٩٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢١٧
سرجون الاول (الاشوري) : ٢٦
سرجون الثاني (الاشوري) : ٢٦ ، ٤٤ ، ٦٤
سلطان تبه : ١٤٢ ، ١٨٠ ، ١٨٣
السليمانية : ١٢ ، ١٢٢
السلوقيون : ١٨ ، ٢٥ ، ٤٦
السلوترى (الدور) : ٢١
سليمان : ٥٤ ، ١٥١ ، ١٩٦
سمسو ايلونا : ٢١١
سمسو ديتانا : ٢٤
سميرنا : ٢٤١
سنحاريب : ٢٦ ، ٦٤ ، ١٦١
سوبارتو (السوباريون) : ١٤٢
سوسه : ١٣٠
سومو آيم : ٢٤
سومر واكد : ٩٠ ، ٢١١ ، ٢١٣
السومريون : ٣٧

سين (ننا ، نانا) : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤
سين - ليقى - اونتي : ٥٣ ، ١٠٣

- ش -

شارا (الاله) : ٢٣٩
شارون (خارون) : ٢٣٠
الشام (بلاد) : ٩ ، ٣٣
شانيلر (كهف) : ٢١
شيسبي - مشري - نرجال : ١٤٧
شروباك (تل فاره) : ١٢٠ ، ١٧٤
شروكين (سرجون) : ١٣٩
شكسبير : ٥٦
شلات : ١٢١
شلاك : ٢٣١
شمخة : ١٠٦
شمش (اوتو) : ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٣٣ ، ١٥٥
١٧٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
شمسي - ادد : ٢٤ ، ٢٦
شو - سين : ٢٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٨
شولكي : ٢٤ ، ٩١ ، ١٩٨ ، ٢٠٧
شيكاجو (معجم جامعة) : ٢٣٣
الشيلي (النور) : ١٩
الشيعة : ١١٢
شير هشريم (نشيد الانشاد) : ٥٤

- ص -

صربنيتم : ١٥٠

- ع -

عانات : ٢٤١
العبرانيون : ٤٣ ، ١١٢ ، ١٩٥
العبيد : ١٣ ، ٢٢ ، ٢٣
العتيري : ٢١

عشتار - آي : ٢٣١
العمارة : ١٣٥ ، ٢٣٢
عمى - ديتانا : ٢٠٣ ، ٢٠٤
عمى صادق : ٥٤ ، ١٧٦
عيلام (بلاد) : ٩ ، ٣٦ ، ١٣٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٢

ف ، ق

فارة (شروبالك) : ٢٣ ، ١٧٥
الفرات : ٨٧ ، ١٤٠ ، ٢٢٥
الفرثيون (البارثيون ، الارشاقيون) : ٨ ، ٢٥ ، ٤٦
فرويد : ٨٣
فلكنشتاين : ٢٤٠
فيلاذلفيا (جامعة) : ٤٧ ، ٢٣٦
فيليب : ٢٥
فينوس : ٢٤١
القادسية : ١٨
قادشتو : ١٩٣
قاين (قابيل) : ١٦٨
قبرص : ٤٠ ، ٢٤١
القفصي (الدور) : ٢١
قوهيلت : ١٥١
قيصرية : ٤١

ك ، گ

كابت - ايلاني - مردوخ : ١٣٩ ، ١٥٣
گاد : ١٨٠

گائيتم : ٩٤

كبتى - ايلاني - مردوخ : ١٣٩ ، ١٥٣
الكاشيون (الكشيون) : ١٧ ، ٢٥

کالج (نمرود) : ۵۱
 گانیمیده : ۱۳۵
 کالو (گلا) : ۲۴۳
 کانیش (کول تبه) : ۲۶ ، ۴۰
 کبدوکیه : ۱۴۱
 گیل : ۱۹۷
 گرامر : ۳۴ ، ۳۵ ، ۴۷ ، ۱۲۸ ، ۱۶۷ ، ۱۷۴ ، ۱۹۹ ، ۲۱۶ ، ۲۳۶ ، ۲۴۰
 کرد چای : ۲۲
 کرونوس : ۱۳ ، ۹۳ ، ۱۷۵
 کرکرو : ۲۳۸
 کرکمیش (جرا بلس) : ۱۸۶
 کریبو : ۲۳۰
 کریت : ۴۰
 کریم شهر : ۲۱
 کزیدا : ۱۳۶
 کلاب ، کلابا : ۱۴۴
 کلاترو : ۲۳۸
 الکلاکتونی : ۲۰
 گلاگامش (انظر جلبامش) :
 گشتن - انا : ۱۱۱ ، ۱۹۰ ، ۲۲۴ ، ۲۴۰ ، ۲۴۲ ، ۲۴۳
 کلیماخوس : ۱۶۶
 کلیله و دمنه : ۵۳ ، ۱۸۰
 کلماشیتو : ۱۹۳
 الکنعانیون (الفینیقیون) : ۳۳ ، ۲۴۱

كوباتم : ١٨٣
 انكوتيون : ٢١٤ ، ٢١٧
 كودية (انظر جودية) : ٧٣
 كوتى : ٢٤٦
 كور - نو - مكي : ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤
 كول تبه (كانيش) : ٢٦ ، ٤٠
 كولى - انليل : ١٦٨ ، ١٩٦
 كوما : ٢٣٠
 كو - آي : ٥٤ ، ١٧٦ ، ٢٢١
 كورش : ٢٥
 كو - مال - آنا : ٢٣٥ ، ٢٣٨
 كيشار : ٧٤٠
 كيش : ٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٩٠ ، ٢١٥
 كي - مال : ٢٢٣
 كينراس : ٢٤١
 كينينو (قصب) : ٢٤٥

— ل —

اللاذقية : ٣٣
 لارسا : ١٦ ، ٢٢
 لارنكا : ٤١
 لاندزيرغرور : ١٠
 لتراك (الاله) : ٢٣٩
 لخار : ٩٤
 لكش ، لجش : ١٥ ، ٢٣٦
 لفالوازي : ٢٠

لخامو : ٧٤

لرك : ١٧٥

لخمو : ٧٤

لگا : ٨٧

ليث : ٢٢٥ ، ٢٢٦

لودي - لودي : ١٨٣

لوگال بند : ١٣١

لوكر (ناديتو) : ١٩٨

لوگال زاكيزي : ١٥ ، ٢٤

لوگال دووگوا : ٨٦

لونگفيو : ٣١

- م -

ماري (تل الحريري) : ١٦

مامتم : ١١٩

ماميتو : ٢٣١

مامي (ماما) : ٨٥ ، ١٧٧

المايا : ١٠

مردوخ : ٢٤ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
٨٦ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣

مردوخ بلادان : ١٦٠

مصر : ١١ ، ٣٣ ، ١٣٥ ، ٢٣٢

مكدليني : ٢١

مگان : ١٤٢

مكديني : ٢١

ملوفا : ١٤٢

مکو : ۲۲۶

مس آنييدا : ۲۴ ، ۱۰۲

(ميسه انييدا) :

مس كلام دوک : ۲۳

مستيري (الور) : ۱۲ ، ۲۰

ممو : ۷۵ ، ۷۶

ميليلي : ۱۴۲

ميک : ۱۹۴

ميسلام تا : ۹۵

ميسلم : ۲۳

موسی : ۴۳ ، ۱۴۰

موکل - ريش - ليموتي : ۲۳۰

- ن -

نانا ، ننا (سين) : ۹۴ ، ۱۹۶ ، ۲۰۵ ، ۲۰۶ ، ۲۱۲ ، ۲۱۳ ، ۲۱۵ ،
۲۱۸ ، ۲۳۷

نبلانم : ۲۴

نبو : ۸۶

نبو آخا ادن : ۱۸۶

نبو بولاصر : ۱۷ ، ۲۵

نبو رختو اوصر : ۱۸۶

نبو خذ نصر (الاول) : ۶۵

نبو خذ نصر (الثاني) : ۱۷ ، ۲۵

نبو نيدس : ۲۵ ، ۴۰ ، ۹۹

نرام - سين : ۱۵ ، ۴۰ ، ۹۹ ، ۱۴۲ ، ۲۱۶ ، ۲۱۷

نرجال : ۹۷ ، ۹۹ ، ۱۷۸ ، ۲۲۱ ، ۲۲۷ ، ۲۳۰ ، ۲۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۳۳ ،
۲۳۴ ، ۲۳۵ ، ۲۴۶

النطوفي (الدور) : ٢١
 نسكو : ١٧٧
 نصير (جبل) : ١٢٢
 نقر : ٤٧ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٢١٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ،
 ٢٣٧ ، ٢١٨
 نمتار ، نمتارا : ١٧٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٤٧
 نمتارتو : ٢٣٠
 ننجرسو (ننكرسو) : ١٣١ ، ١٨٩
 ننازو : ٩٦
 ننخرساك : ١٥ ، ٨٨ ، ٢١٤
 ننچشزیدا : ١٥٨
 نسون : ١٠٩
 ننچزیدا : ٢٢٤
 نشووبر : ٩٢ ، ١٩٧ ، ١٨٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧
 ننگال : ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢١٥
 نندو : ٢١٨
 نندیل : ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٩
 نخو : ٨٨
 نثورتا : ١٠٥ ، ١٣١ ، ٢١٧ ، ٢١٨
 نن - ایکی - کو (ایا) : ١٢٠
 ننتو : ٨٥ ، ١٧٧
 نن - تی : ٨٩
 نیاندرتال : ١٢ ، ٢٠
 نیلو ، نیتي : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٨
 نینوی : ١٧ ، ١٣٢ ، ١٧٠ ، ٢٤٤

نومد : (ايا) : ٧٥

نوح : ١٢٢ ، ١٢٣

— و —

وادي الرافدين : ٩ ، ١٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ،
٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ١٧٣ ، ٢٣٢

وادي النيل : ١٠ ، ٤٣ ، ١٧٣ ، ١٩٩ ، ٢٣٢

الوركاء (اوروك) : ١٤ ، ٢٣ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٢٦ ، ١٤٣ ، ١٧٤ ، ١٨٩

الوهراني (الور) : ٢١

وى ، وى — ايل : ١٧٧ ، ١٧٨

— ي —

يشكر ، اشكر ، ادد : ٢١٨

اليوسفيه : ٨٦

ييل (جامعة) : ٢٣٩

— ه —

هايدل برگ (انسان) : ١٩

هزار مرد : ١٢ ، ٢١

هزيود : ٩٣

الهند : ٣٤

هيروdotس : ١٨١ ، ١٩٦

هيرا (الالهة) : ٩٣

هوميروس : ٣١

فهرست المواضيع

الفصل الاول :

٩ - ٦٥	مقدمة في الخصائص والمميزات العامة
٩ - ٢٨	المامة بادوار حضارة وادي الرافدين
٣١ - ٣٥	قدم أدب هذه الحضارة
٣٥ - ٣٧	النصوص الادبية ونسبة عددها الى مجاميع الواح الطين
٣٧ - ٣٩	الازدواج اللغوي في أدب حضارة وادي الرافدين
٣٩ - ٤٣	تراث أدب حضارة وادي الرافدين في الحضارات الاخرى
٤٢ - ٤٥	اهمية هذا الادب في فهم الاوجه المختلفة من حضارة وادي الرافدين
٤٥ - ٤٦	الاعادة والتكرار واستباق النتائج
٤٦ - ٤٨	الفهارس والسجلات والمكتبات
٤٨ - ٥٢	أثر مادة الكتابة في أسلوب التدوين واصل نشوء الكتاب
٥٢ - ٥٤	اسماء المؤلفين والادباء والشعراء
٥٤ - ٥٦	الشعر والنثر الادبي
٥٦ - ٦٥	العروض في الشعر البابلي

الفصل الثاني :

٦٩ - ٩٦	المواضيع التي تناولها أدب العراق القديم
٦٩ - ٧٠	أشهر النصوص الادبية
٧١ - ٩٦	اساطير الخليفة واصل الاشياء
٧١ - ٨٤	اسطورة الخليفة البابلية
	اساطير خليفة أخرى قصيرة
٨٤	تعويذة لوجع الاسنان
٨٥	تعويذة للولادة
٨٦	خلق الاله « مردوخ » للعالم

٨٧	خلق الانسان
٨٨ - ٨٩	انكي ومنتخر ساك
٩٠ - ٩١	وضع الاله « انكي » لنظام الكون
٩١ - ٩٢	نقل النواميس الالهية الى الوركاء
٩٢	اسطورة اصل الآلهة
٩٤ - ٩٦	اسطورة انليل ونليل

الفصل الثالث :

٩٩ - ١٤٤	الملاحم وقصص البطولة والابطال
	القصص الخاصة بجلجامش
٩٩ - ١٢٦	ملحمة جلجامش
١٢٦ - ١٢٨	جلجامش و « اكا »
١٢٨ - ١٢٩	جلجامش وارض الحياة
١٢٩ - ١٣٠	مغامرات جلجامش وانكيدو - موت جلجامش
١٣٠ - ١٣٢	قصص ملحمة أخرى : الطائر « زو »
١٣٢ - ١٣٥	صعود « ايتانا » الى السماء
١٣٥ - ١٣٨	قصة « ادايا »
١٣٨ - ١٣٩	اله الطاعون « ايرا »
١٤٣ - ١٤٤	« اينمركار » وحاكم اقليم « اراتا »
١٣٩ - ١٤١	قصة سرجون الاكدي
١٤١ - ١٤٣	قصة « نرام - سين »

الفصل الرابع :

١٤٧ - ١٧٠	أدب الحكمة
١٤٧ - ١٥٠	ايوب البابلي
١٤٧ - ١٥٠	حوار بين صديقين
١٥٣ - ١٥٧	حوار ما بين سيد وعبد

١٦٠-١٥٧	الحكم والامثال
١٦١-١٦٠	صفة الحاكم العادل
١٧٠-١٦٢	أدب المناظرة والمفاخرة
١٦٥-١٦٤	المناظرة ما بين الصيف والشتاء
١٦٧-١٦٥	المناظرة ما بين النخلة وشجرة الاثل
١٧٠-١٦٧	المناظرة ما بين الفلاح والراعي

الفصل الخامس :

٢٠٩-١٧٣	النصوص الادبية الخاصة بالطوفان والتراويل والغزل
١٧٤	اللوحة الحادي عشر من ملحمة جلجامش
١٧٥-١٧٤	ملحمة « زيسودرا »
١٧٩-١٧٦	ملحمة « اتراسكس »
١٨٠	أدب السخرية :
١٨٣-١٨١	قصص عن بعض الحيوانات
١٨٧-١٨٣	قصة « فقير نفر »
٢٠٠-١٨٧	أدب الغزل والحب : أشهر القصائد الغزلية
١٩٥	حوار غرامي ما بين « انانا » و « دموزي »
١٩٥	الاتصال ما بين « انانا » و « دموزي »
١٩٨-١٩٧	الزواج الالهي ما بين « انانا » والملك « إدن - دكان »
٢٠٠-١٩٨	قصيدة غزل بالملك « شو - سين »
٢٠٩-٢٠٠	أدب الصلوات والتراويل
٢٠٣-٢٠١	تراويل دينية الى الاله « شمش »
٢٠٥-٢٠٣	ترتيلة الى الالهة « عشتار »
٢٠٦-٢٠٥	ترتيلة الى الاله « انليل »
٢٠٧-٢٠٦	ترتيلة الى الملك « أور - نمو »

الفصل السادس :

٢٤٨-٢١١	أدب الرثاء واساطير العالم الاسفل
٢١٤-٢١١	رثاء تدمير « أور »
٢١٦-٢١٤	رثاء تدمير بلاد سومر وأكد
٢٢٠-٢١٦	لعنة مدينة « أكاده » (أكد)
٢٢١	نصوص عن اساطير العالم الاسفل
٢٢٥-٢٢١	مقدمة عن تصوراتهم لعالم ما بعد الموت
٢٣٠-٢٢٥	اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش
٢٣٢-٢٣٠	حلم أمير آشوري عن عالم ما بعد الموت
٢٣٤-٢٣٣	رجال وايريشكيجال
٢٤٨-٢٣٤	نزول عشتار الى العالم الاسفل
٢٤٨-٢٣٤	تموز وعشتار
٢٦٠-٢٤٩	فهرست الاماكن والاعلام :



دمية من الفخار لهاها تمثل الآلهة النليل
(منصف الألف الثالث ق م)

روم الأبداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٣ سنة

١٩٧٦

وزارة الثقافة / بغداد ١٩٧٦

AN INTRODUCTION
TO THE
LITERATURE OF ANCIENT IRAN

TAHA BAQIR

